تاريخ القرآن

وغرائب رسمه وحكمه

يبحث عن تعريف القرآن وما يتضمنه ، وعن جمعه ، وكتابته وترتيب آياته وسوره وضبطه وتصحيحه ، وعن غرائب رسم كلماته ، وهل رسمه توقيفي أم لا ؟ وعن حكم اتباعه وسبب نقطه وتشكيله ، وعن معرفة الصحابة للإملاء والكتابة ، وعن مقارنة كتاباتنا برسمه وغير ذلك من المباحث المهمة

للعلامة الشيخ محمد طاهر بن عبد القادر
الكردي المكي الخطاط الشافعي المتوفى سنة ١٣٤٠ هـ

تحقيق
الأستاذ الدكتور أحمد عيسى المعصراوي
شيخ عموم المقارئ المصرية

أضواء السلف

تاريخ القرآن

وغرائب رسمه وحكمه

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٤٥٥٦ / ٢٠٠٨م

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

الكردي ، محمد طاهر بن عبد القادر .

تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه / لمحمد طاهر بن عبد القادر الكردي ؛

تحقيق احمد عيسى المعصراوي . - الرياض : أضواء السلف ، ٢٠٠٩

٢٨٠ ص ؛ ٢٤ سم .

١ - المصاحف ، رسم .

أ - المعصراوي ، أحمد عيسى (محقق)

ب - العنوان

٢٢٢.٤

دار أضواء السلف

الرياض - الربوة - الدائري الشرقي - مخرج ١٥ ص.ب ١٢١٨٩٢
الرمز ١١٧١١ ت ٢٣٢١٠٤٥ جوال ٠٥٠٥٢٨٠٣٢٨

مُقَدِّمَةُ التَّحْقِيقِ

الحمد لله الذي هدانا للإسلام ، ونوَّر قلوبنا بنور القرآن ، وجعلنا من أمة خير الأنام ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تَكَفَّل بحفظ كتابه على مرّ الليالي والأيام حتى ينتهي الزمان ويفنى المكان ولا يبقى إلا وجه الرحمن ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه المُؤَيَّد بالمعجزات الباهرات ، والآيات الواضحات . صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أهل القرآن وحُمَاته الذين حفظوه وصانوه عن التحريف والزيف والتبديل ونقلوه إلى من كان بعدهم كما تلقوه مشافهة من في رسول الله ﷺ حتى وصل إلينا غضا طريا كما أنزل .

ولقد أيَّد الله مظاهر هذا الحفظ للعيان بما يَسَّره سبحانه وتعالى من العناية والاهتمام ما لم تعرف البشرية له مثيلاً على مرّ الدهور والعصور وكيف لا والقرآن كتاب الإنسانية ومعجزة دينها الخاتم الخالد ؟ وبهذه الحقيقة المتجددة آمن المسلمون ودار جهدهم في خدمة كتاب ربهم منذ الصدر الأول إلى يومنا هذا .

ولقد كان العلامة الشيخ / محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي من المسلمين الأعلام الذين عنوا بخدمة كتاب الله حيث قدَّم لنا في هذا الكتاب النفيس الذي نحن بصدد تحقيقه الكثير من الموضوعات الهامة في جمع القرآن وكتابته وترتيب آياته وسوره وغرائب رسم كلماته ، وبيان حكم اتباع الرسم العثماني وفوائده وسبب نقطه وضبطه وقراءاته ورواياته المتواتر فيها

والشاذ إلى غير ذلك من الأبواب والفصول المتفرقة التي تضمنها الكتاب والتي اشتملت على كثير من اللطائف والإشارات البديعة التي تنم عن عمق فكره ورصانة عقله وبعد نظره ، فخرج الكتاب بديعاً في بابه فريداً في أسلوبه .

ولقد كان عملي في تحقيق هذا الكتاب قائماً على تحقيق النص تحقيقاً علمياً دقيقاً وتوثيقه من مراجعه الأصيلة بما أمكن[١] ، حيث قمت بتخريج الأحاديث الواردة بالكتاب مع بيان وتوضيح ما يستلزم ذلك خاصة ما يخص القراءات والرسم القرآني حيث أزلت ما أشكل في بعض المسائل التي التبس فيها الأمر على المؤلف ، فإن كنت قد وفقت فبفضل الله وتوفيقه وإن كان هناك تقصير فهذا هو شأن عمل كل إنسان لا يسلم من النقص أو النسيان .

والله أسأل أن يعم النفع بهذا الكتاب ويجعله في ميزان الحسنات ويرفع به الدرجات ويغفر به السيئات ، ويعفو به عن الزّلات إنه سميع قريب مجيب الدعوات .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد .

تحريرا في ١ شوال ١٤٢٨هـ

أحمد عيسى المعصراوي

شيخ عموم المقارئ المصرية

---

(١) وقد ميّزت تعليقاتي عن تعليقات المؤلف بهامش مستقل وبينط أسود هكذا [أ] ، [ب]

ترجمة المؤلف[١]

هو العلامة الخطاط المؤرخ المتفنن البحاثة ، كاتب المصحف المكي : محمد طاهر بن عبد القادر الكردي الشافعي الأزهري ، من أعلام المسلمين ، وأحد رجالات الفكر والتعليم .

مولده ونشأته : وُلد رحمه الله في مكة المكرمة سنة ١٣٢١ هـ ، ونشأ تحت رعاية والده ، وتلقَّى عليه تعليمه الأول ، ثم التحق بمدرسة الفلاح بجدة عند تأسيسها ، وتخرج فيها سنة ١٣٤٠ هـ ، ورحل بعدها إلى مصر فتلقَّى التعليم بالأزهر الشريف ، ثم دفعه حبه للخط العربي أن التحق بالمدرسة الملكية لتحسين الخطوط العربية بالقاهرة سنة ١٣٤١ هـ ، فكان يدرس في الأزهر صباحاً ، وفي المدرسة من العصر إلى المغرب ، حتى تخرج منها سنة ١٣٤٦ هـ . وفي أوائل شهر صفر سنة ١٣٤٨ هـ ، عاد إلى مكة المكرمة ، ليعمل بالمحكمة الشرعية الكبرى ، ثم مدرساً للخط العربي في مدارس الفلاح بجدة ، وظل في هذا العمل مدة أربع سنوات ، وفي أوائل عام ١٣٥٣ هـ ، رحل مرة ثانية إلى القاهرة فأقام بها لمدة عام واحد ، زار خلاله خزائن الكتب بالقاهرة مثل دار الكتب المصرية ، ومكتبة الأزهر ، ثم انتقل إلى

---

(١) من مصادر ترجمته : محمد طاهر الكردي ، حياته وآثاره ، ومعجم مؤرخي الجزيرة العربية ص ١٢٦ - ١٢٧ ، ومعجم مصطلحات الخط والخطاطين ص ١٢٨ ، وموسوعة الأدباء والكتاب السعوديين (٣ : ١٢٦) ، وتكملة معجم المؤلفين ص ٥٠٠ - ٥٠٣ ، ونثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر (٢ : ١٢٥٧) ، وتتمة الأعلام (٢ : ١٧٤) ، وإتمام الأعلام ص ٣٧٣ ، وأعلام الحجاز (٢ : ٣١٥) ، وذيل الأعلام ص ١٨٣ ، ومعجم الكتاب والمؤلفين في السعودية ص ١٢٩ ، ومعجم المطبوعات العربية والسعودية (٢ : ٢٩٠ - ٢٩٥) .

الإسكندرية فأقام بها عاماً واحداً أيضاً ، زار خلاله مكتبة البلدية وغيرها من مكتبات الإسكندرية ، فجمع بذلك معلومات كثيرة حول الخط العربي ، صَنَّفها في كتابه المشهور « تاريخ الخط العربي وآدابه » .

وفي عام ١٣٥٥ هـ ، عاد إلى مكة المكرمة ، فعمل بمدرسة الفلاح مرة أخرى لفترة قصيرة ، ثم اختارته مديرية المعارف للتدريس في مدارسها ، فدرس في المدرسة السعودية الابتدائية ، ثم في المدرسة العزيزية الابتدائية ، كلتاهما بمكة المكرمة . وعندما قامت مديرية المعارف بافتتاح مدرسة لتحسين الخط وتعليم الآلة الكاتبة عُيِّن مديراً لها ، علاوة على عمله كخطاط بالمديرية .وحينما أرادت الدولة توسعة الحرم المكي الشريف ، اختارته للعمل كمستشار في الجهاز الإداري للمشروع ، فكان خير معين ؛ لمعرفته بتاريخ مكة المكرمة والحرم الشريف ، فشارك في وضع الإطار الفضِّي للحجر الأسود ، وكان من بين المشاركين والمشرفين على مشروع ترميم الكعبة وتجديد سُقُفها .

مؤلفاته : كان رحمه الله تعالى من المكثرين للتصنيف ، مجوِّداً فيه ، بلغت مؤلفاته نيِّفاً وأربعين أو تزيد ، أذكر من أشهرها : « التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم » يقع في ستة مجلدات ، طبع منها أربعة بمكتبة النهضة الحديثة بمكة المكرمة ، سنة ١٣٨٥ هـ ، وهو من أوسع الكتب في تاريخ مكة وبه صور وخرائط ، و « تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه » وهو كتابنا هذا ، و « إرشاد الزُّمرة لمناسك الحج والعمرة » على المذهب الشافعي ، طُبع بمطبعة الحلبي بالقاهرة سنة ١٣٧٤ هـ ، و « تحفة العباد في حقوق الزوجين والوالدين والأولاد » قام بإعادة طباعته خلال الفترة التي قضاها بين القاهرة والإسكندرية سنة ١٣٥٣

هـ ، بمطبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة ، بعد أن زاد فيه ونقحه ، و « حُسْن الدُّعابة فيما ورد في الخط وأدوات الكتابة » طبع بمطبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة سنة ١٣٥٧ هـ ، و « التفسير المكي » في أربعة مجلدات ، و « منظومة في صفة بناء الكعبة المعظمة » وتقع في ٣٥٢ بيتاً ، زاد عليها أبياتاً ونشرت مع كتاب « التاريخ القويم » ، و « تبرك الصحابة بآثار رسول الله ﷺ وبيان فضله العظيم » طبع بمطبعة المدني بالقاهرة سنة ١٣٨٥ هـ ، و « الأحاديث النبوية في الآداب الدينية والتربية الإسلامية » ، و « تاريخ الخط العربي وآدابه » وهو كتاب تاريخي اجتماعي أدبي ، مزين بالصور الخطية والرسوم ، جمع مادته في المدة التي أقام فيها بين القاهرة والإسكندرية ، وطبع بالمطبعة التجارية بالقاهرة سنة ١٣٥٨ هـ ، ثم أعادت طباعته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ، سنة ١٤٠٢ هـ . كما أهدى كتابه « بدائع الشعر ولطائف الفن » لدار الكتب المصرية ، وهو موجود بها تحت رقم (١٥٢٢ م) ، وله مؤلفات غير ذلك منها المطبوع المخطوط ؛ مما يدل على علو مقامه ، وسعة علمه ، وتفنُّنه رحمه الله ، وأجلُّ ما قام به هو كتابته للمصحف المكي الشريف بخط النسخ الرائع ، على قواعد الرسم العثماني .

وفاته : وفي عام ١٣٨٣ هـ ، أصيب بمرض في بصره ، فتعثرت صحته واعتزل العمل في الرَّاحة ، ولم يعد للعمل الحكومي منذ ذلك التاريخ ، وإنما استمر في ممارسة أعماله الفنية والعلمية ، حتى تُوفِّيَ بمكة المكرمة في ٢٣ من ربيع الآخر سنة ١٣٨٣ هـ[١] .

---

(١) وجاء في موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين (٣ : ١٢٦) ، أن وفاته سنة ١٣٦٥ هـ ، قال في ذيل الأعلام ص (٣٨٣) وهو خطأ !!

تاريخ القرآن

وغرائب رسمه وحكمه

يبحث عن تعريف القرآن وما يتضمنه، وعن جمعه وكتابه
وترتيب آياته وسوره وضبطه وتصحيحه، وعن غرائب
رسم كلماته وعلل رسمه توقيفي اهلا، وعن حكم اتيانه
وسيب نقطه وتشكيله، وعن معرفة الصحابة للابتداء
والكتابة، وعن مقارنة كتابتنا لرسمه
وغير ذلك من المباحث القيمة

تأليف

محمد طاهر بن عبدالقادر الكردي المكي الخطاط

المعارف العامة - بمكة المشرفة

أطال الله في عمره ورحمه واحسانه وسعد في الدنيا والآخرة آمين

الناشر

مكتبة العلوم

الطائف

تليفون: ٧٣٢٢٣١٤
٧٣٨٠٧٢٥

صور المطبوعة المعتمدة في التحقيق

تاريخ القرآن

وغرائب رسمه وحكمه

يبحث عن تعريف القرآن وما يتضمنه ، وعن جمعه ، وكتابته وترتيب آياته وسوره وضبطه وتصحيحه ، وعن غرائب رسم كلماته ، وهل رسمه توقيفي أم لا ؟ وعن حكم اتباعه وسبب نقطه وتشكيله ، وعن معرفة الصحابة للإملاء والكتابة ، وعن مقارنة كتاباتنا برسمه وغير ذلك من المباحث المهمة

للعلامة الشيخ محمد طاهر بن عبد القادر
الكردي المكي الخطاط الشافعي المتوفى سنة ١٣٤٠ هـ

تحقيق
الأستاذ الدكتور أحمد عيسى المعصراوي
شيخ عموم المقارئ المصرية

أضواء السلف

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة المؤلف]

الحمد لله رب العالمين حمدًا يليق بعظمته وجلاله ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وصحبه وآله .

وبعد : فلقد وفقنا الله تعالى لكتابة القرآن العظيم[١] الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، كتبناه على وفاق رسم المصحف العثماني ، ناقلين عن المصحف الذي طبعته الحكومة المصرية سنة ألف واثنين وأربعين هجرية تحت إشراف مشيخة الأزهر المعمور ومشيخة المقارئ العمومية ؛ لأن اتباع رسمه واجب بالإجماع وإن كتب بعض كلماته على غير طريقتنا المتبعة .

ولذا يقال : خطان لا يُقَاسُ عليهما : خط المُصْحف وخط العروض[٢] .

والمراد بالمصحف العثماني مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي

---

(١) انتهينا من كتابة هذا المصحف الكريم في ختام عام ألف وثلثمائة واثنين وستين هجرية وقد تألفت لجنة من قبل الحكومة للعناية بتصحيحه ، وهو أول مصحف كتبناه كما هو أول مصحف سيطبع بمكة المشرفة إن شاء الله تعالى في عام ١٣٦٦ هـ .

(٢) أي لا تقاس كتاباتنا العامة على خط المصحف العثماني لمخالفته القواعد الإملائية في بعض الكلمات كما بينا ذلك مفصلاً في هذا الكتاب ، وكذلك لا تقاس كتاباتنا على خط العروض ؛ لأنه يكتب على حسبِ الملفوظ به فمثلاً هذا البيت :

تَلَقَّ الأمورَ بِصَبرٍ جَمِيلٍ ... وصَـــدرٍ رَحِيبٍ وخَلِّ الحرج

فإن العَروضيِّين يكتبونه هكذا :

تلَقْقَ لْأُمورَ بصبرِنْ جَميلِنْ ... وصَـــدرِن رَحيبن وخَلْلِ لْحَرَج

ومثله هذا البيت : لا تسألِ المرءَ عن خلائقِهِ ... في وجْهِهِ شاهِدٌ من الخَبرِ

فإنهم يكتبونه هكذا : لا تسألِ لْ مَرْءَ عَنْ خَلائقِهِي ... في وجْهِهي شَاهِدُن مِنَ لْ خَبري

أمر بكتابته وجمعه وكانوا يسمونه « المصحف الإمام »(١) من حيث اتباعه رسمًا وكتابة(٢) وهو يشمل جميع المصاحف التي كتبت بأمره رضي الله عنه وأرسلت إلى الأمصار .

وقال بعضهم : أنه خاص بمصحفه الذي كان يقرأ فيه .

هذا ولما شرعنا في كتابة مُصْحَفنا المذكور ، ووصلنا إلى نحو خمسة أجزاء منه ، وجدنا في الرسم العثماني العجب العجاب ، ورأيناه جديرًا

---

(١) الأصل في هذه التسمية ما جاء في بعض الروايات أن عثمان بن عفان رضي الله عنه لما بلغه اختلاف المعلمين في القرآن ، قال : عندي تكذبون به وتلحنون فيه ، فمن نأى عني كان أشد تكذيبًا وأكثر لحنًا ، يا أصحاب محمد اجتمعوا فاكتبوا للناس إماما[أ] . وأما سبب تسميته بالمصحف : فإنه لما جمع أبو بكر رضي الله عنه القرآن قال سموه فقال بعضهم : سموه إنجيلًا فكرهوه ، وقال بعضهم : سموه السفر . فكرهوه ، فقال ابن مسعود : رأيت بالحبشة كتابا يدعونه المصحف فسموه به[ب] .

(٢) فإن قيل : إن المصحف العثماني الإمام لم يكن فيه نقط ولا شكل ولم تكن فيه أرقام للآيات ولا علامات للأجزاء والأحزاب فكان الواجب حذف هذه الأشياء من المصاحف اتباعًا للمصحف العثماني - نقول - إن هذه الأمور حدثت فيما بعد حيث اختلفت الألسن باختلاط العرب بالعجم لانتشار الإسلام فخوفًا من التصحيف والالتباس في كلمات القرآن اخترعوا هذه الأشياء التي هي ليست داخلة في جوهر الحروف وإنما هي من العلامات الدالة على القراءة الصحيحة ، فصار وضعها من اللازم وسنتكلم عنها مفصلًا في الخاتمة إن شاء الله تعالى .

وكان تقسيم القرآن إلى أجزاء وأحزاب في زمن الحجاج .

[أ] ذكر ذلك السيوطي في الإتقان ١ / ١٦٥ .

[ب] ذكر ذلك الزركشي في البرهان ١ / ٢٨٢ ، والسيوطي في الإتقان / ١٦٤ .

بدراسته وتحقيق النظر فيه ، وحريًّا بأن تؤلف فيه رسالة خاصة تطبع وتنشر في الأقطار الإسلامية ؛ فألفنا هذا الكتاب ، واستقصينا جميع أنواع الكلمات المخالفة لقواعد كتاباتنا ، اللهم إلا ما شرد عن النظر وغاب عن الفكر .

والحقُّ يُقَالُ : إن في رَسْم المصحف العثماني يقف الفكر حائرًا ، والذهن تائهًا ، إذ إنه في نفسه لا قاعدة له .

* فمثلا : نجد كلمة « كتاب » مرسومة في جميع القرآن بغير ألف ماعدا أربعة مواضع[١] فإنها مرسومة بالألف نحو : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ [الرعد : ٣٨] .

* وكلمة : « قال » مرسومة في جميع القرآن بالألف ماعدا خمسة مواضع[١] فإنها بحذف الألف ، نحو : ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأنبياء : ١١٢] .

* وكلمة : « أيها » مرسومة في جميع القرآن بألف بعد الهاء ماعدا ثلاثة مواضع[١] ؛ فإنها بحذف الألف ، نحو : ﴿ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾ [الرحمن : ٣١].

* وكلمة : « إبراهيم » مرسومة في سورة البقرة هكذا : ﴿ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ وفي بقية القرآن هكذا : ﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ .

* وكلمة : « يابن أم » مرسومة في سورة طه هكذا : ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ ﴾ [طه: ٩٤] وفي الأعراف هكذا : ﴿ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ ﴾ [الأعراف : ١٥٠].

* وكلمة : « ما نشاء » مرسومة في سورة هود هكذا : ﴿ مَا نَشَٰٓؤُاْ ﴾ [هود : ٨٧] وفي سورة الحج هكذا : ﴿ مَا نَشَآءُ ﴾[أ] [الحج : ٥] .

---

(١) ذكرنا هذه المواضع كلها في آخر الفصل الثاني من الباب الخامس .

[أ] وكذلك رسمت في جميع القرآن هكذا عدا سورة هود كما هو مقرر .

* وكلمة : « الأمثال » مرسومة بالألف بعد الثاء ومرسومة بحذف الألف .

وحذفت الواو والياء من آخر هذين الفعلين : ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ [الإسراء : ١١] ، : ﴿ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء : ٧٨] من غير علة .

إلى غير ذلك من الكلمات التي قد تكتب في بعض المواضع بشكل وفي بعضها بشكل آخر مع أن الكلمة هي هي بعينها لم تتغير(١) .

فمن يرشدنا إلى سبب هذا التغاير في رسم المصحف العثماني إلا الصحابة الذين كتبوه بأمر عثمان وهذا إذا قاموا من قبورهم .

ولقد صدق من قال : « كما أن القرآن مُعْجِز في ذَاتِهِ ؛ فَخَطُّه مُعْجِز أيضًا » .

وإلى هذا المعنى أشار العلامة الشيخ محمد العاقب بن ما يأبى الشنقيطي دفين فاس رحمه الله تعالى بقوله :

والخط فيه معجز للناس ... وحائد عن مقتضى القياس
لا تهتدي لسِرِّه الفُحُول ... ولا تحوم حوله العقول
قد خصه الله بتلك المنزله ... دون جميع الكتب المنزلة
ليظهر الإعجاز في المرسوم ... منه كما في لفظه المنظوم

والحقيقة : أن تأليف كتابنا هذا هو من بركة كتابتنا للمصحف المذكور حيث كنا نتبع فيه الرسم العثماني كلمة كلمة ، ولولاه لما كنا ندرك معنى الرسم العثماني ووجهة مخالفته لقواعد إملائنا .

وغاية ما كنا نعرف أن نحو : ﴿ كِتَٰبٌ ﴾ ، و ﴿ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ ،

---

(١) انظر في الجدول الثاني في الفصل الثاني من الباب الرابع ، وانظر أيضًا في الفصل الرابع من الباب الخامس في بعض غرائب الرسم العثماني .

و ﴿ إِسْمَٰعِيلَ ﴾ ، و ﴿ إِسْحَٰقَ ﴾ ، و ﴿ هَٰرُونَ ﴾ ، و ﴿ سُلَيْمَٰنَ ﴾ ، مكتوب في المصحف بغير ألف ، أما غيرها فلا تقع أعيننا عليه لتعود ألسنتنا على القراءة الصحيحة .

والسبب في عدم ملاحظتنا هيئة رَسْم الكلمات في المصحف : هو عدم الاعتناء بتعليم القراءات وفن الرَّسْم وعلم التجويد حتى اندثرت من غالب البلاد الإسلامية وربما كانت مصر هي الوحيدة في المحافظة على هذه العلوم .

وهذا الكتاب هو أول كتاب من نوعه ؛ فإنه لم يؤلف في هذا الموضوع على نمطه كتاب من قبل . نعم لقد ألف علماء القراءات المتقدمون في رَسْم المصحف العثماني مؤلفات جليلة وحصروا مرسوم القرآن كلمة كلمة على هيئة ما كتبه الصحابة رضي الله عنهم بحيث لم يفتهم شيء منه ، إلا أنهم لم يبحثوا عنه كما بحثنا ، ولم يقارنوا بين مرسومة كما قارنا[أ] .

على أننا لا ندعي المعرفة أكثر منهم بل نمشي على ضوئهم مع ما يفتح الله به علينا من فضله الواسع فهو الفتاح العليم لا رادَّ لفضله .

[أ] رسم المصحف يراد به الوضع الذي ارتضاه عثمان رضي الله عنه في كتابة كلمات القرآن وحروفه ، والأصل في المكتوب أن يكون موافقا تمام الموافقة للمنطوق من غير زيادة ولا نقص ولا تبديل ولا تغيير ، لكن المصاحف العثمانية قد أهمل فيها هذا الأصل فوجدت بها حروف كثيرة جاء رسمها مخالفا لأداء النطق وذلك لأغراض شريفة ظهرت وتظهر لك فيما بعد ، وقد عني العلماء بالكلام على رسم القرآن وحصر تلك الكلمات التي جاء خطها على غير مقياس لفظها ، وقد أفرده بعضهم بالتأليف منهم الإمام أبو عمرو الداني إذ ألف فيه كتابه المسمى المقنع ، ومنهم العلامة أبو عباس المراكشي إذ ألف كتابا أسماه عنوان الدليل في رسوم خط التنزيل ، ومنهم العلامة الشيخ محمد بن أحمد الشهير بالمتولي إذ نظم أرجوزة سماها اللؤلؤ المنظوم في ذكر جملة من المرسوم ، ثم جاء العلامة المرحوم الشيخ محمد خلف الحسيني شيخ المقارئ بالديار المصرية فشرح تلك المنظومة وذيل الشرح بكتاب =

ولقد بَسَطْنَا القول في هذا الكتاب عن القرآن العظيم من جميع نواحيه بسطًا وافيًا ، ولم نتعرض للناسخ والمنسوخ ، ولا لوجوه القراءات وتراجم القراء ؛ لأن كلاً من ذلك فن مستقل بذاته يحتاج إلى مؤلف خاص .

وجعلنا في ذيله هامشًا لزيادة الإيضاح وتمام الفائدة .

وحصرناه في ستة أبواب وخاتمة تحت كل باب جملة فصول .

وسميناه : « **تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه** » .

نسأل الله الحي القيوم أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم ، وأن ينفع به من طالعه بقلب سليم ، وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه ، وأن يختم لنا بخاتمة السعادة ويسترنا في الدارين ، ويجعلنا من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وأن يحشرنا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا آمين .

وصلى الله على نبينا محمد أبي القاسم الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ .

غرة جمادى الثانية سنة ١٣٦٥ هجرية المؤلف

محمد طاهر الكردي

الخطاط بالمعارف العامة بمكة المكرمة

= سماه مرشد الحيران إلى معرفة ما يجب اتباعه في رسم القرآن (انظر مناهل العرفان ١ / ٢٥٥ ، البرهان في علوم القرآن ١ / ٣٧٦) .

الجدول الأول

وفيه بعض الكلمات بحسب رسم المصحف العثماني

﴿ اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ﴾	﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾	﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾
﴿ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا ﴾	﴿ عُلِّمْنَا بِهِ بِسْكِيلَ ﴾	﴿ سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾
﴿ أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾	﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلسَّوَاقِ ﴾	﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ ﴾
﴿ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾	﴿ وَلَا لَأَوْلَىٰ لِشَاعِرِهِ ﴾	﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ إِلَٰفِهِمْ ﴾
﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ ﴾	﴿ وَأَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ ﴾	﴿ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾
﴿ وَجَاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ﴾	﴿ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ ﴾	﴿ لَنَتَّخَذَنَّ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾
﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ ﴾	﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴾	﴿ أَفَتُولِ فِي رُوبَىٰ ﴾
﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ ﴾	﴿ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ ﴾	﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ ﴾
﴿ بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴾	﴿ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ﴾	﴿ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾
﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ ﴾	﴿ ٱلْقَنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ﴾	﴿ وَلَا مُسْتَقْسِمِينَ ﴾

وقد وضعنا جدولًا آخر في الفصل الثاني من الباب الرابع يشتمل على بعض كلمات بالرسم العثماني فراجعه في محله .

الباب الأول

[تعريف القرآن وما يتضمنه وإنزاله]

وفيه ثلاثة فصول :

[الفصل الأول : في تعريف القرآن وما يتضمنه

الفصل الثاني : القرآن في اللوح المحفوظ

الفصل الثالث : في إنزال القرآن]

الفصل الأول

في تعريف القرآن وما يتضمنه

ذهبوا في معنى القرآن إلى جملة أقوال ذكرها السيوطي في كتابه الإتقان[أ] والمختار منها ما نص عليه إمامنا الشافعي رحمه الله تعالى وهو : أن لفظ القرآن المعرَّف بأل ليس مهموزًا ولا مشتقًّا بل وضع علمًا على الكلام المنزل على النبي ﷺ .

وأما القرآن فقد قال أهل السنة : القرآن كلام الله تعالى منزل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ، وهو مكتوب في المصاحف ، محفوظ في الصدور ، مقروء بالألسنة ، مسموع بالآذان[ب] .

والاشتغال بالقرآن من أفضل العبادات سواء كان بتلاوته أو بتدبر معانيه – قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر : ٢٩] .

وقال : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩]

وقال : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر : ٢٣] .

[أ] الإتقان ١٨١/١ وما بعدها ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .

[ب] ذكر ذلك ابن تيمية في كتب ورسائل ابن تيمية في التفسير (١٢ / ٥٦ ، ٥٧٨) ، والمناظرة في القرآن ١ / ٤٧ ، والقرطبي في تفسيره ١ / ٨٠ ، ٤٧ .

ولبعضهم :

وإذا أردت من العلوم أجلها فعليك بالقرآن والإعراب
هذا لدينك إن أردت ديانة وهدى وذاك لمنطق وخطاب

ولبعضهم أيضا :

نعم السمير كتاب الله إن له حلاوة هي أحلى من جَنى الضَّرَبِ(١)
به فنون المعاني قد جمعن فما تفترُّ من عَجب إلا إلى عَجب
أمر ونهي وأمثال وموعظة وحكمة أودعت في أفصح الكتب
لطائف يجتليها كل ذي بصرٍ وروضة يجتنيها كل ذي أدب[أ]

فالقرآن يتضمن الأحكام ، والشرائع ، والأمثال ، والحكم ، والمواعظ والتاريخ ، ونظام الكون ، وغير ذلك .

قال بعضهم :

ألا إنما القرآن تسعة أحرف سأنبيكها في بيت شعر بلا خلَل
حَلال حَرام محكم متشابه بشيرٌ نذير قِصَّة عِظة مَثَل[ب]

فالقرآن ما ترك شيئًا من أمور الدين إلا وبيَّنه ، ولا من نظام الكون إلا وأوضحه ، وفيه يقول الله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل : ٨٩] .

---

(١) الضرب بفتحتين العسل الأبيض قاله في المصباح .

[أ] ذكره الألوسي في روح المعاني ١ / ٣ .

[ب] ذكره الألوسي في روح المعاني ٨ / ١٢٧ .

ويقول : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الزمر : ٢٧] .

وقال عليه الصلاة والصلام : « كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبَّار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله تعالى ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيع به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تشبع منه العلماء ، ولا يخلَق على كثرة الردِّ ، ولا تنقضي عجائبه » أخرجه الترمذي[أ] .

ومعنى لا يخلَق : لا يبلى .

وقال أيضا : « أَعرِبوا القرآن والْتمسوا غرائبه »[ب] رواه البيهقي والحاكم عن أبي هريرة والمراد بإعرابه معرفة معاني ألفاظه .

[أ] أخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء في فضل القرآن (٢٩٠٦) عن ابن أخي الحارث الأعور عن الحارث قال : مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث ؟ فدخلت على علي فقلت : يا أمير المؤمنين ألا ترى أن الناس قد خاضوا في الأحاديث ؟ قال : وقد فعلوها ؟ قلت : نعم ، قال : أما إني قد سمعت رسول الله ﷺ يقول : ألا إنها ستكون فتنة ، فقلت : ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم : .. ثم ذكره ، وفي نهايته : هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ﴾ من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم خذها إليك يا أعور . قال أبو عيسى : هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول وفي الحارث مقال ، وأحمد في مسنده (١ / ٩١) بإسناده .

[ب] أخرجه الحاكم في المستدرك عن عبد الله بن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : .. به ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد على مذهب جماعة من أئمتنا ولم يخرجاه ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦ / ١٦١) ، وأبو يعلى في مسنده (١١ / ٤٣٦) بإسناده .

وما أحسن ما رواه الإمام السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه « الإتقان » عن بعضهم حيث يقول : « اعتنى قوم بضبط لغات القرآن وتحرير كلماته ومعرفة مخارج حروفه وعددها ، وعدد كلماته وآياته وسوره وأحزابه وأنصافه وأرباعه ، وعدد سجداته ، والتعليم عند كل عشر آيات ، إلى غير ذلك من حصر الكلمات المتشابهة والآيات المتماثلة ، من غير تعرض لمعانيه ولا تدبر لما أودع فيه ، فسمُّوا القراء .

واعتني النحاة بالمعرب منه والمبني من الأسماء والأفعال والحروف العاملة وغيرها ، وأوسعوا الكلام في الأسماء وتوابعها وضروب الأفعال واللازم والمتعدي ، ورسوم خط الكلمات وجميع ما يتعلق به حتى أن بعضهم أعرب مشكله ، وبعضهم أعربه كلمة كلمة .

واعتنى المفسرون بألفاظه فوجدوا منه لفظًا يدل على معنى واحد ، ولفظًا يدل على معنيين ، ولفظًا يدل على أكثر ؛ فأجروا الأول على حكمه ، وأوضحوا معنى الخفي منه ، وخاضوا في ترجيح أحد المحتملات ذي المعنيين أو المعاني ، وأعمل كل منهم فكره وقال بما اقتضاه نظره .

واعتني الأصوليون بما فيه من الأدلة العقلية والشواهد الأصلية والنظرية فاستنبطوا منه وسمُّوا هذا العلم بأصول الدين .

وتأملت طائفة منهم معاني خطابه فرأت منها ما يقتضي العموم ، ومنها ما يقتضي الخصوص ، إلى غير ذلك ، فاستنبطوا منه أحكام اللغة من الحقيقة والمجاز ، وتكلموا في التخصيص والأخبار والنص والظاهر والمجمل والمحكم والمتشابه والأمر والنهي والنسخ ، إلى غير ذلك من الأقيسة

واستصحاب الحال والاستقراء ، وسمَّوا هذا الفن أصول الفقه .

وأحكمت طائفة صحيح النظر وصادق الفكر فيما فيه من الحلال والحرام وسائر الأحكام فأسَّسوا أصوله وفرعوا فروعه وبسطوا القول في ذلك بسطًا حسنًا وَسمَّوه بعلم الفروع وبالفقه أيضًا .

وتلمحت طائفة ما فيه من قصص القرون السالفة والأمم الخالية ونقلوا أخبارهم ودوَّنوا آثارهم ووقائعهم حتى ذكروا بدء الدنيا وأول الأشياء وسَمَّوا ذلك بالتاريخ والقَصص .

وتنبه آخرون بما فيه من الحكم والأمثال والمواعظ التي تقلقل[أ] قلوب الرجال فاستنبطوا مما فيه من الوعد والوعيد ، والتحذير والتبشير ، وذكر الموت والميعاد ، والحشر والحساب ، والعقاب والثواب ، والجنة والنار ؛ فصولًا من المواعظ وأصولًا من الزواجر ، فسُمُّوا بذلك الخطباء والوعاظ .

وأخذ قوم بما في آية المواريث من ذكر السهام وأربابها وغير ذلك من علم الفرائض واستنبطوا منها من ذكر النصف والربع والسدس والثمن حساب الفرائض .

ونظر قوم إلى ما فيه من الآيات الدالة على الحكم الباهرة في الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم والبروج وغير ذلك فاستخرجوا منه علم المواقيت .

ونظر الكتاب والشعراء إلى ما فيه من جزالة اللفظ وبديع النظم وحسن السياق والمبادئ والمقاطع والمخالص والتلوين في الخطاب والإطناب

[أ] تقلقل : أي تحرك واضطرب ، قال ابن منظور في لسان العرب (١١ / ٥٦٦) : قلقل الشيء قلقلة وقلقالاً وقَلقالاً فتقلقل وقُلقالاً ؛ عن كراع وهي نادرة أي حرَّكة فتحرَّك واضطرب .

والإيجاز وغير ذلك فاستنبطوا منه المعاني والبيان البديع » انتهى[أ] .

جميع العلم في القرآن لكن تقاصر عنه أفهام الرجال

* ويعجبنا وصف الأستاذ مصطفى صادق الرافعي رحمه الله تعالى(١) للقرآن الكريم حيث يقول في كتابه « إعجاز القرآن » ما نصه : « القرآن ألفاظ إذا اشتدت فأمواج البحار الزاخرة ، وإذا هي لانت فأنفاس الحياة الآخرة ، تذكر الدنيا فمنها عمادها ونظامها ، وتصف الآخرة فمنها جنتها وضرامها ، ومتى وعدت من كرم الله جعلت الثغور تضحك في وجوه الغيوب ، وإن أوعدت جعلت الألسنة ترعد من حمَّى القلوب ، ومعان بينا هي عذوبة ترويك من ماء البيان ، ورقة تستروح منها نسيم الجنان ، ونور تبصر به في مرآة الإيمان وجه الأمان ، وبينا هي ترفُّ بندى الحياة على زهرة الضمير ، وتخلُق في أوراقها من معاني العبرة معنى العبير ، وتهبُّ عليها بأنفاس الرحمة فتنم

(١) توفي الرافعي المذكور في ١٠ مايو سنة ١٩٣٧ م الموافق ٢٩ صفر ١٣٥٦ هجرية .

[أ] وقال السيوطي بعده : وقد احتوى على علوم أخرى من علوم الأوائل مثل الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وغير ذلك أما الطب فمداره على حفظ نظام الصحة واستحكام القوة وذلك إنما باعتدال المزاج بتفاعل الكيفيات المتضادة وقد جمع ذلك في آية واحدة وهي قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ وعرفنا فيه بما يعيد نظام الصحة بعد اختلاله وحدوث الشفاء للبدن بعد اعتلاله في قوله تعالى ﴿ شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ ثم زاد على طب الأجسام بطب القلوب وشفاء الصدور (الإتقان في علوم القرآن ٢ / ٣٣٢ – ٣٣٤) . وقد انفرد القرآن الكريم بطريقة سوية في تأدية المعاني وإبرازها في قوالب لغوية لا تنافر بين ألفاظها ولا بين حروفها ؛ فهي طريقة مستقيمة لا عوج فيها ولا تناقض ولا اختلاف ، تسلك بالناس مسالك الهدى من غير تكلف ولا اعتساف ، وتأخذ بتلابيب عقولهم إلى التأمل والنظر في الحجج الساطعة التي يأتي بها الواقع المشاهد ؛ بحيث لا يسع أحد إنكاره أو المراء فيه إلا من سفه نفسه ، وألغى عقله ، وتخلى عن فطرته التي فطره الله عليها .

بسر هذا العالم الصغير ، ثم بينا هي تتساقط من الأفواه تساقط الدموع من الأجفان ، وتدع القلب من الخشوع كأنه جنازة ينوح عليها اللسان ، وتمثل للمذنب حقيقة الإنسانية حتى يظن أنه صنف آخر من الإنسان ، إذا هي بعد ذلك أطباق السحاب وقد انهارت قواعده ، والتمعت ناره وقصفت في الجوّ رواعده ، وإذا هي السماء وقد أخذت على الأرض ذنبها واستأذنت في صدمة الفزع ربها ، فكادت ترجف الراجفة تتبعها الرادفة ، وإنما هي عند ذلك زجرة واحدة ، فإذا الخلق طعام الفناء ، وإذا الأرض مائدة » . انتهى كلام الرافعي رحمه الله تعالى[أ] ، هذا وإنَّ من عظمة القرآن في ذاته إقرار علماء الإفرنج بسموّ مكانته واعترافهم برفيع منزلته ، وخشوعهم لدى سماع ترتيل آياته ، وإعجابهم بما حواه من نظام الكون ودستور المدنية والعمران . وهناك بعض من نوابغ مستشرقي الإفرنج من يتخصص لحفظ القرآن وفهم تفاسيره ، ومن يعتني بعلم القراءات وفن التجويد ، ومن ينقطع إلى دراسته وبيان مزايا دين الإسلام ولهم في ذلك مؤلفات . وإن بقوا على ديانتهم .

وإن أول طبع للمصحف بالخط العربي كان في مدينة همبرج بألمانيا وذلك في سنة ١١١٣ هجرية[١] ويوجد من هذه الطبعة مصحف بدار الكتب

---

(١) وسببه على ما يظهر لنا أن اختراع المطبعة كان في ألمانيا سنة ١٤٣١ ميلادية ثم عم انتشارها بقية الممالك ، وأول دخولها إلى تركيا في زمن السلطان أحمد الثالث وكان طبع المصاحف في عهده ممنوعا وسنتكلم في آخر الكتاب عن ظهور المطابع وانتشارها إن شاء الله .

[أ] إعجاز القرآن للرافعي / ٢٢ وما بعدها ط مكتبة الإيمان .

العربية المصرية بالقاهرة .

* قال المستشرق الألماني الدكتور شومبس في القرآن الكريم في إحدى الجمعيات : « يقول بعض الناس أن القرآن كلام محمد – وهو خطأ محض – فالقرآن كلام الله تعالى الموحى على لسان رسوله محمد ، فليس في استطاعة محمد ذلك الرجل الأمي في تلك العصور الغابرة أن يأتينا بكلام تحار فيه عقول الحكماء ويهدي الناس من الظلمات إلى النور ، وربما تعجبون من اعتراف رجل أوربي بهذه الحقيقة ، إني درست القرآن فوجدت فيه تلك المعاني العالية والنظامات المحكمة وتلك البلاغة التي لم أجد مثلها قط في حياتي ، جملة واحدة منه تغني عن مؤلفات ، هذا ولاشك أكبر معجزة أتى بها محمد عن ربه » اهـ كلامه .

* وقال المستشرق ماكس مننى : « إن مرشد المسلمين هو القرآن وحده ، والقرآن ليس بكتاب ديني فقط ؛ بل هو أيضًا كتاب الآداب ، وتجد به الحياة السياسية والاجتماعية ، بل هو يرشد الإنسان إلى وظائفه اليومية ، والأحكام الإسلامية التي لا توجد بالقرآن توجد في السنة ، والتي لا تكون واضحة لا في القرآن ولا في السنة توجد في الفقه الواسع الذي هو علم الحقوق الإسلامي » اهـ كلامه .

وما قيمة ما يقوله الإنسان في القرآن الكريم بعد قوله تعالى فيه : ﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود : ١] .

وقوله : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾ [النساء : ٨٢] .

وقوله : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر : ٢١] .

وقوله : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨] .

* قال المقري في « إضاءة الدجنة » :

وأخبر الله بعجز الإنس ... والجن عن إتيانهم بالجنس
من مثله وطولبوا بسُوره ... فما استطاعوا مثلها ضَرُورَه
ومن لجلباب الحيا أزاحا ... معارضًا له حوى افتضاحا
كمثل ما جاء به مسيلمه ... من ترهات باختلال معلمه
ركيكة في لفظها والمعنى ... كقوله والطاحنات طحنا

... إلخ

الفصل الثاني

القرآن في اللوح المحفوظ

جاء في « تفسير ابن كثير » في سورة القدر ما نصه : « قال ابن عباس(١) وغيره : أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا ، ثم نزل مفصلًا بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ[أ] .

وجاء فيه أيضًا عند قوله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ [البروج : ٢١ - ٢٢] ما نصه : « وقال الحسن البصري أن هذا

---

(١) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ولد بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين وصح أنه ﷺ دعا له بقوله : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ، اللهم علمه الحكمة وتأويل القرآن ، اللهم بارك فيه وانشر منه واجعله من عبادك الصالحين(*) قال الحسن : كان ابن عباس يقوم على منبرنا هذا فيقرأ البقرة وآل عمران فيفسرها آية آية(**) توفي رضي الله عنه بالطائف سنة ثمان وستين وقيل سنة تسع وقيل سنة سبعين وعمره إحدى وسبعون سنة وله مناقب عظيمة .

(*) أخرجه ابن ماجه في المقدمة ، باب فضل ابن عباس (١٦٦) عن ابن عباس قال : ضمني رسول الله ﷺ وقال : .. به .

(**)أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٤ / ٢٧٧) عن عبد ا لرزاق عن ابن عيينة عن أبي بكر الهذلي قال : دخلت على الحسن وهو يصلي فذاكرت ابنه شيئا من القرآن فانفتل إلينا فقال : ماذا تذاكران ، قال : قلت : ﴿ طسٓمٓ ﴾ و ﴿ حمٓ ﴾ قال : فواتح يفتح بها القرآن ، قال : قلت : إن مولى ابن عباس قال كذا وكذا قال : فما إلا أن ذكر مولى ابن عباس فقال : إن ابن عباس كان من القرآن بمنزل ، كان عمر يقول : ذاكم فتى الكهول إن له لسانا سؤلا وقلبا عقولا ، كان يقوم على منبرنا هذا – أحسبه قال : عشية عرفة – فيقرأ : .. به ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١ / ٣١٨) به .

[أ] تفسير ابن كثير ٤ / ٥٣٠ .

القرآن المجيد عند الله في لوح محفوظ ينزل منه ما يشاء على من يشاء من خلقه[أ]

وقال الطبراني عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال إن الله تعالى خلق لوحًا محفوظًا من درة بيضاء ، صفحاتها من ياقوتة حمراء ، قلمه نور ، وكتابه نور ، لله في كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة يخلق ويرزق ، ويميت ويحيي ، ويعز ويذل ، ويفعل ما يشاء »[ب] . اهـ .

[أ] تفسير ابن كثير ٤ / ٤٩٨ .

[ب] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢ / ٧٢ ح ١٢٥١١) عن ابن عباس أن نبي الله قال : .. به والهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ١٩١) وقال : رواه الطبراني من طريقين ورجال هذه ثقات .

الفصل الثالث

في إنزال القرآن

جاء في « تفسير ابن كثير » عند قوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ...الآية ﴾ [البقرة : ١٨٥] ما ملخصه : روى الإمام أحمد بن حنبل أن رسول الله ﷺ قال : أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان ، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان ، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان »[أ] .

وفي حديث جابر بن عبد الله : أن الزبور أنزل لثنتي عشرة خلت من رمضان ، والإنجيل لثماني عشرة[ب] والباقي كما تقدم .

وقال إسرائيل عن السدى عن محمد بن أبي المجالد عن مقسم عن ابن عباس أنه سأل عطية بن الأسود فقال : وقع في قلبي الشك قول الله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [البقرة : ١٨٥] وقوله : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ [الدخان : ٣] وقوله : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر : ١] وقد أنزل في شوال وفي ذي القعدة وفي ذي الحجة وفي المحرم وصفر وشهر ربيع ، فقال ابن عباس ، إنه أنزل في رمضان في ليلة القدر ، وفي ليلة مباركة جملة واحدة ، ثم أنزل على مواقع النجوم ترتيلًا في الشهور والأيام[ج] .

[أ] أخرجه ابن كثير في تفسيره (١ / ٢١٧) عن أبي المليح عن واثلة يعني ابن الأسقع أن رسول الله ﷺ قال : .. به ، وأحمد في مسنده (٤ / ١٠٧) بإسناده .

[ب] أخرجه ابن كثير في تفسيره (١ / ٢١٧) عن جابر بن عبد الله .

[ج] أخرجه ابن كثير في تفسيره (١ / ٢١٧) والطبري في تفسيره (٢ / ١٤٦) والسيوطي في الإتقان ١ / ١٨٨

وفي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : أنزل القرآن في النصف الثاني من شهر رمضان إلى سماء الدنيا فجعل في بيت العزة(١) ثم أنزل على رسول الله ﷺ في عشرين سنة(٢) ؛ لجواب كلام الناس[أ] . وفي رواية عكرمة عن ابن عباس قال : نزل القرآن في شهر رمضان في ليلة القدر إلى هذه السماء الدنيا جملة واحدة ، وكان الله يحدث لنبيه ما يشاء ، ولا يجيء المشركون بمثل يخاصمون به إلا جاءهم الله بجوابه ، وذلك قوله : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا * وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان : ٢٢ - ٢٣] » اهـ . من « تفسير ابن كثير »[ب] .

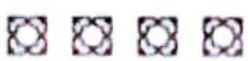

(١) وهو البيت المعمور وهو مسامت للكعبة بحيث لو نزل لنزل عليها .

(٢) وفي رواية ابن عباس السابقة في ثلاث وعشرين سنة لأن بعضهم يقول كان ﷺ أول ما نزل عليه القرآن في الأربعين من عمره على أرجح الأقوال ، وبعضهم يقول : كان في الثالثة والأربعين ، وبعضهم يقول . كان في الثانية والأربعين ، وهجرته ﷺ إلى المدينة كانت بعد مضي ثلاث وخمسين سنة من مولده صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

[أ] أخرجه ابن كثير في تفسيره (١ / ٢١٧) بإسناده .

[ب] أخرجه ابن كثير في تفسيره (١ / ٢١٧) بإسناده .

الباب الثاني

[جمع القرآن وكتابته وضبطه وترتيب سوره ونزوله على سبعة أحرف]

وفيه خمسة فصول :

[الفصل الأول : في جمع القرآن الكريم

الفصل الثاني : في احتياط الصحابة في كتابة القرآن

الفصل الثالث : في ضبط وتصحيح المصحف الكريم

الفصل الرابع : في تريب آيات القرآن وسوره

الفصل الخامس : في نزول القرآن على سبعة أحرف]

الفصل الأول

في جمع القرآن الكريم[أ]

يطلق جمع القرآن تارة على حفظه في الصدور ، وتارة على كتابته .

فعلى المعنى الثاني نقول : إن القرآن جمع ثلاث مرات :

الجمع الأول

كتب كله في عهد النبي ﷺ لكن غير مجموع في موضوع واحد ولا مرتب السور بل كان مفرقًا في العسُب واللِخاف والرقاع والأقتاب(١) ونحوها مع كونه محفوظًا في الصدور .

(١) **العُسُب** : بضم فسكون وبضمتين أيضًا جمع عسيب ، وهو جريد النخل ، كانوا يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض ، واللخاف : بكسر اللام جمع لخفة بفتح فسكون وتجمع أيضًا على لُخُف بضمتين : وهي صفائح الحجارة الرقاق ، والرقاع : بالكسر جمع رقعة بالضم وهي القطعة من النسيج أو الجلد . والأقتاب : جمع قَتَب بفتحتين وهو رحل البعير .

[أ] ذكر البخاري في صحيحه ثلاث روايات ذكر في مجموعها سبعة من القراء هم : عبد الله بن مسعود ، وسالم بن معقل مولى أبي حذيفة ، ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد بن السكن ، وأبو الدرداء ، وذكر هؤلاء السبعة لا يعني بالضرورة أنه لم يكن هناك غيرهم من الحفظة الكتبة ، وإنما هو محمول على أن هؤلاء هم الذين جمعوا القرآن كله في صدورهم وعرضوه على النبي واتصلت بنا أسانيدهم ، أما غيرهم من حفظة القرآن فلم تتوفر فيهم هذه الأمور كلها لاسيما وأن الصحابة تفرقوا في الأمصار وحفظ بعضهم عن بعض ويكفي دليلا على ذلك أن الذين قتلوا في بئر معونة من الصحابة كان يقال لهم القراء ، وكانوا سبعين رجلا كما في الصحيح ، قال السيوطي في الإتقان (١ / ٢٤٥) : قال القرطبي : قد قتل يوم اليمامة سبعون من القراء ، وقتل في عهد النبي ﷺ ببئر معونة مثل هذا العدد . وهذا هو ما فهمه العلماء وأولوا به الأحاديث الدالة على حصر الحفاظ في السبعة المذكورين .

فقد روي الحاكم في المستدرك عن زيد بن ثابت قال : كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع[أ] . الحديثَ .

وعنه أيضًا قال : كنت أكتب الوحي عند رسول الله ﷺ وهو يملي عليَّ فإذا فرغت قال : « اقرأه » فأقرؤه فإن كان فيه سقط أقامه »[ب] .

وروى البخاري عن البراء قال : لما نزلت : ﴿ لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء : ٩٥] قال النبي ﷺ : « ادعُ لي زيدًا ، ولْيجئ باللوح والدواة والكَتِف - أوالكتِف والدواة » - ثم قال « اكتب : ﴿ لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ ﴾ [النساء : ٩٥] الحديث[ج] ، وأخرج مسلم من حديث أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ لا تكتبوا عني [د] شيئًا غير القرآن][1] . ؟

---

(١) قال النووي في « شرحه على صحيح مسلم » عند هذا الحديث ما ملخصه : قيل : إنما نهي عن كتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة ؛ لئلا يختلط فيشتبه على القارئ ، وقيل : إن حديث النهي منسوخ بجملة أحاديث « ذكرها النووي في شرحه » ثم قال : « قال القاضي : كان بين السلف من الصحابة والتابعين اختلاف كثير في كتابة العلم ، فكرهها =

[أ] أخرجه الحاكم في المستدرك (٢ / ٦٦٨) عن عبد الرحمن بن شماسة عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : .. به ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وفيه الدليل الواضح أن القرآن إنما جمع في عهد رسول الله ﷺ ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (١ / ٣٢٠) بإسناده .

[ب] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير(٥ / ١٤٢ ح ٤٨٨٨) عن بن سليمان بن زيد بن ثابت عن أبيه عن جده زيد بن ثابت قال : كنت أكتب الوحي عند رسول الله ﷺ وكان يشتد نفسه ويعرق عرقا شديدا مثل الجمان ثم يسري عنه ، فأكتب وهو يملي علي ، فما أفرغ حتى يثقل ، فإذا فرغت قال : .. به ، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٢٥٧) وقال : رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما ثقات .

[ج] أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب كاتب النبي ﷺ (٤٩٩٠) عن البراء قال : .. به .

[د] زيادة لابد منها .

* قال الحارث المحاسبي في كتاب « فهم السنن » : « كتابة القرآن ليست بمحدثة ؛ فإنه ﷺ كان يأمر بكتابته ، ولكنه كان مفرقًا في الرقاع والأكتاف والعسب »[أ] اهـ .

وعدم جمعه في مجلد في حياته عليه الصلاة والسلام كان لأمرين :

الأول : الأمن فيه من وقوع خلاف بين الصحابة لوجوده ﷺ بين أظهرهم .

الثاني : خوف نسخ شيء منه بوحي قرآن بدله .

ففي الإتقان : قال الخطابي : إنما لم يجمع ﷺ القرآن في مصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته ، فلما انقضى نزوله بوفاته(١) ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة[ب] .

= كثيرون منهم ، وأجازها أكثرهم ، ثم أجمع المسلمون على جوازها وزال ذلك الخلاف » اهـ . (شرح النووي على صحيح مسلم ١٠/ ٥٨ ، الديباج على صحيح مسلم ٣٠٣/٦ ، تدريب الراوي ٦٧/٢)

(١) توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين ١٣ ربيع الأول سنة إحدى عشرة للهجرة . نقل ذلك السيوطي في الإتقان في علوم القرآن ١ / ١٦٣ ، والزرقاني في مناهل العرفان١ / ١٧٤ .

[أ] زيادة لابد منها ؛ لأنها من لفظ مسلم ، حيث أخرج الحديث مسلم في كتاب الزهد والرقائق ، باب الثبت في الحديث وحكم كتابة العلم (٣٠٠٤) ولفظه : عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : لا تكتبوا عني ، ومن كتب القرآن فليمحه ، وحدثوا عني ولا حرج ، ومن كذب علي – قال همام : أحسبه قال : متعمدا – فليتبوأ مقعده من النار . أما الرواية بلفظها : فقد أخرجه أحمد في مسنده (٣ / ١٢) والحاكم في المستدرك (١ / ٢١٦) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقد تقدم أخبار عبد الله بن عمرو في إجازة الكتابة .

[ب] الإتقان في علوم القرآن ١ / ١٦٠ .

* وإلى ما تقدم أشار العلامة الشيخ محمد العاقب الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله :

لم يجمع القرآن في مجلد على الصحيح في حياة أحمد
للأمن فيه من خلاف ينشأ وخيفة النسخ بوحي يطرأ
وكان يكتب على الأكتاف وقطع الأدم واللخاف
وبعد إغماض النبي فالأحق أن أبا بكر بجمعه سبق
جمعه غير مرتب السور بعد إشارة إليه من عمر
ثم تولى الجمع ذو النورين فضمه ما بين دفَّتين
مرتب السور والآيات مخرَّجا بأفصح اللغات

الجمع الثاني جمع أبي بكر الصديق رضي الله عنه

روى البخاري في « صحيحه » عن عبيد بن السَّبَّاق[١] أن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : أرسل إليَّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة ، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، قال أبو بكر رضي الله عنه : إن عمر أتاني فقال : إن القتل قد استحرَّ يوم اليمامة[٢] بقرَّاء القرآن ، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقرَّاء

---

(١) قال في فتح الباري عبيد بن السباق بفتح المهملة الموحدة مدني يكنى أبا سعد ذكره مسلم في الطبقة الأولى من التابعين . (فتح الباري ١١/٩)

(٢) استحر القتل : أي اشتد ، واليمامة : واقعة جهة نجد ، وكانت مع مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة ، وقد قتل في هذه الوقعة ، وابتدأت غزوتها في أواخر عام الحادي عشر ، وانتهت في ربيع الأول عام الثاني عشر للهجرة ، وفيها قتل من القراء سبعون قارئًا من الصحابة ، وقيل : سبعمائة ، وقد قتل منهم مثل هذا العدد في بئر معونة قرب المدينة في عهد النبي ﷺ ، ولا يخفى أن قتل =

بالمواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن ، فقلت لعمر : كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟

قال عمر : هذا والله خير . فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر .

قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا نتّهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبّع القرآن فاجمعه ، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني من جمع القرآن(١) .

قلت : كيف تفعلون شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال : هو والله خير ، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فتتبعت القرآن أجمعُه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره(٢) : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ

= مثل هذا العدد من القراء ليس بقليل خصوصًا والكتابة ما كانت منتشرة عندهم حتى يرجعوا إلى ما كتبوه بل كان اعتمادهم على ما في صدورهم .

(١) استثقاله لهذا الأمر لم يكن من جهة ما يحصل له من المشقة والتعب ، وإنما كان خوفًا من إقدامه على أمر لم يفعله رسول الله ﷺ ولم يأمر به ، فلما ظهرت له المصلحة في ذلك أقدم عليه بهمة ونشاط .

(٢) أي لم يجد صحيفتها وإلا فهي محفوظة في الصدور ، أو لم يجد في آخر سورة التوبة قراءة من الأحرف السبعة إلا عند أبي خزيمة الأنصاري .. فتأمل . ولم يذكره أحد أنه من حفاظ القرآن ولكن قد يحفظ منه بعض السور والآيات ، وقد جاء من طريق أبي العالية أنهم لما جمعوا القرآن في خلافة أبي بكر كان الذي يملي عليهم أبيّ بن كعب ، =

عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ [التوبة : ١٢٨] حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه(١) رواه البخاري في كتاب التفسير في باب جمع القرآن ، ورواه أيضًا في الكتاب المذكور في سورة براءة[أ] .

= فلما انتهوا من براءة إلى قوله ﴿ يَفْقَهُونَ ﴾ ظنوا أن هذا آخر ما نزل منها ، فقال أبي بن كعب : أقرأني رسول الله ﷺ آيتين بعدهن ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ إلى آخر السورة . قال في « فتح الباري شرح صحيح البخاري » : « الأرجح : أن الذي وجد معه آخر سورة التوبة أبو خزيمة بالكنية ، والذي وجد معه الآية من الأحزاب خزيمة ، وأبو خزيمة قيل : هو بن أوس بن زيد ابن أصرم مشهور بكنيته دون اسمه ، وقيل : هو الحارث بن خزيمة ، وأما خزيمة فهو ابن ثابت ذو الشهادتين » اهـ من « الفتح ٩/١٥ » .

(١) تقول « دائرة المعارف الإسلامية » : لماذا أودعت الصحف عند حفصة ولم تودع عند الخليفة الجديد الذي ولي أمر المسلمين وهو عثمان بن عفان ؟ (فنقول) : أودعت الصحف عند حفصة بوصية من أبيها عمر بن الخطاب ؛ لأنها كانت تحفظ القرآن كله في صدرها ، وكانت تقرأ وتكتب ، وهي زوجة رسول الله ﷺ أم المؤمنين وابنة عمر بن الخطاب خليفة المسلمين ، ثم إنه لم يتعين خليفة حين وفاة عمر حتى تسلم إليه ؛ لأن عمر لم يوص بالخلافة إلى أحد ، وإنما جعلها شورى في بضعة أشخاص ، فلهذه الاعتبارات كانت حفصة رضي الله عنها أولى من غيرها بحفظ المصحف ، ونظر عمر أصوب وأحكم . وفي كتاب « الإصابة » قال أبو عمر : أوصى عمر إلى حفصة وأوصت حفصة إلى أخيها عبد الله بما أوصى به إليها عمر ، وبصدقة تصدقت بها بالغابة . توفي عمر رضي الله عنه في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين [الإصابة ٧/٥٨٢] .

[أ] أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن ، باب قوله ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٤٦٧٩) عن الزهري قال : أخبرني ابن السباق أن زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه وكان ممن يكتب الوحي قال : .. به ؛ وكتاب فضائل لقرآن ، باب جمع القرآن (٤٩٨٦) بإسنادة .

وجاء في رواية ابن أبي داود : أن عمر بن الخطاب سأل عن آية من كتاب الله فقيل : كانت مع فلان قتل يوم اليمامة ، فقال : إنا لله ، فأمر بجمع القرآن[أ] أي راجع أبا بكر حتى أمر بجمعه

(ويحتار بعضهم) .في فهم هذه الرواية كيف أن الآية التي سأل عنها عمر لا توجد إلا مع فلان الذي قتل يوم اليمامة فنقول : إن منطوق الرواية لا يدل على حصر الآية عند فلان ؛ فهناك غيره ممن يحفظها أيضًا ، فعمر لما سمع بقتل فلان يوم اليمامة خاف من قتل حفاظ كلام الله تعالى أن يضيع القرآن فراجع أبا بكر في ذلك حتى جمعه في الصحف .

وجاء في رواية أخرى : أن عمر بن الخطاب دخل على أبي بكر فقال : إن أصحاب رسول الله ﷺ باليمامة يتهافتون تهافت الفراش في النار ، وإني أخشى أن لا يشهدوا موطنًا إلا فعلوا ذلك حتى يقتلوا وهم حملة القرآن فيضيع القرآن وينسى ، ولو جمعته وكتبته ، فنفر منها أبو بكر وقال : أفعل ما لم يفعل رسول الله ﷺ ؟! فتراجعا في ذلك ، ثم أرسل أبو بكر إلى زيد بن ثابت(١) ، قال زيد :

---

(١) هو زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي يقال : إنه شهد أحدًا واستصغر يوم بدر ، ويقال ، أول مشاهده الخندق ، وكتب الوحي وغيره للنبي ﷺ وكان من علماء الصحابة وأعلمهم بالفرائض وفيه جاء الحديث أفرض أمتي زيد بن ثابت [أخرجه الحاكم في المستدرك ٣٧٢/٤ ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه] ، وعن خارجة بن زيد عن أبيه قال : أتي بي النبي ﷺ مقدمه المدينة ، فقيل : هذا من بني النجار ، وقد قرأ سبع عشرة سورة ، فقرأت عليه فأعجبه ذلك ، فقال : =

[أ] ذكره السيوطي في الإتقان (١ / ١٦٢) وعزاه إلى ابن أبي داود من طريق الحسن : .. به .

فدخلت عليه وعمر مسرْبَل(١) فقال لي أبو بكر: إن هذا قد دعاني إلى أمر فأبيت عليه وأنت كاتب الوحي فإن تكن معه اتبعتكما وإن توافقني لا أفعل ، فاقتصَّ أبو بكر قول عمر وعمر ساكت ، فنفرت من ذلك ، وقلت : يفعل ما لم يفعل رسول الله ﷺ ؟! إلى أن قال عمر : كلمة وما عليكما لو فعلتما ذلك ؟ فذهبنا ننظر فقلنا : لا شيء والله ما علينا في ذلك شيء ، قال زيد : فأمرني أبو بكر فكتبته في قِطَع الأُدُم وكِسَر الأكتاف والعُسب(٢) اهـ[أ] .

وهذه الرواية أوردها الطبري في تفسيره وهل اللفظ واحد أم لا يحتاج إلى المراجعة[ب] .

= تعلم كتاب يهود فإني ما آمنهم على كتابي ، ففعلت فما مضى لي نصف شهر حتي حذقته فكنت أكتب له إليهم ، وإذا كتبوا إليه قرأت له ، استخلفه عمر بن الخطاب على المدينة ثلاث مرات وكان عثمان إذا حج يستخلفه على المدينة أيضًا ورمي زيد يوم اليمامة بسهم فلم يضره - مات وهو ابن ست وخمسين ، وقيل : أربع وخمسين : واختلف في وقت وفاته فقيل : سنة خمس وأربعين ، وقيل : غير ذلك ، قال أبو هريرة . حين مات زيد : اليوم مات حبر هذه الأمة ، وعسى الله أن يجعل في ابن عباس منه خلَفًا اهـ ملخصًا من الإصابة [٢/٥٩٤] والاستيعاب ، والمراد بكتاب يهود : السريانية كما في الرواية الأخرى الآتية في الفصل الثاني ، وقيل : العبرانية ، والله تعالى أعلم .

(١) السربال ما يلبس من قميص أو درع . قاله في المصباح .

(٢) الأُدُم : بضمتين وبفتحتين أيضا جمع أديم وهو الجلد المدبوغ ، والأكتاف جمع كتف : وهو عظم عريض يكون في أصل كتف الحيوان ، والعسب : بضم فسكون وبضمتين أيضًا جمع عسيب : وهو جريد النخل إذا نزع منه خوصه .

[أ] ذكره الخطيب في كتاب الفصل للوصل المدرج (١ / ٣٩٨) وابن حجر في فتح الباري ٩ / ١٣ .

[ب] لم نعثر على هذه الرواية بلفظها أو ما يقاربها عند الطبري .

وكان زيد لا يقبل من أحد شيئًا حتى يشهد شهيدان فإن أبا بكر قال لعمر ولزيد اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه[أ] - أخرجه ابن أبي داود من طريق هشام بن عروة عن أبيه(١) .

* جاء في كتاب « نهاية القول المفيد » : « فإن قيل : كان زيد حافظًا للقرآن وجامعًا له فما وجه تتبعه المذكورات ؟

والجواب : أنه كان يستكمل وجوه قراءاته ممن عنده ، ما ليس عنده وكذا نظره في المكتوبات التي قد عرف كتابتها وتيقن أمرها ، فلابد من النظر فيها وإن كان حافظًا ليستظهر بذلك وليعلم هل فيها قراءة غير قراءته أم لا ، وإذا استند الحافظ عند الكتابة إلى أصل يعتمد عليه كان آكد وأثبت في ضبط المحفوظ »[ب] .

* وجاء في « إرشاد القراء والكاتبين » : « أن زيدًا كتب القرآن كله بجميع أجزائه وأوجهه المعبر عنها بالأحرف السبعة الواردة في حديث : « إن هذا

---

(١) انظر : الفصل الثاني في احتياط الصحابة في كتابة القرآن .

[أ] ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٣٢٢) والإتقان في علوم القرآن (١ / ١٦٢) والمباركفوري في تحفة الأحوذي (٨ / ٤٠٨) وقال : وكان المراد بالشاهدين الحفظ والكتاب والمراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التي نزل بها القرآن ، وكان غرضهم أن لا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي النبي لا من مجرد الحفظ وصدور الرجال ؛ أي الحفاظ منهم ؛ أي حيث لا أجد ذلك مكتوبا أو الواو بمعنى مع ؛ أي اكتبه من المكتوب الموافق للمحفوظ في الصدور .

[ب] نهاية القول في علم التجويد ص ١٩٥

القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرؤا ما تيسر منه »[أ] ، وكان أولاً أتاه جبريل فقال له : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف واحد ، ثم راجعه إلى السابعة . فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف ، فأيما حرف قرأوا عليه أصابوا[ب] »(١) اهـ من « عنوان البيان في علوم التبيان » .

فأبو بكر رضي الله عنه هو أول من جمع القرآن الكريم بالأحرف السبعة التي نزل بها ، وإليه تنسب الصحف البكرية[ج] وكان ذلك بعد وقعة اليمامة التي كان انتهاؤها سنة اثنتي عشرة للهجرة[د] .

فجمعه للقرآن كان في سنة واحدة تقريبا(٢) ؛ لأنه وقع بين غزوة اليمامة وبين وفاته رضي الله عنه التي كانت في جمادي الثانية سنة ثلاثة عشر ،

---

(١) سيأتي شرح هذا الحديث في الفصل الخامس من الباب الثاني .

(٢) لولا همة الصحابة الذين بذلوا أنفسهم لله لما تم في مدة سنة واحدة كتابة المصحف بالأحرف السبعة كلها وجمعه من الأحجار والعظام والجلود ونحوها ، فانظر إلى توفيق الله لهم وعنايته بهم ، وتأمل كيف خدموا الدين ونشروا الإسلام رضي الله عنهم .

[أ] أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (٤٩٩٢) عن عبيد الله بن عبد الله أن ابن عباس رضي الله عنهما حدثه أن رسول الله ﷺ قال : .. به ..

[ب] أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين ، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه (٨١٩) عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن ابن عباس حدثه أن رسول الله ﷺ قال : أقرأني جبريل عليه السلام على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده فيزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف . قال بن شهاب : بلغني أن ذلك السبعة الأحرف إنما هي في : الأمر الذي يكون واحدا لا يختلف في حلال ولا حرام .

[ج] هذا مصطلح لا يعرف عند القدماء أو المحدثين ، ولا داعي لإطلاقه وإنما الذي عرف هو الجمع البكري لا الصحف البكرية (المحقق) .

[د] انظر تفصيل ذلك في الإتقان (١ / ١٦٣) .

قال على بن أبي طالب : أعظم الناس في المصاحف أجرًا أبو بكر ، رحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع كتاب الله[أ] .

ويسأل بعضهم : لماذا لم يأمر أبو بكر أو عمر أن ينسخ الناس مصاحف مما كتبه زيد بن ثابت ؟ ولماذا لم يحرص كبار الصحابة على أن يكون لدى كل واحد منهم أو لدى بعضهم على الأقل نسخ من هذه الصحف التي تتضمن كتاب الله ؟

فنقول : إن أبا بكر رضي الله عنه لم يجمع القرآن لحدوث خلل في قراءته وإنما جمعه خوفًا من ذهاب حملته بقتلهم في الغزوات ، وكان جمعه له بالأحرف السبعة والناس يقرؤن بها إلى زمن عثمان ، فلا يختلف مصحف أبي بكر عما يقرؤه الناس ويحفظونه ، فلا داعي اذًا لحمل الناس على مصحفه .

أما عثمان رضي الله عنه ؛ فإنه لم يجمع القرآن إلا بعد أن رأى اختلاف الناس في قراءته حتى أن بعضهم كان يقول : إن قراءتي خير من قراءتك[ب] . وكان جمعه له بحرف واحد وهو لغة قريش ، وترك الأحرف الستة الباقية[ج] ، فكان من الواجب حمل الناس على اتباع مصحفه ، وعلى قراءته بحرف واحد فقط قبل أن يختلفوا فيه اختلاف اليهود والنصارى كما ترى تفصيل ذلك في الجمع الثالث .

أما عدم نسخ كبار الصحابة مصاحف على نمط ما جمعه أبو بكر : فلم

[أ] أخرجه خيثمة في حديثه (١ / ٣٥) عن عبد خير قال : سمعت عليا يقول : .. به ، والسيوطي في الإتقان في علوم القرآن (١ / ١٦١) .

[ب] ذكره القرطبي في تفسيره ١ / ٥٢ ، والسيوطي في الإتقان في علوم القرآن (١ / ١٦٦) .

[ج] وليس ما ذكره هو الصواب بل إن القراءات العشر المتواترة التي نقرأها الآن تحتوى على الأحرف السبعة وهذا هو الراجح . المحقق .

يكن هناك ما يدعو لذلك لعدم اختلاف ما جمعه أبو بكر بما عند الناس ، وأن بعضهم كتبوا مصاحفهم على عهد النبي ﷺ وتلقوه منه سماعًا - فكان جمع أبي بكر بمثابة سجل للقرآن يرجع إليه إذا حدث أمر كما وقع لعثمان حين جمعه القرآن ، فإنه رجع إلى الصحف البكرية وكانت عند حفصة بنت عمر .

* ويسأل بعضهم أيضًا : لِمَ لَمْ يجتمع أبو بكر وعثمان وعليٌّ على نسخ المصحف وهم يحفظونه كله في صدورهم ؟

فنقول : إن أبا بكر هو خليفة المسلمين وهؤلاء هم كبار الصحابة وهم أصحاب الرأي والشورى ، ومنهمكون في الغزوات ونشر الإسلام والنظر في مصالح الأمة فاشتغالهم بأنفسهم بجمع القرآن يمنعهم عن النظر في شئون المسلمين ؛ لأن التفرغ لجمعه يحتاج إلى مدة طويلة وعناء عظيم .

وإذا عرفت أنهم كانوا يجمعونه مما كتب على نحو : العظام والألواح والحجارة ، وأنهم ما كانوا يقبلون من أحد شيئًا من القرآن إلا بشاهدين ؛ علمت أنهم يحتاجون في البحث والترتيب والمراجعة والتصحيح إلى مدة غير قصيرة ، وظهر لك ما تحملوه من المشقة العظمى والتعب الكبير - خصوصًا وأنهم في هذه المرة جمعوه بالأحرف السبعة كلها .

وهذا يستلزم أن يكون حجم مصحف أبي بكر أضعاف حجم مصحف عثمان ؛ لأن هذا جمعه على حرف واحد من الأحرف السبعة[أ] .

[أ] قال الزركشي في البرهان في علوم القرآن (١ / ٢٢٦) : لما خافت الصحابة من اختلاف القرآن رأوا جمعه على حرف واحد من تلك الحروف السبعة ، ولم يثبت من وجه صحيح تعين كل حرف من هذه الأحرف ولم يكلفنا الله ذلك غير أن هذه القراءة الآن غير خارجة عن الأحرف السبعة ، وقال =

لذلك أسند الخلفاء الأربعة جمع القرآن إلى زيد بن ثابت كاتب الوحي بين يدي رسول الله ﷺ ، وهو الذي شهد العَرْضَة الأخيرة ، وكان من حفظة القرآن وأعلم الصحابة ، فقام بهذه المهمة خير قيام في مصحف أبي بكر ، وفي مصحف عثمان رضي الله عنهم(١) وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

والحقيقة لو لم يلهم الله تعالى هؤلاء الصحابة الكرام بجمع القرآن العظيم بكتابته في الصحف لذهب بموت حفاظه وانقراض الصحابة ، وهذا مصداق قوله عز وجل : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩]

ولقد كان سعي عمر رضي الله عنه لجمع القرآن من فضائله التي لا تحصى ومناقبه التي لا تستقصى كيف وقد قال فيه ﷺ : « إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه »[أ] .

وقال : « لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدَّثون ، فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر » رواه البخاري ومسلم[ب] .

---

(١) كان عمر زيد حين كتب مصحف أبي بكر نحو اثنتين وعشرين سنة ، وكان عمره حين كتب مصحف عثمان نحو خمس وثلاثين سنة .

= بعض المتأخرين : الأشبه بظواهر الأحاديث أن المراد بهذه الأحرف اللغات وهو أن يقرأ كل قوم من العرب بلغتهم وما جرت عليه عادتهم من الإظهار والإدغام .

[أ] أخرجه الترمذي في كتاب المناقب ، باب في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٣٦٨١) عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : ... به .

[ب] أخرجه البخاري في كتاب المناقب ، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه (٣٦٨٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ... به ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عمر رضي الله عنه (٣٣٨٩) بإسناده .

قوله : « محدثون » هو بفتح الدال المهملة وتشديدها أي ملهمون .

وكما نزل القرآن بموافقته في أسرى بدر[أ] ، وفي الحجاب[ب] ، وفي تحريم الخمر[ج] . وافق عمر الحق والصواب في إشارته على أبي بكر بجمع القرآن .

ولقد جمع بعضهم موافقات عمر رضي الله عنه في منظومة أولها :

الحمد لله وصلى اللهُ على نبيه الذي اجتباه
يا سائلي والحادثات تكثر عن الذي وافق فيه عمر
وما يرى أنزل في الكتاب موافقا لرأيه الصواب

الجمع الثالث

جمع عثمان بن عفان رضي الله عنه[١] ولم ينقل أنه كتب بيده مصحفًا ، وإنما أمر بجمعه وكتابته على حرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن فلذلك ينسب إليه ويقال : « المصحف العثماني » .

وسببه : كما في البخاري عن أنس : أن حذيفة بن اليمان[٢] قدم على

---

(١) تولى عثمان لآخر يوم من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين للهجرة ، فاستقبل بخلافته المحرم عام أربع وعشرين ، وقتل في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين .

(٢) هو حذيفة بن اليمان العبسي ، واسم اليمان حسيل بن جابر ، واليمان لقب كان أبوه أصاب دمًا فهرب إلى المدينة فحالف بني عبد الأشهل فسماه قومه اليمان لكونه خالف اليمانية وتزوج والدة حذيفة وهي من الأنصار اسمها الرباب بنت كعب بن عدي =

[أ] انظر في ذلك ما أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير (١٧٦٣) .
[ب] انظر في ذلك ما أخرجه البخاري في كتاب التفسير (٤٤٨٣) .
[ج] انظر في ذلك ما أخرجه النسائي في كتاب الأشربة (٥٥٤٠) .

عثمان ، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزعَ حذيفةَ اختلافُهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى(١) ، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم

= فولد له بالمدينة ، وأسلم حذيفة وأبوه وأراد شهود بدر فصدهما المشركون وشهد أحدًا فاستشهد اليمان بها ، وشهد حذيفة الخندق وله بها ذكر حسن وما بعدها . وروى حذيفة عن النبي ﷺ الكثير ، وهو معروف في الصحابة بصاحب سرّ رسول الله ﷺ ، روى مسلم عن عبد الله بن يزيد الخطمي عن حذيفة قال : لقد حدثني رسول الله ﷺ ما كان وما يكون حتى تقوم الساعة . وكان عمر ينظر إليه عند موت من مات منهم فإن لم يشهد جنازته حذيفة لم يشهدها عمر ، وكان فتح همدان والريّ والدينور على يد حذيفة سئل حذيفة أي الفتن أشد ؟ قال : أن يعرض عليك الخير والشر فلا تدري أيهما تركب . قال العجلي : استعمله عمر على المدائن فلم يزل بها حتى مات بعد قتل عثمان ، وبعد بيعة علي بأربعين يومًا وذلك سنة ست وثلاثين اهـ . ملخصًا من الإصابة [٤٤/٢] والاستيعاب . وحذيفة هذا هو الذي يقول « كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ، فقلت : يارسول الله إنا كنا ... الخ » وتمام الحديث في البخاري في كتاب الفتن [٧٠٨٤] وفي علامات النبوة أيضًا [٣٦٠٦] وتمامه في صحيح مسلم في كتاب الإمارة في باب الأمر بلزوم الجماعة [١٨٤٧] ولولا التطويل لسقنا الحديث بتمامه . فإنه حديث مهم .

(ونقول) بما أن النبي ﷺ حدث حذيفة بما كان وما يكون إلى يوم القيامة لا يبعد أن يسر عليه الصلاة والسلام إليه أن يحرض عثمان لجمع القرآن على حرف واحد إذا رأى اختلاف الناس في قراءته فكتم حذيفة هذا الأمر حتى جاء وقته .

(١) وفي رواية قدم حذيفة من أرمينيا فلم يدخل بيته حتى أتى عثمان فقال يا أمير المؤمنين أدرك الناس ... إلخ . وقد ذكر ابن حجر في فتح الباري عند هذا الحديث روايات كثيرة فيما اختلفوا فيه من القراءات لم ننقلها هنا خوف التطويل فراجعها إن شئت .

نردها إليك ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت(١) وعبد الله بن الزبير(٢) وسعيد بن العاص(٣) وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام(٤) فنسخوها في المصاحف(٥) ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة[أ] إذا

---

(١) تقدمت ترجمة زيد عند جمع أبي بكر للمصحف في صحيفة .

(٢) هو عبد الله بن الزبير بن العوام ، وأمه أسماء بنت أبي بكر ولدته سنة ثنتين من الهجرة ، وقيل : ولد في السنة الأولى ، وهو أول مولود ولد في الإسلام من المهاجرين بالمدينة ، وكانت به لسانة وفصاحة ، وكان كثير الصلاة والصيام ، بويع له بالخلافة سنة أربع وستين ، وقيل : خمس وستين ، وقتل في أيام عبد الملك سنة ثلاث وسبعين . اهـ ملخصًا من الاستيعاب .

(٣) هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ولد عام الهجرة ، وقيل : بل سنة إحدى ، وكان أحد أشراف قريش ممن جمع السخاء والفصاحة ، وهو أحد الذين كتبوا المصحف العثماني ، استعمله عثمان على الكوفة ، وغزا بالناس طبرستان فافتتحها ، توفي في خلافة معاوية سنة تسع وخمسين . اهـ ملخصًا من الاستيعاب [٦٢٢/٢] وقد ورد ابن العاص بالياء وبغير ياء .

(٤) هو عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي تزوج عمر أمه فنشأ في حجر عمر وتزوج بنت عثمان ، ثم كان ممن ندبه عثمان لكتابة المصاحف من شباب قريش ، قال ابن سعد [الطبقات ٥/٥] : كان من أشراف قريش ، قال ابن حبان : مات سنة ثلاث وأربعين . اهـ ملخصًا من الإصابة [٢٩/٥] .

(٥) وأخرج ابن أبي داود أنه جمع اثني عشر رجلًا من قريش والأنصار وقال لهم : إذا اختلفتم في لغة فاكتبوه بلغة قريش ، فلم يختلفوا إلا في ﴿ ٱلتَّابُوتُ ﴾ في البقرة ، فقال زيد : بالهاء ، وقال غيره بالتاء ، فكتبوه بالتاء .

[أ] وقيل إنه اختار لهذا العمل اثني عشر رجلا من خيرة أصحاب النبي ﷺ ؛ فقد ذكر السيوطي في الإتقان (١ / ١٦٥) : وأخرج ابن أبي داود من طريق محمد بن سيرين عن كثير بن أفلح قال لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثني عشر رجلا من قريش والأنصار فبعثوا إلى الربعة التي في بيت عمر فجئ بها وكان عثمان يتعاهدهم فكانوا إذا تداروا في شيء أخروه قال محمد فظننت أنما كانوا يؤخرونه لينظروا أحدثهم عهدا بالعرضة الأخيرة فيكتبونه على قوله .

اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فإنه إنما نزل بلسانهم ، ففعلوا(١) حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ، ردَّ عثمان الصحف إلى حفصة ، وأرسل إلى كل أُفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق(٢) .

---

(١) وفي البخاري في كتاب التفسير [الصواب : فضائل القرآن] في باب نزل القرآن بلسان قريش والعرب [٤٩٨٤] « وقال لهم (أي عثمان لزيد ومن معه من المذكورين) إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش ؛ فإن القرآن أنزل بلسانهم ففعلوا » . جاء في فتح الباري شرح صحيح البخاري [٩/٩] قال القاضي أبو بكر الباقلاني : معنى قول عثمان : نزل القرآن بلغة قريش : أي معظمه ، وإن لم تقم دلالة قاطعة على أن جميعه بلسان قريش ، فإن ظاهر قوله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ أنه نزل بجميع ألسنة العرب .. إلخ كلامه » وقال أبو شامة : يحتمل أن يكون قوله نزل بلسان قريش ؛أي ابتداء نزوله ، ثم أبيح أن يقرأ بلغة غيرهم كما سيأتي تقريره في باب إنزال القرآن على سبعة أحرف اهـ ، وتكميله أن يقول : أنه نزل أولًا بلسان قريش أحد الأحرف السبعة ، ثم نزل بالأحرف السبعة المأذون في قراءتها تسهيلًا وتيسيرًا كما سيأتي بيانه ، فلما جمع عثمان الناس على حرف واحد رأى أن الحرف الذي نزل القرآن أولًا بلسانه أولى الأحرف ، فحمل الناس عليه لكونه لسان النبي ﷺ ، ولما له من الأولية المذكورة ، وعليه يحمل كلام عمر لابن مسعود أيضًا اهـ من فتح الباري ، وكلام عمر لابن مسعود سيأتي قريبًا في الهامش [انظر أيضًا : تفسير القرطبي (٤٤/١) تحفة الأحوذي (٤١١/٨)] .

(٢) والسبب في إحراقها هو قطع جذور اختلاف الناس في القراءة فقد يكون بعضهم كتب شيئا من القرآن على غير وجه صحيح لما نشأ فيهم من الخلاف الذي كان سببا في قيام عثمان بجمع القرآن وحمل الناس عليه - فبإحراق تلك الصحف تتوحد قراءتهم على حرف واحد حسب ما في مصحف عثمان . روى أبو بكر بن أبي داود بإسناد =

قال ابن شهاب : وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت سمع زيد بن ثابت قال : فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها ، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري(١) : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب : ٢٣] فألحقناها في سورتها في المصحف - رواه البخاري في كتاب التفسير في باب جمع القرآن[أ] ورواه الطبري في تفسيره بلفظ آخر .

وفي رواية أبي قلابة : فلما فرغ عثمان من الصحف كتب إلى أهل الأمصار إني صنعت كذا وكذا ، ومحوت ما عندي ، فامحوا ما عندكم اهـ [ب]

وفي رواية شعيب عند ابن أبي داود(٢) والطبراني وغيرهما : وأمرهم أن

= صحيح عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك أو قال لم ينكر ذلك منهم أحد اهـ » وإنما لم يأمر عثمان بحرق صحف حفصة لأنها كتبت بأمر أبي بكر بالأحرف السبعة لا يتطرقها الشك وعنها نقل مصحفه ولأنه وعدها بردها إليها فبقيت عندها إلى وفاتها فلما توفيت استردها مروان حين كان أميرا بالمدينة من جهة معاوية وأمر بتشقيقها وغسلها وقال إنما فعلت هذا لأني خشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب في شأن هذه الصحف مرتاب » وقيل لما ماتت حفصة سلم عبد الله بن عمر هذه الصحف لجمع من الصحابة فغسلت غسلا .

(١) ستأتي ترجمة خزيمة في الفصل الثالث في ضبط وتصحيح المصحف العثماني .

(٢) هو ابن داود الظاهري وهو من جملة أصحاب الحديث .

[أ] أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن (٤٩٨٨) والترمذي في كتاب تفسير القرآن (٣١٠٤) .

[ب] ذكره عن ابن حجر في فتح الباري (٩ / ٢١) .

يحرقوا كل مصحف يخالف المصحف الذي أرسل به اهـ[أ] .

نقول : أكثر الروايات على الإحراق ، وبعضها على المحو ، فيمكن الجمع بينهما بأن نقول : كان الإحراق فيما كتب على نحو الجلود والعظام ، وكان المحو فيما كتب على نحو الألواح والحجارة والمحو قد يكون بالغسل وقد يكون بالطمس ، وفي رواية : أن حذيفة قال : « يا أمير المؤمنين أدرك الناس ، فقال عثمان : وما ذاك ؟ قال : غزوت مرج أرمينيا فحضرها أهل العراق وأهل الشام ، فإذا أهل الشام يقرؤن بقراءة أبيٍّ بن كعب فيأتون بما لم يسمع أهل العراق فيكفرهم أهل العراق ، وإذا أهل العراق يقرؤون بقراءة ابن مسعود فيأتون بما لم يسمع أهل الشام فيكفرهم أهل الشام ، قال زيد : فأمرني عثمان إلى آخر القصة[١] »[ب] .

---

(١) اعلم أن أهل دمشق وحمص أخذوا عن المقداد بن الأسود ، وأهل الكوفة عن ابن مسعود وأهل البصرة عن أبي موسى الأشعري وكانوا يسمون مصحفه لباب القلوب ، وقرأ كثير من أهل الشام بقراءة أبي بن كعب . انظر في الفصل الخامس من الباب الثاني في حديث إنزال القرآن على سبعة أحرف .

[أ] أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٢ / ٤١) عن أنس بن مالك أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان بن عفان في ولايته وكان يغزو مع أهل العراق قبل أرمينية وأذربيجان في غزوهم وذلك الفرج من أهل الشام وأهل العراق ، فتنازعوا في القرآن حتى سمع حذيفة رضي الله عنه من اختلافهم فيه ما ادعوه فركب حذيفة حتى قدم على عثمان رضي الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في القرآن اختلاف اليهود والنصارى في الكتب ، ففزع لذلك عثمان رضي الله عنه فأرسل إلى حفصة بنت عمر أن أرسلي إلينا بالصحف التي جمع فيها القرآن ، فأرسلت بها إليه حفصة فأمر عثمان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن ينسخوها في المصاحف وقال لهم إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عربيه من عربيه القرآن فاكتبوها بلسان قريش فإن القرآن أنزل بلسانهم ففعلوا حتى كتبت المصاحف ، ثم رد عثمان إلى حفصة وأرسل إلى كل جند من أجناد المسلمين بمصحف ، وأمرهم أن يحرقوا كل مصحف يخالف المصحف الذي أرسل به .

[ب] ذكر ابن حجر في فتح الباري (٩ / ١٨) والمباركفوري في تحفة الأحوذي (٨ / ٤١٠) .

وفي رواية : اختلفوا في القرآن على عهد عثمان حتى اقتتل الغلمان والمعلمون[١] فبلغ ذلك عثمان بن عفان فقال : عندي تكذِّبون به وتلحنون ، فيه فمن نآى عني من الأمصار كان أشد تكذيبًا وأكثر لحنًا ، يا أصحاب محمد اجتمعوا فاكتبوا للناس إمامًا[أ] .

وأخرج ابن أبي داود بسند صحيح عن سويد بن غفلة قال : قال عليٌّ : «لا تقولوا في عثمان إلا خيرًا ؛ فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا ، قال : ما تقولون في هذه القراءة ؟ فقد بلغني أن بعضهم يقول قراءتي خير من قراءتك وهذا يكاد يكون كفرًا ، قلنا : فما ترى ؟ قال : أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف ، قلنا : فنعم ما رأيت[٢]»[ب] .

---

(١) فإن قيل : كيف يتصور ذلك مع أن الطالب هو الذي يتلقى القرآن والعلم من معلمه ؟ نقول : يمكن ذلك بأن يسمع من أهله وجيرانه قراءة غير قراءة معلمه وتأكيدهم له بصحتها .

(٢) الظاهر من هذه الرواية والتي قبلها أن عثمان رضي الله عنه كان في نيته جمع الناس على مصحف واحد وعلى قراءة واحدة حين رأى اختلاف الناس في قراءة القرآن ، غير أنه لم يعزم على تنفيذ ما كان يضمره إلا بعد أن أنذره حذيفة صاحب سر رسول الله ﷺ من عاقبة هذا الاختلاف . بل إن عمر شعر بهذا في أيام خلافته ، فكتب إلى ابن مسعود يأمره أن يقرئ الناس القرآن بلغة قريش كما يأتي بعد هذا الكلام .

أقول : ليس المراد بقوله بلغة قريش أن يكون هذا منافياً للغة غيرها بل المراد أن لغة قريش كانت جامعة لغيرها من لغات العرب حيث كان لها الزعامة وجمعت في لغتها ما استعملته من لغات أو لهجات القبائل الأخرى وقد جاء في القرآن كثيرٌ من لهجات القبائل الأخرى غير قريش . المحقق

[أ] ذكره السيوطي في الإتقان في علوم القرآن (١ / ١٦٥) .

[ب] أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٢ / ٤٢) بإسناده ، والقرطبي في تفسيره ١ / ٥٢ ، و المباركفوري في تحفة الأحوذي ٨ / ٤١١ .

وقال عليٌّ أيضًا لو ولِّيت لعملت بالمصاحف التي عمل بها عثمان[أ] .

وفي « عنوان البيان » : « قال الألوسي في تفسيره : وهذا الذي ذكرناه من فعل عثمان هو ما ذكره غير واحد من المحققين حتى صرحوا بأن عثمان لم يصنع شيئًا فيما جمعه أبو بكر من زيادة أو نقص أو تغيير ترتيب سوى أنه جمع الناس على القراءة بلغة واحدة وهي لغة قريش محتجًا بأن القرآن نزل بلغتهم اهـ(١) »[ب] .

وهو ظاهر في أن ترتيب السور كترتيب الآيات كان في عهد أبي بكر رضي الله عنه خلافًا لما ذكره الحاكم في مستدركه » . انتهى « من عنوان البيان »[ج] .

« قال ابن حجر : وكان ذلك (أي جمع عثمان للمصحف) في سنة خمس وعشرين قال : وغفل بعض من أدركناه فزعم أنه كان في حدود سنة ثلاثين ولم يذكر مستندًا(٢) »[د] .

---

(١) وأخرج أبو داود من طريق كعب الأنصاري أن عمر كتب إلى ابن مسعود : أن القرآن نزل بلسان قريش فأقرئ الناس بلغة قريش لا بلغة هذيل ، قال ابن عبد البر : يحتمل أن يكون هذا من عمر على سبيل الاختيار ؛ لا أن الذي قرأ به ابن مسعود لا يجوز ، قال : وإذا أبيحت قراءته على سبعة أوجه أنزلت جاز الاختيار فيما أنزل اهـ من « فتح الباري على صحيح البخاري [٩/٩] » . وابن مسعود كان من هذيل وستأتي ترجمته .

(٢) إذا تحققنا متى كانت غزوة أرمينيا وأذربيجان وقدرنا المدة التي تستغرق كتابة المصحف =

[أ] ذكره الزركشي في البرهان في علوم القرآن (١ / ٢٤٠) والسيوطي في الإتقان في علوم القرآن (١ / ١٦٦) .

[ب] روح المعاني ٢٣/١ ط دار إحياء التراث العربي بيروت ـ لبنان .

[ج] انظر ذلك في فتح الباري ٩ / ٢١ ، تحفة الأحوذي ٨ / ٤١٤ .

[د] فتح الباري ٩ / ١٧ .

قال ابن التين وغيره : الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان أنَّ جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته ؛ لأنه لم يكن مجموعًا في موضع واحد ، فجمعه في صحائف مرتبًا لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبي ﷺ .

وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرأوه بلغاتهم على اتساع اللغات ، فأدى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعض ، فخشي من تفاقم الأمر في ذلك ، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتباً لسوره ، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجًا بأنه نزل بلغتهم ، وإن كان قد وسع في قراءته بلغة غيرهم رفعا للحرج والمشقة في ابتداء الأمر فرآى أن الحاجة إلى ذلك قد انتهت فاقتصر على لغة واحدة اهـ[أ] .

فلو تأملت ما كان يحصل لبعضهم في عهد النبي ﷺ من الفزع وتغير الحال عند سماعه قراءة لا يعرفها كما سيأتي بيانه عند حديث : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » ، لم تستغرب حدوث الاختلاف في قراءة القرآن بعد وفاته عليه الصلاة والسلام بنحو خمسة عشر عامًا ، وأن جمع عثمان القرآن بحرف واحد ، وحمل الناس عليه لهو عين الحكمة وعين الصواب ، وهو سرُّ

= ظهر لنا ذلك . وقد غزا العرب أرمينيا مرتين الأولى في عهد عمر بن الخطاب سنة ثمانية عشرة هجرية ، والثانية في عهد عثمان بن عفان سنة ست وعشرين كما ذكره الأستاذ عبد الوهاب النجار في كتابة تاريخ الإسلام ، قال : وجعل الطبري ذلك سنة إحدي وثلاثين .

[أ] ذكره السيوطي في الإتقان في علوم القرآن (١ / ١٦٦) .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] ولو تركنا الناس على ما كانوا عليه ولم تتوحد قراءتهم للقرآن لوقع التحريف والتبديل فيه إلى يوم القيامة .. فرضي الله تعالى عن صحابة رسول الله أجمعين .

* **فإن قيل** : لم امتثل زيد بن ثابت أمر عثمان بجمع القرآن ، ولم يمتثل أمر أبي بكر إلا بعد نظر ومراجعة ؟

نقول : كان ذلك مع أبي بكر ؛ لأن هذا الأمر لم يفعله رسول الله ﷺ ولم يأمر به ، فخوفًا من وقوعهم في محظور توقف هو وأبو بكر أيضًا عن موافقة عمر ، ثم بعد روية وتفكر ظهر لهم أن ذلك من المصلحة الدينية ، وأن تركهم له قد يؤدي إلى ضياع ما أنزله الله على رسوله ، فبعد أن جمع زيد المصحف لأبي بكر لا مبرر له في عدم موافقته وامتثاله أمر عثمان خصوصًا وقد رأى اختلاف الناس في قراءة القرآن .

* **وإن قيل** : لم أسند أبو بكر جمع المصحف لزيد وحده وأسنده إليه عثمان وأشرك معه رجالًا من قريش ؟

نقول : اختص أبو بكر زيدًا وحده لما يعهده فيه من النشاط وقوة الشباب ، ولأنه كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، فهو أدرى بأوجه القراءات كلها وعثمان إنما أشرك معه نفرًا من قريش ؛ لأنه يريد جمع القرآن على حرف واحد وهو لغة قريش[1] وزيد من الأنصار ، ولأنه يريد سرعة إنجاز جمعه

---

(١) سبق بيان ضعف هذا الرأي وقد ذكر المؤلف بعد صفحتين ما يفيد كلامنا من أن القراءات الموجودة الآن حوت الأحرف السبعة المحققة .

خوفًا من تفاقم أمر اختلاف الناس في القراءة .

ولننقل هنا شيئًا مناسبًا مما ذكره الإمام محمد جرير الطبري المولود سنة أربع وعشرين ومائتين في أول تفسيره ـ بعد أن بيَّن وجهة حمل عثمان الناس على مصحفه ـ وهو : **فإن قال بعض من ضعفت معرفته** : وكيف جاز لهم ترك قراءة أقرأهموها رسول الله ﷺ وأمرهم بقراءتها ؟

قيل : إن أمرهم بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض ، وإنما كان أمر إباحة ورخصة .. إلخ .

• **ويسأل بعضهم** : لِمَ لَمْ تكن الأحرف الستة الموجودة وقد أنزلت من عند الله تعالى على نبيه ﷺ وهو أقرأها أصحابه فإن نسخت فرفعت فما الدليل عليه ، وإن نسيتها الأمة وتركتها فذلك تضييع ما قد أمروا بحفظه ؟

فأجاب الإمام ابن جرير الطبري على هذه الأسئلة بقوله : لم تنسخ الأحرف الستة فترفع ، ولا ضيعتها الأمة ، وهي مأمورة بحفظها ؛ ولكن الأمة أمرت بحفظ القرآن وخيرت في قراءته وحفظه بأي تلك الأحرف السبعة شاءت وضرب لها مثلا في الفقه وهو إذا حنث موسر في يمين فله أن يختار كفارة من ثلاث كفارات : إما بعتق ، أو إطعام ، أو كسوة ، فكذلك الأمة أمرت بحفظ القرآن وقراءته ، وخيرت في قراءته بأي الأحرف السبعة شاءت ، فرأت لعلة من العلل أوجبت عليها الثبات على حرف واحد[1] قراءته بحرف

---

(١) فإن قال قائل : ما العلة التي أوجبت على الأمة الثبات على حرف واحد من الأحرف السبعة ؟ قيل : الخوف من ضياع القرآن باختلافهم في قراءته كما في تفسير الطبري .

واحد ، ورفض القراءة بالأحرف الستة الباقية ولم تحظر قراءته بجميع حروفه على قارئه بما أذن له في قراءته به »[١] اهـ

ثم أورد الطبري أنباء ما قد حدث في أيام أبي بكر وعثمان من جمع المصحف اهـ كلام ابن جرير رحمه الله تعالى . ولا يخفى أن جوابه سديد ومعتمد ، وقد أطال البحث في هذا الموضوع فراجع تفسيره إن شئت[أ] .

• وجاء في « فتح الباري على صحيح البخاري » : « قال أبو شامة : وقد اختلف السلف في الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن هل هي مجموعة في المصحف الذي بأيدي الناس اليوم أو ليس فيه إلا حرف واحد منها ؟ مال الباقلاني إلى الأول وصرح الطبري وجماعته بالثاني وهو المعتمد » اهـ منه[ب] .

• وجاء في « فتح الباري » أيضًا ما نصه : « وسبب اختلاف القراءات السبع وغيرها - كما قال ابن هشام - : أن الجهات التي وجّهت إليها المصاحف كان بها من الصحابة من حمل عنه أهل تلك الجهة ، وكانت المصاحف خالية من النقط والشكل ، قال : فثبت أهل كل ناحية على ما كانوا تلقوه سماعًا عن الصحابة بشرط موافقة الخط ، وتركوا ما يخالف الخط امتثالاً لأمر عثمان الذي وافقه عليه الصحابة لما رأوا في ذلك من الاحتياط للقرآن ، فمن ثم نشأ الاختلاف بين قراءة الأمصار مع كونهم

---

(١) تفسير الطبري ١/٨٧ .

[أ] تفسير الطبري ١ / ٧٩ وما بعدها طبعة دار السلام للطباعة والنشر - تحقيق أحمد عبد الرازق البكري .
[ب] فتح الباري ٩ / ٢٩ .

متمسكين بحرف واحد من السبعة » اهـ من فتح الباري لابن حجر[أ] .

* فخلاصة ما تقدم :

* أن أبا بكر أول من جمع القرآن بإشارة عمر رضي الله عنهما ، وكان جمعه بالأحرف السبعة كلها التي نزل بها القرآن ، وسببه الخوف من ضياعه بقتل القراء في الغزوات .

* ثم في خلافة عثمان كثر اختلاف الناس في قراءة القرآن فخشي رضي الله عنه عاقبة هذا الأمر الخطير ، وقام بجمع القرآن على حرف واحد من الأحرف السبعة وهو حرف قريش ، وترك الأحرف الستة الباقية حرصًا منه على جمع المسلمين على مصحف واحد وقراءة واحدة(١) ، وعزم على كل من كان عنده مصحف مخالف لمصحفه الذي جمعه أن يحرقه فأطاعوه واستصوبوا رأيه.

* فالمصحف العثماني لم يجمع إلا بحرف واحد من الأحرف السبعة ، وأن القراءات المعروفة الآن جميعها في حدود ذلك الحرف الواحد فقط .

* وأما الأحرف الستة فقد اندرست بتاتًا من الأمة كما صرح بهذا الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره حيث قال : « فتركت الأمة القراءة بالأحرف الستة التي عزم عليها إمامها العادل (يعني عثمان) في تركها طاعة منها له ، ونظرًا

(١) ما ذكر المؤلف غير صحيح وقد سبق الاشارة إلى أن الجمع قد اشتمل على الأحرف السبعة جميعها وليس حرفا واحدا وهذه الأحرف حوت القراءات المتواترة والتي نقرؤ بها الآن (المحقق) .

[أ] فتح الباري ٩ / ٣٠ - ٣١ .

منها لأنفسها ولمن بعدها من سائر أهل ملتها ، حتى درست من الأمة معرفتها وتعفت آثارها ، فلا سبيل لأحد اليوم إلى القراءة بها لدثورها وعفو آثارها ، وتتابع المسلمون على رفض القراءة بها من غير جحود منها بصحتها وصحة شيء منها ، ولكن نظرًا منها لأنفسها ولسائر أهل دينها فلا قراءة اليوم للمسلمين إلا بالحرف الواحد الذي اختاره لهم إمامهم الشفيق الناصح دون ما عداه من الأحرف الستة الباقية ، فإن قال بعض من ضعفت معرفته وكيف جاز لهم ترك قراءة أقرأهموها رسول الله ﷺ وأمرهم بقراءتها ؟

قيل : إن أمرهم بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض ، وإنما كان إباحة ورخصة ... » إلخ اهـ[أ] .

فتنبه لهذا الموضوع المهمّ ولا تفوتك معرفته فإنه مبحث نفيس[ب] .

[أ] تفسير الطبري ١ / ٨١ ما ذكره الإمام الطبري غير مجمع عليه بل هو رأيه وليس بحجة بل رده كثير من العلماء . انظر القراءات في تفسير الطبري المحقق .

[ب] حدد عثمان بن عفان رضي الله عنه الأسس التي يعتمد عليها في نسخ المصاحف ، وكانت تتلخص في الآتي :

١ - ألا يكتب شيء إلا بعد التحقق من أنه قرآن .

٢ - ألا يكتب شيء إلا بعد العلم بأنه استقر في العرضة الأخيرة .

٣ - ألا يكتب شيء إلا بعد التأكد من أنه لم ينسخ .

٤ - ألا يكتب شيء إلا بعد عرضه على جمع من الصحابة .

٥ - إذا اختلفوا في شيء من القرآن كتبوه بلغة قريش .

٦ - أن يتم المحافظة على القراءات المتواترة ولا تكتب أي قراءة غير متواترة .

٧ - أن اللفظ الذي لا تختلف فيه وجوه القراءات يرسم بصورة واحدة .

٨ - أن اللفظ الذي تختلف فيه وجوه القراءات ويمكن رسمه في الخط محتملا لها كلها يكتب برسم واحد مثل (فتبينوا - فتثبتوا) - المحقق .

ولقد أتينا بكلام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى ؛ لأنه من كبار الأئمة ولأن عصره كان قريبًا من عصر الصحابة والتابعين ، فإنه « ولد سنة مائتين وأربع وعشرين وطاف الأقاليم في طلب العلم وسمع عن الثقات الأجلة ، وجمع من العلوم ما لم يشاركه أحد في عصره ، وله تصانيف عديدة حكي أنه مكث أربعين سنة فكتب في كل يوم منها أربعين ورقة ، توفي في شوال عام ثلاثمائة وعشره وصلى على قبره عدة شهور ليلاً ونهارًا » اهـ باختصار من طبقات الشافعية الكبرى[1] .

ولنختم هذا الفصل بأبيات في موضوع جمع القرآن من نظم الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى في « عقيلة أتراب القصائد » وهي :

إن اليمامة أغواها مسيلمة الـ كذاب في زمن الصديق إذ خسرا
وبعد بأس شديد حان مصرعه وكان بأسًا على القرَّاء مستعرا
نادى أبا بكر الفاروق خفت على الـ قراء فادارك القرآن مستطرا
فأجمعوا جمعه في الصحف واعتمدوا زيد بن ثابت العدل الرضى نظرا
فقام فيه بعون الله يجمعه بالنصح والجد والحزم الذي بهرا
من كل أوجهه حتى استتم له بالأحرف السبعة العليا كما اشتهرا
فأمسك الصحف الصديق ثم إلى الـ فاروق أسلمها لما قضى العمرا
وعند حفصة كانت بعد فاختلف الـ قراء فاعتزلوا في أحرف زمرا
وكان في بعض مغزاهم مشاهدهم حذيفة فرأى في خلفهم عبرا

---

[1] انظر ترجمته في : طبقات السبكي / ١٢٥ ، وفيات الأعيان بتحقيق د إحسان عباس .

فجاء عثمان مذعورًا فقال له أخاف أن يخلطوا فادارك البشرا
فاستحضر الصحف الأولى التي جمعت وخص زيدًا ومن قريشهم نفرا
على لسان قريش فاكتبوه كما على الرسول به إنزاله انتشرا
فجردوه كما يهوى كتابته ما فيه شكل ولا نقط فيحتجرا

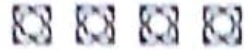

الفصل الثاني

في احتياط الصحابة في كتابة القرآن

جمْع القرآن العظيم لأول مرة في التاريخ وهو مفرق في الألواح والعظام وصدور الرجال ليس بالأمر الهيِّن ، بل هو عمل خطير يحتاج إلى عناية كبرى وتثبت تام ، لذلك ما كانت اللجنة القائمة بجمعه يعتمدون على ما في صدورهم منه وفيهم من يحفظه كله ، كما أنهم ما كانوا يكتفون بمجرد نظر إلى ما هو مكتوب في الرقاع ونحوها ؛ بل يأخذونه عمن تلقاه سماعًا من رسول الله ﷺ فذلك أدعى للاطمئنان والاحتياط وأبعد للشك والارتياب .

فقد أخرج ابن أبي داود من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال : قدم عمر فقال : من تلقى من رسول الله ﷺ شيئًا من القرآن فليأت به ، وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعسب ، وكان زيد لا يقبل من أحد شيئًا حتى يشهد شهيدان[أ] .

وأخرج ابن أبي داود أيضًا من طريق هشام بن عروة عن أبيه : أن أبا بكر قال لعمر ولزيد : اقعدا على باب المسجد ، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه[ب] .

فهاتان الروايتان تدلان صريحًا أنهم ما كانوا يكتفون بمجرد وجدان شيء من كتاب الله مكتوبًا حتى يشهد به من تلقاه سماعًا زيادة في الاحتياط ،

[أ] ذكره السيوطي في الإتقان في علوم القرآن (١ / ١٦٢) ، ومناهل العرفان ١ / ١٧٦ .
[ب] المرجع السابق .

وهذه الطريقة محكمة جدًا ، وحيث يطمئن إليها كل مسلم ولا تدع مجالاً لطعن المنافقين .

قال ابن جرير - وكأن المراد بالشاهدين شاهد الحفظ والكتابة . قال السخاوي المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله ﷺ(١) والمراد أنهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التي نزل بها القرآن[أ] .

يقول بعض المعاصرين لنا : إن رواية الجلوس على باب المسجد واستعراض ما لدى الناس من قرآن هي إلى الوهم أقرب منه إلى الحقيقة .

فنقول : إن جمع القرآن بالأحرف السبعة واستقصاؤها لا يكون إلا باستعراض ما لدي الناس من قرآن لما عسى أن توجد عند بعضهم آية أو قراءة من الأحرف السبعة تلقاها من النبي ﷺ لا توجد عند آخر - ثم إن المسجد في ذلك العهد هو خير مكان يليق باستقبال الناس لمثل هذا الأمر الجليل ؛ فالحضارة المدنية المستلزمة لانتظام دواوين الحكومات لم تكن تعرف عند العرب وقتئذ ؛ بل كانوا في حالة من البداوة وبساطة العيش حتى أن نفس المسجد النبوي كان سقفه من الجريد وجدرانه من اللبن ، فإذا علم ما ذكر زال الاستغراب من هذه الرواية التي هي عين الحقيقة .

وأخرج ابن أشته في المصاحف عن الليث بن سعد قال : أوّل من جمع القرآن

---

(١) يؤيد هذا المعنى رواية ابن عساكر الآتية قريبًا وهي أن عثمان خطب في الناس ... إلخ .

[أ] تفسير الطبري ١ / ٨٢ .

أبو بكر ، وكتبه زيد ، وكان الناس يأتون زيد بن ثابت فكان لا يكتب آية إلا بشاهدي عدل ، وإن آخر سورة براءة لم توجد إلا مع خزيمة بن ثابت(١) فقال : اكتبوها فإن رسول الله ﷺ جعل شهادته بشهادة رجلين(٢) »[أ] فكتب وإن عمر أتى بآية الرجم فلم يكتبها لأنه كان وحده(٣) .

---

(١) ترجمة خزيمة بن ثابت ستأتي في الفصل الثالث في ضبط وتصحيح المصحف الكريم - لكن ورد في بعض الروايات « مع أبي خزيمة الأنصاري » فتأمل ، وقد تقدم الكلام عليه في جمع أبي بكر للقرآن .

(٢) سبب جعل شهادة خزيمة بن ثابت بشهادة رجلين هو أن النبي ﷺ اشترى فرسًا من سواد بن الحارث فاستتبعه ليقضيه ثمن الفرس فأسرع النبي ﷺ المشى ، وأبطأ البائع المذكور ، فجعل رجال يعترضونه يساومونه في الفرس حتى زادوه على ثمنه وهم لا يعلمون أن النبي ﷺ اشتراه منه فأنكر الأعرابي بيعه للنبي ﷺ فشهد له خزيمة بن ثابت ، فقال له رسول الله ﷺ : « بم تشهد ولم تكن حاضرًا ؟ » قال : بتصديقك وإنك لا تقول إلا حقًّا فقال عليه الصلاة والسلام : « من شهد له خزيمة أو عليه فحسبه » . وفي رواية : فجعل شهادته رجلين [البخاري في تفسير القرآن (٤٧٨٤)] هذه خلاصة القصة وهي مشهورة في كتب الأحاديث والسير ، قال الإمام السندي في حاشيته على سنن النسائي [٣٠٢/٧] والمشهور أنه ﷺ رد الفرس بعد ذلك على الأعرابي فمات من ليلته عنده ، رواه النسائي في أواخر كتاب البيوع .

(٣) آية الرجم هي « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة » وقد كانت مكتوبة فنسخت تلاوتها وبقي حكمها معمولًا به - عن ابن عباس حدثني عبد الرحمن بن عوف أن عمر بن الخطاب =

[أ] أخرجه البخاري في الجهاد والسير ، باب قول الله تعالى ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ (٢٨٠٧) عن خارجة بن زيد أن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : نسخت الصحف في المصاحف ففقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها فلم أجدها إلا مع خزيمة بن ثابت الأنصاري الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجلين وهو قوله ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ .

وروى ابن عساكر أن عثمان خطب في الناس يومئذ وعزم على كل رجل عنده شيء من كتاب الله لما جاء به ، فكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن حتى جمع من ذلك كثرة ، ثم دعاهم رجلًا رجلًا ، فناشدهم أسمعت رسول الله ﷺ وهو أملاه عليك ؟ فيقول : نعم ، فلما فرغ من ذلك عثمان قال : من أكتب الناس ؟ (١) قالوا : كاتب رسول الله ﷺ زيد بن ثابت . قال : فأي الناس أعرب ؟(٢) قالوا : سعيد بن العاص ، قال : فليمل سعيد وليكتب زيد اهـ[أ] .

وفي الرواية السابقة أن عثمان أحضر معهما عبد الله بن الزبير وعبد الرحمن

= خطب الناس فسمعته يقول : ألا وأن ناسًا يقولون ما الرجم في كتاب الله ، وإنما فيه الجلد ، وقد رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده ، ولولا أن يقول قائل أو يتكلم متكلم أن عمر زاد في كتاب الله ما ليس منه لأثبتها كما نزلت - رواه الإمام أحمد[المسند ٢٩/١] والنسائي [السنن الكبرى ٧٢٥١] - وقد ذكر الشوكاني في كتابه نيل الأوطار [٢٥٥/٧] في أوائل كتاب الحدود شيئًا كثيرًا عن آية الرجم وحكمه فراجعه .

(١) أي في معرفة قواعد الكتابة وحسن الخط - وترجمة زيد تقدمت ، وكان يكتب السريانية أيضًا فقد قال : أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم السريانية ، قال : « إني لا آمن يهود على كتابي » فما مر بي نصف شهر حتى تعلمت وحذقت فيه ، فكنت أكتب له ﷺ وأقرأ له كتبهم [الترمذي في الاستئذان والآداب ٢٧١٥] ، وفي رواية : تعلمتها في سبعة عشر يومًا - وذكروا أنه تعلم العبرانية أيضًا في خمسة عشر يومًا [أحمد في مسنده ١٨٢/٥] .

ولا يخفى أن الإنسان يحتاج لبضعة أعوام لتعلم أي لغة قراءة وكتابة ، وكون زيد يتعلم السريانية في نصف شهر لاشك أن ذلك من معجزاته ﷺ فإنه لما احتاج إلى من يكتب له السريانية وأمر زيدًا بتعلمها طوى الله له مرحلة التعليم التي تحتاج لبضع سنين إلى نصف شهر .

(٢) أي أفصح ، وقد تقدم في ترجمة سعيد بن العاص أنه ممن جمع السخاء والفصاحة .

[أ] ذكره ابن حجر في فتح الباري ٩ / ١٩ .

ابن الحارث بن هشام وقد تقدمت ترجمتهم .

فرواية ابن عساكر هذه تقتضي أن عثمان استأنف في جمعه أخذ القرآن من الناس ، وبعد أن استوثق بصحة ما أتوه به من الآيات القرآنية أمر زيدًا ومن معه بكتابته ونسخه ، ورواية البخاري المتقدمة في الفصل الأول تدل على أن عثمان إنما نسخ مصحفه عن صحف أبي بكر التي أخذها من حفصة ، وقد علمت أن جمعه وجمع أبي بكر متفقان غير أن جمع عثمان كان بحرف واحد وهو لغة قريش ، وجمع أبي بكر كان بجميع الأحرف السبعة .

فعلى رواية ابن عساكر يمكن أن نقول : إن عثمان فعل ذلك للوقوف على ما عند الناس من القراءات ، أو لأنه عزم في نفسه على إحراق ما كتبه الناس من القرآن إذا تم نسخ مصحفه - لا أنه فعل لشكه في صحة جمع أبي بكر وهو الذي اعتمد في نسخ مصحفه على صحف أبي بكر[أ] .

ففي هذه الروايات كلها دلالة واضحة على شدة احتياطهم في جمع القرآن الكريم وتثبتهم في كتابته لذلك أجمعت الصحابة كلهم على هذا العمل المبرور وتلقّوه بالقبول التام(١) .

---

(١) ذكروا أن ابن مسعود رضي الله عنه لما حضر مصحف عثمان إلى الكوفة لم يوافق على الرجوع عن قراءته ولا على إعدام مصحفه من غير أن ينكر على عثمان عمله ، وقال : أفأترك ما أخذت من فيّ رسول الله ﷺ بضعًا وسبعين سورة ... إلخ وابن مسعود هذا =

[أ] ليس هناك دليل قاطع ولا أثر صحيح يثبت ذلك عن عثمان ولا يقال أنه كان على ما في نفسه فهذا لا يصح أن يقال في مثل هذه الأمور الجسام بل لابد فيها من الأدلة الصحيحة القاطعة والتي لم يختلف فيها المحقق .

وكان عددهم حينئذ اثني عشر ألفًا تقريبًا[1] رضي الله عنهم أجمعين .

= هو أحد الأربعة المذكورين في حديث : خذوا القرآن من أربعة : من عبد الله بن مسعود ، وسالم ، ومعاذ ، وأبي بن كعب . كما في صحيح البخاري [كتاب المناقب : ٣٨٠٨] . وترجمة ابن مسعود ستأتي في الفصل الخامس في نزول القرآن على سبعة أحرف .

(١) الظاهر أنهم كانوا يحصون المسلمين ، فقد أخرج البخاري في كتاب الوصايا [هو في كتاب الجهاد والسير ٣٠٦٠] في كتابة الإمام الناس ، عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام ، فكتبنا له ألفًا وخمسمائة رجل ... إلخ .

الفصل الثالث

في ضبط وتصحيح المصحف الكريم

قد يتوهم بعض قاصرى العقول أن القرآن ربما سقط منه شيء حين نسخهم وجمعهم له أو حصل فيه تغيير أو تحريف كما زعم ذلك بعض المستشرقين من الإفرنج وكما زعمت الشيعة أن الصحابة حرفوا القرآن وأسقطوا كثيرًا من آياته وسوره وكتموا ما نزل في إمامة علي رضي الله عنه واستخلافه(١) [أ].

فنقول : إن الله تعالى قد تكفل بحفظ القرآن الكريم وضمن صيانته من عبث العابثين بصريح قوله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] . وقوله : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ [فصلت : ٤١ - ٤٢] .

وأي دليل أعظم على ذلك من مرور أربعة عشر قرنًا والقرآن هو هو ما مسته

---

(١) راجع : « تفسير الألوسي » في مقدمة الجزء الأول فإنه روى كثيرًا من أقوال الشيعة قاتلهم الله تعالى ، وراجع أيضًا تفسير القرطبي فإنه ذكر شيئًا مما طعن بعضهم في القرآن بالزيادة والنقصان والرد على قائل ذلك .

[أ] أجاب ابن حزم في الفصل (٢ / ص ٥٦) عن ذلك فقال : وأما قولهم في دعوى الروافض تبديل القراءات فإن الروافض ليسوا من المسلمين ، إنما هي فرق حدث أولها بعد موت النبي ﷺ بخمس وعشرين سنة وكان مبدؤها إجابة من خذله الله تعالى لدعوة من كاد الإسلام ، وهي طائفة تجري مجرى اليهود والنصارى في الكذب والكفر ، وهي طوائف أشدهم غلوا يقولون بإلهية علي بن أبي طالب .. وأقلهم غلوا يقولون أن الشمس ردت على علي بن أبي طالب مرتين ، فقوم هذا أقل مراتبهم في الكذب أيستنكر منهم كذب يأتون به وكل من لا يزجره عن الكذب ديانة أو نزاهة نفس أمكنه أن يكذب ما يشاء وكل دعوى بلا برهان فليس يستدل بها عاقل سواء كانت له أو عليه .

أيدي الخلائق بالتحريف ولا بالتزوير ، وهكذا يكون محفوظًا إلى أن يرفعه الله من الصدور والمصاحف فلا تبقى في الأرض منه آية ويكون هذا في آخر الزمان قبل يوم القيامة[أ] ، كما جاء في كثير من الأخبار(١) .

فالصحابة رضوان الله تعالى عليهم ما كانوا ليتهاونوا في أمر المصحف وهم الذين أيد الله بهم الإسلام . فقد ورد عن زيد بن ثابت أنه قال : كنت أكتب الوحي عند رسول الله ﷺ ، وهو يملي عليَّ ، فإذا فرغت قال : « اقرأه » فأقرؤه ؛ فإن كان فيه سَقط أقامه[ب] .

وفي بعض الروايات عن زيد بن ثابت أيضًا - المتخصص في كتابة القرآن - أنه قال : فلما فرغتُ (أي من نسخ مصحف عثمان) عرضته عرضة فلم أجد فيه هذه الآية ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾(٢) [الأحزاب : ٢٣] .

قال : فاستعرضت المهاجرين أسألهم عنها فلم أجدها عند أحد منهم ، ثم استعرضت الأنصار أسألهم عنها فلم أجدها عند أحد منهم ، حتى وجدتها

---

(١) قال القرطبي : إن رفع القرآن على هذه الكيفية الواردة في الأحاديث إنما يكون بعد موت عيسى عليه السلام وهدم الحبشة للكعبة اهـ .

(٢) في سورة الأحزاب .

[أ] ويدل على ذلك ما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦ / ١٤٤) عن عبد الله قال : كيف أنتم إذ أسري علي كتاب الله فذهب به ، قال يا أبا عبد الرحمن: كيف بنا في أخوات الرجال ؟ قال : يبعث الله ريحا طيبة وتلقت كل مؤمن .

[ب] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٥ / ١٤٢ ح ٤٨٨٨) عن زيد بن ثابت قال : .. به ، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٢٥٧) وقال : رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما ثقات .

عند خزيمة (يعني ابن ثابت)[١] فكتبتها ، ثم عرضته عرضة أخرى فلم أجد فيه هاتين الآيتين ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾ [التوبة : ١٢٨] . إلى آخر السورة ، فاستعرضت المهاجرين فلم أجدها عند أحد منهم ، ثم استعرضت الأنصار أسألهم عنها فلم أجدها عند أحد منهم حتى وجدتها مع رجل آخر يدعى خزيمة أيضًا[٢] فأثبتها في آخر براءة ولو تمت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة ، ثم عرضته عرضة أخرى فلم أجد فيه شيئًا ، ثم أرسل عثمان إلى حفصة يسألها أن تعطيه الصحيفة وحلف لها ليردنَّها إليها ، فأعطته ، فعرض المصحف عليها فلم يختلف في شيء[٣] فردها إليها وطابت نفسه ، وأمر

---

(١) وترجمة خزيمة كما تلخصها من الإصابة [٢/ ٢٧٨] هي . خزيمة بن ثابت بن الفاكه الأنصاري الأوسي ، من السابقين الأولين ، شهد بدرًا وما بعدها ، وقيل : أول مشاهده أحد ، وكان يكسر أصنام بني خطمة (بفتح المعجمة وسكون المهملة) وكانت راية خطمة بيده يوم الفتح ، وفيه قال النبي ﷺ : من شهد له خزيمة أو عليه فحسبه ، وجعل شهادته بشهادة رجلين (وقد تقدم سبب ذلك) قتل خزيمة يوم صفين فإنه قال : أنا لا أقتل أبدًا حتى يقتل عمار ، فلما قتل عمار جرد سيفه فقاتل حتى قتل .. اهـ ، وكانت وقعة صفين سنة سبع وثلاثين .

(٢) جاء في بعض الروايات أن آخر سورة التوبة ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ إلخ وجد مع خزيمة الأنصاري ، وجاء في بعضها أنه وجد مع أبي خزيمة الأنصاري ، وقد تقدم الكلام على هذا في جمع أبي بكر للقرآن في الفصل الأول .

(٣) أي لم يختلف مصحفه مع مصحف أبي بكر في الحرف الذي أخذه منه وهو حرف قريش ، هذا هو المقصود من كلامه ، لا أن مصحفه مطابق لمصحف أبي بكر كلمة كلمة ، فإن مصحف أبي بكر مكتوب بجميع الأحرف السبعة كما سبق بيانه ، ومصحف عثمان كتب على حرف واحد منها . [سبق لنا تفنيد هذا الكلام وبيان خطأ المؤلف قبل صفحات] المحقق

الناس أن يكتبوا مصاحف(١) »[أ] .

فأنت ترى في كلام زيد بن ثابت أنه بعد فراغه من كتابة المصحف راجعه ثلاث مرات ، ثم راجعه أمير المؤمنين عثمان بنفسه ، فلما اطمأن قلبه حمل الناس على أن يكتبوا المصاحف على نمط هذا المصحف الإمام ، فهل بعد هذه المراجعات الأربعة وإجماع الصحابة كلهم على قبوله يتطرق الشك إلى قلب أحد من المسلمين في كلام رب العالمين القائل : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] .

ولو جوزنا في نسخ القرآن وكتابته وجمعه السهو والنسيان عليهم ، أو عدم معرفتهم لأصول الكتابة وقواعد الإملاء ، لأدَّى ذلك فيه إلى التغيير والتبديل والنقص والزيادة وهذا محال .

فالقرآن سليم من اللحن والغلط ليس فيه حرف زايد ولا حرف ناقص ولا تبديل في كلمة ولا تحريف في أخرى - وكيف لا يكون كذلك والذين جمعوه هم كبار الصحابة وأشراف العرب الذين عنهم أُخِذَت الفصاحة ، وفيهم ظهر البيان وقد تلقَّوه غضًّا طريًّا من رسول الله ﷺ .

وأما ما ورد أن عثمان رضي الله عنه قال : (إن في القرآن لحنًا ستقيمه

---

(١) هذه الرواية تدل على أن عثمان طلب صحف أبي بكر من حفصة بعد أن تم نسخ مصحفه ليستعرضه عليها ، والرواية التي سبقت عند جمع عثمان المصحف تدل على أنه طلب الصحف منها عند الشروع في جمع مصحفه لينسخه منها .. فتأمل .

[أ] ذكره بتمامه الخطيب البغدادي في الفصل للوصل المدرج (١ / ٣٩٩) .

العرب بألسنتها) فغير صحيح[أ] ، ولا يعقل أن عثمان يقول ذلك لا قبل جمعه القرآن ولا بعده - نعم أنه قال قبل جمعه لمَّا بلغه اختلاف الناس في القرآن حتى اقتتل الغلمان والمعلمون : (عندي تكذِّبون به وتلحنون فيه ، فمن نأى عني من الأمصار كان أشد تكذيبًا وأكثر لحنًا ، يا أصحاب محمد اجتمعوا فأكتبوا للناس إمامًا)[ب] ولا يخفى الفرق بين القولين .

[أ] لقد أورد أعداء الإسلام هذه الرواية وقالوا إنها طعن صريح في رسم المصحف فكيف يكون مصحف عثمان وجمعه للقرآن موضع ثقة وإجماع من الصحابة وكيف يكون توقيفيا وهذا عثمان نفسه يقول بملء فيه إن فيه لحنا ، ونجيب على هذه الشبهة أولاً بأن ما جاء في هذه الرواية ضعيف الإسناد وأن فيهما اضطرابا وانقطاعا وضحه العلامة الألوسي في تفسيره (١ / ٢٩) ولعلك تلمح معي دليل سقوط هذه الرواية ماثلا فيها من جراء هذا التناقض الظاهر بين وصفها نساخ المصحف بأنهم أحسنوا وأجملوا ووصفها المصحف الذي نسخوه بأن فيه لحنا ، وهل يقال للذين لحنوا في المصحف أحسنتم وأجملتم اللهم إلا إذا كان المراد معنى آخر ، ثانيا : أن المعروف عن عثمان في دقته وكمال ضبطه وتحريه يجعل صدور أمثال هذه الرواية من المستحيل عليه ، انظر إلى ما سبق من دستوره في جمع القرآن ثم انظر إلى ما أخرجه أبو عبيد عن عبد الرحمن بن هانئ مولى عثمان قال : كنت عند عثمان وهم يعرضون المصاحف فأرسلني بكتف شاة إلى أبي بن كعب فيها ﴿ لم يتسن ﴾ وفيها ﴿ لا تبديل للخلق ﴾ وفيها ﴿ فأمهل الكافرين ﴾ فدعا بدواة فمحا أحد اللامين ، وكتب ﴿ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ ومحا ﴿ فأمهل ﴾ وكتب ﴿ فَمَهِّلِ ﴾ وكتب ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ فألحق فيها الهاء ، قال ابن الأنباري فكيف يدعى عليه أنه رأى فسادا فأمضاه وهو يوقف على ما يكتب ويرفع الخلاف الواقع من الناسخين فيه فيحكم بالحق ويلزمهم إثبات الصواب وتخليده . ثالثا : على فرض صحة ما ذكر يمكن أن نؤوله بما يتفق والصحيح المتواتر عن عثمان من نسخ المصاحف وجمع القرآن ومن نهاية الثبت والدقة والضبط وذلك بأن يراد بكلمة لحنا في الروايتين المذكورتين قراءة ولغة ، والمعنى : أن في القرآن ورسم مصحفه وجها في القراءة لا تلين به ألسنة العرب جميعا ولكنها لا تلبث أن تلين به ألسنتهم جميعا بالمران وكثرة تلاوة القرآن بهذا الوجه ، وقد ضرب بعض أجلاء العلماء لذلك مثلا كلمة ﴿ ٱلصِّرَٰطَ ﴾ بالصاد المبدلة من السين ، فتقرأ العرب بالصاد عملا بالرسم ، وبالسين عملا بالأصل (انظر مناهل العرفان ١ / ٢٦٦) .

[ب] سبق تخريجه .

وقد ردَّ القول الأول العلامة الألوسي في أول تفسيره روح المعاني بقوله : فالحق أن ذلك لا يصح عن عثمان والخبر ضعيف مضطرب منقطع ؛ إذ كيف يظن بالصحابة أولاً اللحن في الكلام فضلًا عن القرآن ، وهُمْ هُمْ ، ثم كيف يظن بهم ثانيًا اجتماعهم على الخطأ وكتابته ، ثم كيف يظن بهم ثالثًا عدم التنبه والرجوع ، ثم كيف يظن بعثمان عدم تغييره وكيف يتركه لتقيمه العرب ، وإذا كان الذين تولوا جمعه لم يقيموه وهم الخيار فكيف يقيمه غيرهم ، فلعمري إن هذا مما يستحيل عقلًا وشرعًا وعادة .. اهـ منه[أ] .

ومن المشاهد أنه لو أمر أحد الملوك أو الأمراء بنسخ مصحف أو كتاب لا يقدمه الكاتب إليه إلا بعد العناية بتصحيحه والتثبت من عدم وجود أي غلط فيه ، فكيف بهؤلاء الصحابة الذين بذلوا أنفسهم لله لا يتحرون في كتابة وضبط المصحف الكريم الذي هو أساس الدين الإسلامي الحنيف .

هذا ولقد وصلت عدة مصاحف من جمع عثمان إلى البلدان الإسلامية فلو وجدوا فيها خطأ أو غلطًا لما سكت أحد من المسلمين عليه ، ولكنهم أجمعوا على صحتها وقبولها ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « إن أمتي لن تجتمع على ضلالة ، فإذا رأيتم اختلافًا فعليكم بالسواد الأعظم »[ب] رواه ابن ماجه عن أنس بن مالك وهو حديث صحيح .

[أ] روح المعاني ٣٠/١ وما بعدها .

[ب] أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن (٣٩٥٠) عن أبي خلف الأعمى قال : سمعت أنس بن مالك يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ... به ، وأبو داود في كتاب الفتن والملاحم (٤٢٥٤) بإسناده .

وقال أيضًا في حديث العرباض بن سارية : « فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ، عَضُّوا عليها بالنواجذ » رواه أبو داود والترمذي[أ] ، ولهذا كان إجماعهم حجة .

على أنك لن تجد من المسلمين عناية بشيء كعنايتهم بكتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه - سواء في نسخه أو تصحيحه أو حفظه أو حرمته وهذا لا يحتاج إلى دليل .

وانظر كم من المصاحف التي لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى قد كتبت منذ بدء الإسلام إلى يومنا هذا ـ أي أربعة عشر قرنًا ـ فهل رأيت فيه تبديلًا أو تغييرًا مع كثرة أعداء الدين من مختلف الأجناس والعقول .

• • • •

ولنختم هذا الفصل بما رواه البيهقي عن يحيى بن أكثم قال : دخل يهودي على المأمون فأحسن الكلام فدعاه إلى الإسلام فأبى ، ثم بعد سنة جاء مسلمًا ، فتكلم في الفقه فأحسن الكلام ، فسأله المأمون ما سبب إسلامه ، قال : انصرفت من عندك فامتحنت هذه الأديان ، فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث

[أ] أخرجه أبو داود في كتاب السنة ، باب في لزوم السنة (٤٦٠٧) عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر قالا : أتينا العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ فسلمنا وقلنا : أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين ، فقال العرباض : صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟ فقال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا : .. به ، والترمذي في كتاب العلم ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (٢٦٧٦) بإسناده ، وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها البيعة[١] فاشتريتُ مني وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها البيعة فاشتريت مني ، وعمدت إلى القرآن فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها إلى الورّاقين[٢] فتصفحوها فوجدوا فيها الزيادة والنقصان ، فرموا بها ، فلم يشتروها فعلمت أن هذا الكتاب محفوظ فكان هذا سبب إسلامي - ذكره الزرقاني على المواهب في الجزء الخامس[أ] .

حفظة القرآن في عهد النبي ﷺ

حفظ كثير من الصحابة القرآن كله على عهد رسول الله ﷺ .

• **فممن حفظه من المهاجرين** : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، وطلحة ، وسعد ، وابن مسعود ، وحذيفة[٣] وسالم مولى أبي حذيفة[٤]

---

(١) قال في المنجد : البيعة بكسر الباء المعبد للنصارى واليهود .

(٢) هم الذين يبيعون الكتب والورق .

(٣) تقدمت ترجمته عند جمع عثمان القرآن .

(٤) هو سالم مولى أبي حذيفة بن عتبة أحد السابقين الأولين ، روى أن عائشة احتبست على النبي ﷺ فقال : ما حبسك قالت : سمعت قارئاً يقرأ فذكرت من حسن قراءته فأخذ رداءه وخرج فإذا هو سالم مولى أبي حذيفة فقال : الحمد لله الذي جعل في أمتي مثلك [ذكره ابن المبارك في الجهاد ٩٩/١] ، وروى البخاري من حديث ابن عمر : كان سالم مولى أبي حذيفة يؤم المهاجرين الأولين في مسجد قباء وفيهم أبو بكر وعمر .. اهـ ملخصا من الإصابة [١٥/٣] .

[أ] ذكره القرطبي في تفسيره ١٠ / ٦ .

وأبو هريرة ، وابن عمر ، وابن عباس ، وعمرو بن العاص ، وابنه عبد الله ، ومعاوية ، وابن الزبير ، وعبد الله بن السائب ، وعائشة ، وحفصة ، وأم سلمة[١] وأم ورقة[٢] .

• **وممن حفظه من الأنصار** : زيد بن ثابت ، ومعاذ بن جبل ، وأبيّ بن كعب وأبو الدرداء ، ومجمع بن حارثة ، وأنس بن مالك ، وأبو زيد الأنصاري أحد عمومة أنس بن مالك[٣] رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

ومما يناسب المقام : ما يروى أن خزرجًا كانت تفاخر أوسًا بأربعة ممن حفظوا القرآن كله على عهد النبي ﷺ ، وأن أوسًا كانت تفاخر خزرجًا بأربعة ممن لهم مناقب أخرى .

وإلى مفاخرتهما أشار صاحب نظم عمود النسب رحمه الله تعالى بقوله :

---

(١) عائشة وحفصة وأم سلمة هن أمهات المؤمنين أزواج النبي ﷺ وأم سلمة اسمها هند على الأصح ، وهي آخر أمهات المؤمنين موتًا ودفنت بالبقيع بالمدينة رضي الله عن أمهات المؤمنين أجمعين .

(٢) أم ورقة هي بنت عبد الله بن الحارث ، كانت قد جمعت القرآن ، وكان رسول الله ﷺ يزورها ويسميها الشهيدة ، وقد كان أمرها أن تؤم أهل دارها ، وكان لها مؤذن فغمها غلام لها وجارية كانت قد دبرتهما فقتلاها في إمارة عمر ، فقال عمر : صدق رسول الله ﷺ كان يقول : انطلقوا بنا نزور الشهيدة اهـ ملخصًا من الإصابة [٧٣٥/٧ ، وأحمد في مسنده ٤٠٥/٦] .

(٣) قال في الإصابة في تمييز الصحابة [١٥٨/٧] : أبو زيد الذي جمع القرآن وقع في حديث أنس في صحيح البخاري غير مسمى ، وقال أنس : هو أحد عمومتي واختلفوا في اسمه فقيل : أوس ، وقيل : ثابت بن زيد ، وقيل : معاذ ، وقيل : سعد بن عبيد ، وقيل : قيس بن السكن ، وهذا هو الراجح كما بينته في حرف القاف .. اهـ منه .

فـاخـرت الخزرجُ أوْسًـا بـنـفَـر مع النـبيِّ حـفِـظـوا كـل السُّـوَرْ
زيـد بـن ثـابـت مـعـاذ بـن جـبَـلْ ثـم أبـيٌّ وأبـو زيـد الـبـطـلْ
والأوْس خـزْرجًـا بـذي الـشـهـاده كـانـت شـهـادتـين في الإفـاده

والمراد بذي الشهادتين : خزيمة بن ثابت

وبما أن المقصود ذكر حفاظ القرآن لم نأت ببقية المفاخرة ، وإذا تأملت حالة العرب أول ظهور الإسلام وعدم انتشار الكتابة بينهم علمت أن عدد الذين ذكرناهم ممن يحفظ القرآن كله ليس بقليل .

ولاشك أن جميع الصحابة رضي الله عنهم يحفظون منه بعض السور والآيات كل منهم بحسب فراغه واستعداده وذلك لصلواتهم وعباداتهم .

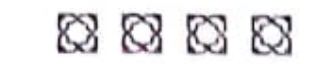

الفصل الرابع

في ترتيب آيات القرآن وسوره

جاء في كتاب « الاتقان » للسيوطي : « أن الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك »[أ] .

أما الإجماع : فنقله غير واحد منهم الزركشي في البرهان[ب] وأبو جعفر بن الزبير في مناسباته وعبارته ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه ﷺ وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين .

ومنها : النصوص :

فمنها : حديث زيد السابق كنا عند النبي ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع[ج] .

ومنها : ما أخرجه أحمد بإسناد حسن عن عثمان بن أبي العاص . قال : كنت جالسا عند رسول الله ﷺ إذ شَخصَ(١) ببصره ثم صوبه ثم قال : أتاني

---

(١) قال في المصباح : شخص بصره من باب خضع إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف .. اهـ منه .

[أ] الإتقان في علوم القرآن ١ / ١٦٧ .

[ب] قال الزركشي في البرهان (١ / ٢٥٦) : وأما ما يتعلق بترتيبه فأما الآيات في كل سورة وضع البسملة أوائلها فترتيبها توقيفي بلا شك ولا خلاف فيه ، ولهذا لا يجوز تعكيسها ، قال مكي وغيره : ترتيب الآيات في السور هو من النبي ﷺ ولما لم يأمر بذلك في أول براءة تركت بلا بسملة ، وقال القاضي أبو بكر : ترتيب الآيات أمر واجب وحكم لازم فقد كان جبريل يقول : ضعوا آية كذا في موضع كذا .

[ج] أخرجه الترمذي في المناقب ، باب في فضل الشام واليمن (٣٩٥٤) عن زيد بن ثابت قال : كنا عند سول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع ، فقال رسول الله ﷺ : طوبى للشام ، فقلنا : لأي ذلك يا رسول الله ؟ قال : لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها ، وقال : هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من حديث يحيى بن أيوب .

جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [النحل : ٩٠] إلى آخرها[أ] .

ومنها : ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس قال : قلت لعثمان : ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني ، وإلى براءة وهي من المئين ، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطوال[١] ؟ فقال

---

(١) قال في الإتقان : السبع الطوال بكسر الطاء وضمها أولها البقرة وآخرها براءة ، هذا بجعل الأنفال وبراءة سورة واحدة ، وقيل : السابعة يونس ، وقيل : الكهف ، والمئون ما وليها ، سميت بذلك لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها ، والمثاني ما ولي المئين ؛ لأنها ثنتها أي كانت بعدها ، فهي لها ثوان ، والمئون لها أوائل ، وقال الفراء : هي السورة التي آيها أقل من مائة آية وقد تطلق على الفاتحة وعلى القرآن كله أيضًا ، والمفصل ما ولي المثاني من قصار السور سمي بذلك لكثرة الفصول التي بين السور بالبسملة ويسمى المفصل بالمحكم أيضًا وآخره سوره الناس بلا نزاع - واختلف في أوله على اثني عشر قولًا أحدها : ﴿ قٓ ﴾ والثاني الحجرات وصححه النووي ... إلخ انظر الاتقان - وللمفصل طوال وأوساط وقصار (قيل) طواله إلى ﴿ عَمَّ ﴾ وأوساطه منها إلى ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴾ ومنها إلى آخر القرآن قصاره . وقد ذكر صاحب الإتقان جملة أقوال فراجعه [الإتقان ١/١٧١ وما بعدها] .

وجاء في كتاب الفقه على المذاهب الأربعة في الجزء الأول من قسم العبادات ما ملخصه : الشافعية قالوا إن طوال المفصل من الحجرات إلى سورة ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ وأواسطه من سوة ﴿ عَمَّ ﴾ إلى سورة ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴾ وقصاره منها إلى آخر القرآن .

والحنفية قالوا : إن طوال المفصل من الحجرات إلى سورة البروج وأواسطه من سورة البروج=

[أ] أخرجه أحمد في مسنده (٤ / ٢١٨) بإسناده ، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٤٨) بإسناده ، وقال : رواه أحمد وإسناده حسن .

عثمان كان رسول الله ﷺ تنزل عليه السورة ذات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول : ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة ، وكانت براءة من آخر القرآن نزولًا ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، فظننت أنها منها ، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها ، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطوال[أ] .

وأخرج القشيري : الصحيح أن التسمية لم تكن فيها (أي في براءة) لأن جبريل عليه السلام لم ينزل فيها[ب] .

وقال البغوي في « شرح السنة » : الصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفَّتين القرآن الذي أنزله الله على رسوله من غير أن زادوا أو نقصوا منه شيئًا خوف ذهاب بعضه بذهاب حفظته ، فكتبوه كما سمعوا من رسول الله ﷺ من غير أن قدموا شيئًا أو أخروا أو وضعوا له ترتيبًا لم يأخذوه من

= إلى سورة ﴿ لَمْ يَكُنْ ﴾ وقصاره من سورة ﴿ لَمْ يَكُنْ ﴾ إلى سورة الناس .
والمالكية قالوا : إن طوال المفصل من سورة الحجرات إلى آخر ﴿ وَالنَّازِعَاتِ ﴾ وأواسطه من بعد ذلك إلى ﴿ وَالضُّحَىٰ ﴾ وقصاره منها إلى آخر القرآن . والحنابلة قالوا إن طوال المفصل من سورة ﴿ قٓ ﴾ إلى ﴿ عَمَّ ﴾ وأواسطه إلى سورة ﴿ وَالضُّحَىٰ ﴾ وقصاره إلى آخر القرآن .. انتهى من كتاب الفقه المذكور .

[أ] أخرجه أحمد في مسنده ١ / ٦٩ ، وابن حبان في صحيحه ١ / ٢٣٠ ، والترمذي في كتاب تفسير القرآن (٣٠٨٦) والنسائي في السنن الكبرى (٨٠٠٧) وأبو داود في كتاب الصلاة (٧٨٦) والحاكم في المستدرك ٢ / ٢٤١ ، وصححه .

[ب] ذكره السيوطي في الإتقان ١ / ١٧٧ .

رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ يلقن أصحابه ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو عليه الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل إياه على ذلك وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تكتب عقب آية كذا في سورة كذا ، فثبت أن سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه ؛ فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب الذي أنزله الله جملة إلى السماء الدنيا ، ثم كان ينزّله له مفرقًا عند الحاجة ، وترتيب النزول غير ترتيب التلاوة » اهـ من الإتقان[أ] .

وأما ترتيب السور : ففي كونه اجتهاديًا أو توقيفيًا خلاف ، والجمهور على الأول ، قال أبو بكر الأنباري : أنزل الله تعالى القرآن كله إلى سماء الدنيا ثم فرقه في بضع وعشرين ، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث ، والآية جوابًا لمستخبر ، فيوقف جبريل النبي ﷺ على موضع الآية والسورة ، فمن قدم أو أخر فقد أفسد نظم القرآن .

وقال أيضًا : اتساق السور كاتساق الآيات والحروف ، كله عن النبي ﷺ فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن[ب] .

وفي « إيقاظ الأعلام » : « قال أبو جعفر النحاس : والمختار كون ترتيب السور توقيفيًا كالآيات[ج]

[أ] ذكره الزركشي في البرهان في علوم القرآن ١ / ٢٣٦ ، والسيوطي في الإتقان في علوم القرآن ١ / ١٧٠ .

[ب] ذكره السيوطي في الإتقان في علوم القرآن ١ / ١٧١ ، وأسرار ترتيب القرآن ١ / ٦٨ ، والزرقاني في مناهل العرفان .

[ج] كتاب إيقاظ الاعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي ص ٢٥ ط دار الوالد العربي بيروت - لبنان .

وقال الزركشي : والخلاف بين الفريقين في ترتيب السور لفظي لأن القائل بعدم صدوره من النبي ﷺ يقول أنه رمز لهم بذلك والثاني يقول : إنه صرح لهم به ، ولذلك قال مالك : إنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبي ﷺ » اهـ[أ] .

وذكر الإمام النووي في « شرحه على صحيح مسلم » في باب صلاة النبي ﷺ ودعائه في الليل عند حديث حذيفة . قال : صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت : يركع عند المائة ، ثم مضى فقلت : يصلى بها في ركعة ، فمضى فقلت : يركع بها ، ثم افتتح النساء فقرأها ، ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلًا .... إلخ الحديث[ب] .

ما نصه : قال القاضي عياض : فيه دليل لمن يقول أن ترتيب السور اجتهاد من المسلمين حين كتبوا المصحف وأنه لم يكن ذلك من ترتيب النبي ﷺ بل وكَلَه إلى أمته بعده ، قال : وهذا قول مالك وجمهور العلماء ، واختاره القاضي أبوبكر الباقلاني .

قال ابن الباقلاني : هو أصح القولين مع احتمالهما ، قال : والذي نقوله : إن ترتيب السور ليس بواجب في الكتابة ولا في الصلاة ولا في الدرس ولا في التلقين والتعليم ، وأنه لم يكن من النبي ﷺ في ذلك نص ولا حد تحرم مخالفته ، ولذلك

[أ] ذكره الزركشي في البرهان في علوم القرآن ١ / ٢٥٧ ، والسيوطي في الإتقان في علوم القرآن ١ / ١٧١ ، مناهل العرفان ١ / ٢٤٧ .

[ب] أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين ، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل (٧٧٢) عن حذيفة : .. به .

اختلف ترتيب المصاحف قبل مصحف عثمان ، قال : واستجاز النبي ﷺ والأمة بعده في جميع الأعصار ترك ترتيب السور في الصلاة والدرس والتلقين .

قال : وأما على قول من يقول من أهل العلم أن ذلك بتوقيف من النبي ﷺ حدده لهم كما استقر في مصحف عثمان ، وإنما اختلف المصاحف قبل أن يبلغهم التوقيف والعرض الأخير ، فيتأول قراءته ﷺ النساء أولًا ثم آل عمران هنا على أنه كان قبل التوقيف والترتيب ، وكانت هاتان السورتان هكذا في مصحف أبي ، قال : ولا خلاف أنه يجوز للمصلي أن يقرأ في الركعة الثانية سورة قبل التي قرأها في الأولى ، وإنما يكره ذلك في ركعة ، ولمن يتلو في غير صلاة قال : وقد أباحه بعضهم وتأوله نهي السلف عن قراءة القرآن منكوسًا على من يقرأ من آخر السورة إلى أولها ، قال : ولا خلاف أن ترتيب آيات كل سورة بتوقيف من الله تعالى على ما هي عليه الآن في المصحف ، وهكذا نقلته الأمة عن نبيها ﷺ هذا آخر كلام القاضي عياض والله تعالى أعلم .. انتهى ما ذكره النووى[أ] .

قال السيوطي في الإتقان : والذي ينشرح له الصدر ما ذهب إليه البيهقي وهو أن جميع السور ترتيبها توقيفي إلا براءة والأنفال ، ولا ينبغي أن يستدل بقراءته ﷺ سورًا وَلاَءً على أن ترتيبها كذلك ، وحينئذ فلا يرد حديث قراءته

[أ] شرح النووي على صحيح مسلم ٦ / ٦١ - ٦٢ المراد من التكيس في القراءة هو أن يقرأ القارئ آخر آية من السورة ثم يأتي بالتي تسبقها من حيث الترتيب كأن يقرأ مثلا ((ولم يكن له كفوًا أحد)) ثم يقول ((لم يلد ولم يولد ولم يك)) ثم يقول ((الله الصمد)) فهذا حرام يأثم فاعله سواء فعله في الصلاة أو في خارجها فهو حرام في كل حال ، المحقق .

النساء قبل آل عمران لأن ترتيب السور في القراءة ليس بواجب ، ولعله فعل ذلك لبيان الجواز » اهـ[أ] .

وقال الكرماني : « ترتيب السور هكذا هو عند الله تعالى في اللوح المحفوظ وعليه كان رسول الله ﷺ يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه وعرض عليه في السنة التي توفي فيها مرتين »[ب] .

وقال ابن الحصَّار : « ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحي كان رسول الله ﷺ يقول ضعوا آية كذا في موضع كذا ، وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله ﷺ ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف » اهـ[ج] .

وقال البيهقي في المدخل : « كان القرآن على عهد النبي ﷺ مرتبًا سوره وآياته على هذا الترتيب إلا الأنفال وبراءة لحديث عثمان السابق » اهـ[د] .

وقد ذكر السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه الإتقان روايات عديدة فراجعه إن شئت .

وإلى ما سبق أشار الشيخ محمد العاقب الشنقيطي رحمه الله في نظمه كشف العمى بقوله :

[أ] ذكره السيوطي في الإتقان في علوم القرآن ١٧٣/١ ، والزرقاني في مناهل العرفان ٢٤٧/١ .

[ب] ذكر الزركشي في البرهان في علوم القرآن ٢٥٧/١ ، والسيوطي في الإتقان في علوم القرآن ١/ ١٧١ .

[ج] ذكره السيوطي في الإتقان في علوم القرآن ١٧٠/١ ، وأسرار ترتيب القرآن ٦٩/١ .

[د] ذكره السيوطي في الإتقان في علوم القرآن ١ / ١٧٢ ، وأسرار ترتيب القرآن ١ / ٦٩ .

قد أنزل القرآن دون ثُنْيا[١] ليلته إلى سماء الدُّنيا
ثم على قلب النبيِّ هَجما به الأمين أنجما منجما
وليس ترتيب النزول كالأدا وفي الأدا الترتيب بالوحي اقتدى[٢]
فهو كما عليه مستطر في لوحه المحفوظ نعم المستطر
وذاك في السور في القول الأحقّ والحقُّ في الآي عليه متفق
ويحرم التنكيس فيه والخبر جاء بتنكيس قراءة السور[٣]

* وأما أسماء السور :

فبتوقيف من النبي ﷺ كما ثبت ذلك من الآحاديث والآثار ، فمن ذلك : ما أخرجه أحمد بإسناد حسن عن عثمان بن أبي العاص قال : كنت جالسا عند رسول الله ﷺ إذ شخَصَ ببصره ثم صوبه ثم قال : أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ

---

(١) الثنيا بضم الثاء مع الياء والثنوى بالفتح مع الواو اسم من الاستثناء ، قاله في المصباح ؛ أي أنزل القرآن إلى السماء الدنيا جملة واحدة دون استثناء منه .

(٢) أي ليس ترتيب النزول كترتيب التلاوة ؛ فإن أول ما نزل اقرأ باسم ربك الذي خلق وأول القرآن الفاتحة .

(٣) أي يحرم التنكيس في الآيات مطلقًا خطًّا وقراءة ، وأما في السور فيحرم تنكيسها في الخط عن حالتها في المصحف ، أما في قراءتها فقد ورد في الحديث أن النبي ﷺ فعله اهـ من كتاب إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام للشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي رحمه الله .

قال في فتح الباري [٩/ ٤٠] وأما ما جاء عن السلف من النهى عن قراءة القرآن منكوسًا فالمراد به أن يقرأ من آخر السورة إلى أولها .. اهـ .

وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [النحل : ٩٠] إلى آخرها[أ] .

ومنه : ما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة أن البيت الذي تقرأ فيه البقرة لا يدخله شيطان[ب] .

ومنه : ما أخرجه مسلم أيضًا عن أبي الدرداء مرفوعًا : من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال[ج] .

وفي لفظ : من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف[د] .

ومن تتبَّع ما ورد في خصائص بعض السور ظهر له ذلك واضحًا جليًّا فلا داعي لإطالة البحث .

فعلم من جميع ما تقدم أن ترتيب آيات القرآن توقيفي باتفاق العلماء ، وكذلك تسمية السور بأسماء خاصة ، وأن ترتيب سوره مختلف فيه ، فقال بعضهم أنه توقيفي ، وقال بعضهم أنه من اجتهاد الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

ولقد أمعنا النظر في ترتيب السور فلم يظهر لنا ترجيح أحد القولين على الآخر ، فلكل منهما وجهة ولا يسعنا إلا أن نفوضه إلى علام الغيوب ، ولا بأس أن نذكر هنا ما يؤيد كلا القولين فنقول :

[أ] أخرجه أحمد في مسنده (٤ / ٣١٨) بإسناده ، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٤٨) بإسناده ، وقال : رواه أحمد وإسناده حسن .

[ب] أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين ، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد (٧٨٠) ولفظه: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : لا تجعلوا بيوتكم مقابر ؛ إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة .

[ج] أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي (٨٠٩) عن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال : .. به .

[د] أخرجه أحمد في مسنده (٦ / ٤٦) عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال : .. به .

الدليل على أنه توقيفي :

أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم هم أشد الناس اقتداء برسول الله ﷺ وأبعدهم عن الابتداع والعمل بالظن والهوى ، ومما لا شك فيه أنه حين جمعهم للقرآن الكريم تحروا فيه كل شيء فما قدموا سورة على أخرى إلا باستناد إلى أمره ﷺ أو فعله أو تقريره ، ولا يخفى أن النبي ﷺ عرض القرآن على جبريل مرتين(١) في السنة التي توفي فيها[أ] ، ولا ريب أن القرآن حينئذ كان قد أنزل كله على رسول الله ﷺ فعرضه على جبريل هذه المرة كان من أوله إلى آخره ، وبالضرورة يكون ترتيبه على ما هو في اللوح المحفوظ الموافق على ما هو عليه الآن بهذه الصفة ؛ إذ لا يعرضه ﷺ العرض الأخير

---

(١) قال في فتح الباري شرح صحيح البخاري [٩/٤٤] واختلف في العرضة الأخيرة هل كانت بجميع الأحرف المأذون في قراءتها أو بحرف واحد منها ، وعلى الثاني فهل هو الحرف الذي جمع عليه عثمان جميع الناس أو غيره ، وقد روى أحمد وابن أبي داود والطبري من طريق عبيدة بن عمر السلماني : أن الذي جمع عليه عثمان الناس يوافق العرضة الأخيرة .. اهـ من الفتح .

وتؤخذ من هذه العرضة جملة أمور ، منها : إكمال نزول القرآن ، ومنها : ترتيب الآيات والسور ، ومنها : الإشارة إلى قرب أجله ﷺ ، فقد روى البخاري : أنه أسر إلى ابنته فاطمة أن جبريل يعارضني بالقرآن كل سنة وأنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي [أخرجه البخاري في كتاب المناقب ٣٦٢٤] .

[أ] وذلك مصداقا لما أخرجه الحاكم في المستدرك (٢ / ٢٥٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أي القراءتين ترون كان آخر القراءة قالوا : قراءة زيد ، قال : لا إن رسول الله ﷺ كان يعرض القرآن كل سنة على جبريل عليه السلام فلما كانت السنة التي قبض فيها عرضه عليه عرضتين ، فكانت قراءة ابن مسعود آخرهن . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة .

على جبريل إلا مرتب الآيات والسور ، وإن زيد بن ثابت كان حاضرًا هذه العرضة الأخيرة وهو كاتب الوحي ، فعلى هذه العرضة كتب مصحف أبي بكر ومصحف عثمان .

ثم لا يعقل أن يضعوا سوَر القرآن كيفما اتفق لهم ، فلو كان ترتيبها باجتهادهم لرتبوها إما بحسب تاريخ نزولها أو مَواقعها ، وإما بحسب طولها وقصرها ، وإما بحسب ترتيب مصحف أحد كبار الصحابة كعلي بن أبي طالب وابن عباس وابن مسعود وأبيّ بن كعب - وكل ذلك لم يكن فما هناك سوى التوقيف .

والدليل على أنه اجتهادي : ما جاء في صحيح مسلم عن حذيفة قال : صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت : يركع عند المائة ، ثم مضى فقلت : يصلى بها في ركعة ، فمضى فقلت : يركع بها ، ثم افتتح النساء فقرأها ، ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسِّلا[أ] ... إلخ الحديث .

فكونه ﷺ قرأ النساء أولًا ثم آل عمران فيه دليل على أن ترتيب سور المصحف من اجتهاد الصحابة كما تقدم ذلك من قول القاضي عياض وأن ترتيبها في الصلاة ليس بواجب .

وأيضًا : ما جاء في صحيح البخاري عن يوسف بن مَاهَك قال : إني عند عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها إذ جاءها عراقي فقال : أي الكفن خير ؟

[أ] أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين ، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل (٧٧٢) عن حذيفة قال : صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة : .. به .

قالت : ويحك وما يضرك ؟ قال : يا أم المؤمنين أريني مصحفك ، قالت : لِمَ ؟ قال : لعلي أوَلِّف القرآن عليه ، فإنه يقرأ غير مؤلف ، قالت ، وما يضرك أيَّهُ قرأتَ قبلُ ؟ أنما نزل أوَّل ما نزل منه سورة من المفصَّل[أ] ... إلخ الحديث .

ففي قول عائشة للعراقي : « وما يضرك أيَّهُ قرأتَ قبلُ » دليل على أن ترتيب السور في التلاوة ليس بواجب ، وهو كذلك في جميع المذاهب ؛ فإنه يجوز ترك ترتيبها في الصلاة والتلاوة والدرس[ب] ؛ لأن كل سورة مستقلة بذاتها مستوفية لآياتها - ويفهم من هذا الحديث أن الناس كانوا يقرؤون القرآن ويكتبونه من غير ترتيب لسوره حتى جمع عثمان مصحفه وحمل الناس عليه .

فلو كان ترتيب المصحف توقيفيًا لم يختلف ترتيب السور في مصاحف كبار الصحابة كعلي بن أبي طالب ، وأبي بن كعب ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وعائشة أم المؤمنين ، وزيد بن ثابت فكل واحد من هؤلاء كتب مصحفه على عهد رسول الله ﷺ .

فمصحف علي كان أوله ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾ ثم ﴿ ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴾ ثم ﴿ نٓ ﴾ وهكذا إلى آخر المكي والمدني .

ومصحف ابن مسعود كان أوله البقرة ، ثم النساء ، ثم آل عمران على

[أ] أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب تأليف القرآن (٤٩٩٣) عن يوسف بن ماهك قال : إني عند عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها إذ جاءها عراقي فقال : .. به .

[ب] قال الأبي في الثمر الداني شرح رسالة القيرواني (١ / ١١٦) ويستحب أن يقرأ على نظم المصحف ويكره التكيس ، فإن نكس فلا شيء عليه إن فعل ، والتكيس المكروه كتكيس السور أو قراءة نصف سورة أخير ثم نصفها الأول كان ذلك في ركعة أو ركعتين ، وأما إذا فعل التكيس الحرام فتبطل الصلاة كتكيس آيات سورة واحدة بركعة واحدة .

اختلاف شديد .

وقد ذكر ابن النديم في كتابه « الفهرست »(١) ترتيب سور مصاحف بعض الصحابة كما ذكره أيضًا السيوطي في كتابه « الإتقان » فراجعهما إن شئت[أ] .

فلو كان هناك أمر صريح أو إشارة خفية من النبي ﷺ في ترتيب سور المصحف لما عَزَبَ ذلك على هؤلاء وهم من أجلاء الصحابة وأكثرهم اتصالًا به عليه الصلاة والسلام .

وختام المقام : أن ترتيب سور المصحف سواء كان توقيفيًا أو اجتهاديًا فإنه يجب علينا اتباع المصحف العثماني في ترتيب سوره ورسم كلماته ؛ لأننا مأمورون باتباع الصحابة آثمون بمخالفتهم .

قال عليه الصلاة والسلام كما في حديث العِرباض بن سارية : « فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عَضُّوا عليها بالنواجذ »(٢) .

---

(١) ألف ابن النديم كتابه الفهرست عام ٣٧٧ هجرية وهو يعد من أقدم الكتب وأهمها ، وقد ظهر الآن في عالم المطبوعات .

(٢) [سبق تخريجه] والحديث المروي عن عرباض بن سارية رضي الله عنه هو « قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون ، قلنا : يارسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا ، قال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد ؛ فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة . رواه أبو داود [السنة : ٤٦٠٧] والترمذي [العلم : ٢٦٧٧] - وفي رواية أحمد [المسند ١٢٦/٤]وابن ماجه =

[أ] الفهرست ١ / ٤١ ، والإتقان في علوم القرآن ٢ / ٢٨٨ .

ولهذا كان إجماعهم حجة ، وقد أجمعوا على اعتماد مصحف عثمان ونسخوا مصاحفهم على نمطه كما سبق بيانه .

فلا يوجد مسلم على وجه الأرض يرى مخالفته ولله الحمد وهذا مصداق قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] .

عدد المصاحف التي فرّقها عثمان رضي الله عنه في الأمصار

تقدم أن عثمان بن عفان لما فرغ من جمع مصحفه أرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمرهم أن يحرقوا كل مصحف يخالف المصحف الذي أرسل به .

وقد اختلفوا في عدة المصاحف التي فرقها في الأمصار :

فقيل : إنها أربعة وهو الذي اتفق عليه أكثر العلماء .

= عن عرباض أيضًا « قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك ، ومن يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم ... إلخ الحديث .

والعرباض بن سارية رضي الله عنه هو بكسر العين وسكون الراء كان من أهل الصفة ، وهو ممن نزل فيه قوله تعالى ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ﴾ قال محمد بن عوف : كان قديم الإسلام جدًا ، نزل الشام ثم سكن حمص ومات في فتنة ابن الزبير سنة خمس وسبعين في خلافة عبد الملك بن مروان « فقوله ﷺ ومن يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا » هذا من ضمن معجزاته عليه الصلاة والسلام التي لا تحصى ، فلقد وقع ويقع كثير من الأمور والفتن التي أخبر بها

فكم من المغيبات ذكرا فبعضها مضى وبعض سيرى
ومعجزات المصطفى ليست تعد وفي الشفا منها كثير قد ورد

وقيل : إنها خمسة . وقيل : إنها ستة . وقيل : سبعة . وقيل : ثمانية[أ] .

أما كونها أربعة : فقيل إنه أبقى مصحفًا بالمدينة وأرسل مصحفًا إلى الشام ومصحفًا إلى الكوفة ، ومصحفًا إلى البصرة .

وأما كونها خمسة : فالأربعة المتقدم ذكرها والخامس أرسله إلى مكة .

وأما كونها ستة : فالخمسة المتقدم ذكرها ، والسادس اختلف فيه فقيل : جعله خاصًّا لنفسه ، وقيل : أرسله إلى البحرين .

وأما كونها سبعة : فالستة المتقدم ذكرها ، والسابع أرسله اليمن .

وأما كونها ثمانية : فالسبعة المتقدم ذكرها ، والثامن كان لعثمان يقرأ فيه ، وهو الذي قتل وهو بين يديه . اهـ من نهاية القول المفيد[ب] .

وبعث رضي الله عنه مع كل مصحف من يرشد الناس إلى قراءته بما يحتمله رسمه من القراءات مما صح وتواتر(١) فكان عبد الله بن السائب مع المصحف المكي ، والمغيرة بن شهاب مع المصحف الشامي ، وأبو عبد الرحمن السلمي مع المصحف الكوفي ، وعامر بن قيس مع المصحف البصري ، وأمر زيد بن ثابت أن يقرئ الناس بالمدني[ج] .

ولا ندري لِمَ لَمْ يرسل عثمان رضي الله عنه لكل بلدة من البلاد الإسلامية

---

(١) وهذا اختلاف قراءات في لغة واحدة لا اختلاف لغات ، انظر في الفصل الثاني من الباب الثالث لتقف على سبب اختلاف رسوم هذه المصاحف .

[أ] السيوطي في الإتقان في علوم القرآن ١ / ٢١٦ .

[ب] نهاية القول المفيد (١٩٧) ؛ والزرقاني في مناهل العرفان ١ / ٢٧٨ .

[ج] الإتقان في علوم القرآن (١ / ١٩٧) مناهل العرفان (١ / ٢٨٦) .

مصحفًا أو بضعة مصاحف ، والظاهر والله تعالى أعلم أن ذلك كان لقلة النساخ في عهدهم ، ولعدم وجود الورق عندهم فقد كانوا يكتبونها على الجلود والعسب واللخاف والأكتاف ونحوها ، فربما يلزم لكتابة مصحف واحد قنطار من هذه الأشياء[أ] .

ولقد وصف الزنجاني مصحف عليٍّ رضي الله عنه بأنه كان في سبعة أجزاء وقد أتى به يحمله على جمل ، وهو يقول : هذا القرآن جمعته[ب] .

وروى أن الصاحب بن عبّاد المتوفى سنة ٣٨٥ هجرية كان يحمل معه في أسفاره كتاب الأغاني على أربعين جملًا ، وذكروا أن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى كان كثيرًا ما يكتب المسائل على العظام حتى ملأ منها خبايا[١] .

(١) نستنتج مما ذكر : أن المصاحف التي رفعت على رؤوس الرماح في الحرب بين علي ومعاوية رضي الله عنهما سنة (٣٧) البالغ عددها نحو ثلاثمائة مصحف طلبًا للهدنة وحقنًا للدماء ، لم تكن بمصاحف كاملة وإنما هي أجزاء من القرآن مكتوبة على نحو العسب والألواح والأكتاف وبذلك يمكن للرجل رفع ما كتب من القرآن على شيء مما ذكر ، فإطلاق المؤرخين رفع المصاحف في هذه الحرب إنما هو من إطلاق الكل وإرادة الجزء ، والله أعلم .

[أ] ما ذكره المؤلف ليس صحيحا بل الصواب ما فعله عثمان فقد كتب مصحفًا لأهل المدينة وآخر لأهل مكة كما كتب لكل من أهل الكوفة والبصرة والشام وأرسل مع كل مصحف قارئا يقرئ أهل المصر بما قرأ وسمع من رسول الله ﷺ كما أن القراءة لا تخرج عن قراءة أئمة هذه البلاد فقد برز بالمدينة الإمامان نافع وأبو جعفر وبمكة ابن كثير وبالشام ابن عامر الشامي وبالكوفة عاصم وحمزة والكسائي وخلف وبالبصرة أبو عمرو ويعقوب البصريان وهم من أئمة القراء العشرة وقد حوت المصاحف التي أرسلها عثمان إلى هذه البلاد ما اختلف فيه هؤلاء الأئمة في بعض الألفاظ التي اختلف نطقها عندهم وما عدا ذلك فهو متفق عليه فيما بينهم وهذا ما فعله عثمان بمجمع من الصحابة وليس كما ذكره المؤلف من قلة النساخ إلخ . المحقق .

[ب] تاريخ القرآن لأبي عبد الله الزنجاني تحقيق الأستاذ / طه عبد الرءوف سعد ص ٤٧ ط مؤسسة الحلبي وشركاه

كل ذلك كان لعدم انتشار الورق عندهم في ذلك الزمن[١] ، ولا ندري كيف كانوا يعثرون على مسألة من المسائل وهي مكتوبة على نحو العظام واللخاف والأكتاف التي يعسر ترتيبها ، لاشك أن مراجعتها والوقوف عليها ليس بسهل ومع ذلك كانوا أئمة الدين وأنجم الهدى .

والذي نراه أن المصاحف العثمانية التي أرسلت إلى الأمصار كتبت على الجلود وكتبت بالخط الكوفي الذي ما كانوا يعرفون من الخط سواه وكتبت بغير نقط ولا شكل ولم يكن فيها علامات للأجزاء والأحزاب ونحوها .

(١) إذا أردت الوقوف على ظهور الورق فعليك بمراجعة كتابنا « تاريخ الخط العربي وآدابه » وهو مطبوع بمصر .

الفصل الخامس

في نزول القرآن على سبعة أحرف

روى البخاري في كتاب « التفسير » عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « أقرأني جبريل على حرف فراجعته ، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف »[أ] .

وأخرج أبو يعلى في مسنده أن عثمان قال على المنبر : أذكّر الله رجلًا سمع النبي ﷺ قال : « إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف » لما قام فقاموا حتى لم يحصوا فشهدوا بذلك فقال : وأنا أشهد معهم[ب] .

رواه جمع من الصحابة يبلغ عددهم واحدًا وعشرين صحابيًا .

وقد نص أبو عبيدة على تواتره . وروى مسلم والبخاري واللفظ له عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت هشام بن حكيم(١) يقرأ سورة

---

(١) هو هشام بن حكيم بن حزام القرشي الأسدي ، أسلم يوم الفتح ومات قبل أبيه ، كان من فضلاء الصحابة وخيارهم ممن يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، قال أبو نعيم : استشهد بأجنادين . اهـ من الاستيعاب (وأجنادين موضع بالشام من نواحي فلسطين بعضهم يقول إنه بلفظ التثنية ، وبعضهم بلفظ الجمع ، قاله صاحب معجم البلدان .

[أ] أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (٤٩٩١) ابن عباس رضي الله عنهما حدثه أن رسول الله ﷺ قال : .. به ، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين ، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه (٨١٩) بإسناده .

[ب] أخرجه أحمد في مسنده (٥ / ١٢٢) و الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٥٢) عن أبي المنهال قال : بلغنا أن عثمان رضي الله عنه قال يوما وهو على المنبر : .. به ، وقال رواه أبو يعلى في الكبير وفيه راو لم يسم .

الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ ، فكدت أساوره[١] في الصلاة ، فتصبرت حتى سلَّم فلببته[٢] بردائه فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ فقال : أقرأنيها رسول الله ﷺ ، فقلت : كذبت فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت[٣] ، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ ، فقلت : إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها ، فقال رسول الله ﷺ : أرسله « اقرأ يا هشام » فقرا عليه القراءة التي سمعته يقرأ ، فقال رسول الله ﷺ : « كذلك أنزلت » ثم قال : « اقرأ يا عمر » فقرأت القراءة التي أقرأني ، فقال رسول الله ﷺ : « كذلك أنزلت ، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه »[٤] .

---

(١) أساوره : أي أثب عليه .

(٢) أي أخذته بردائه ، وهو بفتح اللام وتشديد الباء الأولى .

(٣) وسبب اختلاف قراءتهما كما ذكره ابن حجر في فتح الباري [٩/٢٦] أن عمر حفظ هذه السورة من رسول الله ﷺ قديمًا ثم لم يسمع ما نزل فيها بخلاف ما حفظه وشاهده ، ولأن هشامًا من مسلمة الفتح فكأن النبي ﷺ أقرأه على ما نزل أخيرًا فنشأ اختلافهما من ذلك ، ومبادرة عمر للإنكار محمولة على أنه لم يكن سمع حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف إلا في هذه الواقعة .. اهـ .

(٤) روى البخاري هذا الحديث في كتاب التفسير في باب أنزل القرآن على سبعة أحرف [٤٩٩٢] ورواه أيضًا في باب لم ير بأسا أن يقول سورة البقرة وسورة كذا وكذا في كتاب التفسير [٥٠٤١] ورواه مسلم في آخر كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، في [باب] فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه عند بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف [٨١٨] . ورواه الطبري أيضا في تفسيره .

قال ابن حجر في « فتح الباري على صحيح البخاري » عند هذا الحديث ما نصه : « فصل : لم أقف في شيء من طرق حديث عمر على تعيين الأحرف التي اختلف فيها عمر وهشام من سورة الفرقان ، وقد زعم بعضهم فيما حكاه ابن التين أنه ليس في هذه السورة عند القراء خلاف فيما ينقص من خط المصحف سوى قوله ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا ﴾ [الفرقان ٦١] وقرئ (سُرُجًا)[أ] جمع سراج ، قال وباقي ما فيها من الخلاف لا يخالف خط المصحف . قال ابن حجر : قلت : وقد تتبع أبو عمر بن عبد البر ما اختلف فيه القراء من ذلك من لدن الصحابة ومن بعدهم من هذه السورة فأوردته ملخصًا وزدت عليه قدر ما ذكره وزيادة على ذلك ، وفيه تعقب على ما حكاه ابن التين في سبعة مواضع أو أكثر .. اهـ منه .

ثم ذكر ابن حجر ما ورد من القراءات في سورة الفرقان فراجعه إن شئت فلو نقلناه هنا لطال بنا الكلام » اهـ[ب] .

وفي رواية لأبيٍّ بن كعب(١) أنه قال : دخلت المسجد أصلى فدخل رجل

---

(١) هو أبي بن كعب بن قيس الأنصاري النجاري سيد القراء وهو أحد فقهاء الصحابة وأقرؤهم لكتاب الله تعالى ، وهو أول من كتب لرسول الله ﷺ مقدمه المدينة كتب الوحي قبل زيد ومعه أيضًا ، وروى أنس أن النبي ﷺ دعا أبيًّا فقال : إن الله أمرني أن أقرأ عليك ، قال : آلله سماني لك ؟ قال : نعم ، فجعل أبي يبكي ، قال أنس : ونبئت أنه قرأ عليه ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ ، مات أبي سنة اثنين وعشرين فقال عمر : اليوم مات سيد المسلمين ، وقيل مات في خلافة عثمان سنة ثلاثين وقيل غير ذلك اهـ ملخصا من الإصابة والاستيعاب .

[أ] فقد قرأها حمزة والكسائي وخلف بضم السين والراء من غير ألف على الجمع ، وقرأ الباقون بكسر السين وفتح الراء وألف بعدها على الإفراد . النشر ٣٣٤/٢ .

[ب] فتح الباري (٩ / ٣٢) .

فافتتح النحل ، فقرأ فخالفني في القراءة فلما انفتل(١) .

قلت : من أقرأك ؟ قال : رسول الله ﷺ ، ثم جاء رجل فقام وصلى فقرأ فافتتح النحل فخالفني وخالف صاحبي ، فلما انفتل قلت : من أقرأك ؟ قال رسول الله ﷺ ، قال : فدخل قلبي من الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية ، فأخذت بأيديهما وانطلقت بهما إلى رسول الله ﷺ ، فقلت : استقرئ هذين فاستقرأ أحدهما فقال : « أحسنت » فدخل قلبي من الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية ، ثم استقرأ الآخر فقال : « أحسنت » فدخل صدري من الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية ، فضرب رسول الله ﷺ صدري بيده فقال : « أعيذك بالله يا أبيّ من الشك » ثم قال : « إن جبريل عليه السلام أتاني فقال : إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت : اللهم خفف عن أمتي ، ثم عاد فقال : إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفين ، فقلت : اللهم خفف عن أمتي ، ثم عاد فقال : إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف ، وأعطاك بكل رَدَّة مسألة .. الحديث[أ] .

وفي صحيح مسلم : عن أبيّ بن كعب رواية بهذا المعنى أيضًا في آخر كتاب صلاة المسافرين وقصرها في فضل من يقوم بالقرآن يعلمه[ب] ،

---

(١) انفتل أي انصرف من صلاته .

[أ] ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥ / ١٠٨) بإسناده .

[ب] رقم الحديث (٨٢٠) .

وللطبري رواية بهذا المعنى عن أبيّ بن كعب أيضًا[أ] .

روى البخاري عن ابن مسعود(١) رضي الله عنه قال : سمعت رجلًا قرأ وسمعت النبي ﷺ يقرأ خلافها ، فجئت به النبي ﷺ فأخبرته ، فعرفت في وجهه الكَراهِيةَ وقال : « كلاكما محسن ، ولا تختلفوا ؛ فإن من كان قبلكم اختلفوا فَهَلكوا » . رواه البخاري في كتاب بدء الخلق في حديث الغار في أول باب منه[ب] .

---

(١) هو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذليّ أسلم قديمًا وهاجر الهجرتين وشهد بدرًا والمشاهد بعدها ، ولازم النبي ﷺ وكان يحمل نعليه ، قال أبو نعيم : كان سادس من أسلم ، وكان يقول : أخذت من فيّ رسول الله ﷺ سبعين سورة ، واختلف في وفاته فقيل : توفي سنة اثنتين وثلاثين ، وقيل : غير ذلك اهـ ملخصًا من الإصابة . وينسب إلى أمه أحيانًا فيقال : ابن أم عبد ، وكان يلج على رسول الله ﷺ ويلبسه نعليه ويمشي أمامه ومعه ، ويستره إذا اغتسل ، ويوقظه إذا نام ، وقال له رسول الله ﷺ إذنك على أن يرفع الحجاب وأن تسمع سوادي حتى أنهاك ، رواه مسلم في كتاب السلام في باب استحباب السلام على الصبيان وكان يعرف في الصحابة بصاحب السواد والسواك ، وزاد بعضهم : والفراش والوساد ، وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة وإلى ما ذكر أشار صاحب نظم عمود النسب بقوله : ومن هذيل صاحب السواد والنعل والفراش والوساد

قال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم عند الحديث المذكور : السواد بكسر السين المهملة اتفق العلماء على أن المراد به السرار بكسر السين وبالراء المكررة ، وهو السر والمسارر يقال : ساودت الرجل مساودة إذا سارررته اهـ .

[أ] تفسير الطبري ١ / ٨٥ .

[ب] أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم (٣٤٧٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : .. به .

وللطبري وللطبراني[١] عن زيد بن أرقم قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : أقرأني ابن مسعود سورة أقرأنيها زيد ، وأقرأنيها أبيٌ بن كعب فاختلفت قراءتهم ، فبقراءة أيهم آخذ ؟ فسكت رسول الله ﷺ وعليٌ إلى جنبه ، فقال عليٌ ليقرأ كل إنسان منكم كما عُلم ؛ فإنه حسن جميل[أ] .

وعن هشام بن على ، عن زيد بن علقمة النخعي قال : لما خرج عبد الله بن مسعود من الكوفة اجتمع إليه أصحابه فودعهم ثم قال : لا تنازعوا في القرآن فإنه لا يختلف ولا يتلاشى ولا ينفد بكثرة الردِّ ، وأن شريعته الإسلام وحدوده وفرائضه فيه واحدة ، ولو كان شيء من الحرفين ينهى عن شيء يأمر به الآخر كان ذلك الاختلاف ولكنه جامع ذلك كله لا تختلف فيه الحدود والفرائض ، ولا شيء من شرائع الإسلام ، ولقد رأيتنا نتنازع فيه عند رسول الله ﷺ فيأمرنا نقرأ عليه فيخبرنا أن كلنا محسن ، ولو أعلم أحداً أعلم بما أنزل الله على رسوله مني لطلبته حتى أزداد علمه إلى علمي ، ولقد قرأت من لسان رسول الله ﷺ سبعين سورة ، قد كنت علمت أنه يعرض عليه القرآن في كل رمضان حتى كان عام قبض فعرض عليه مرتين ، فكان إذا فرغ أقرأ عليه

---

(١) الطبري هو الإمام محمد بن جرير الطبري المولود سنة (٢٢٤ هجرية) والطبراني من أصحاب الحديث .

[أ] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٥٠٧٨) عن زيد بن أرقم قال : كنا معه في المسجد فحدثنا ساعة ثم قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : .. به ، وابن حبان في صحيحه (٥ / ١٩٨) بإسناده ، والحاكم في المستدرك (٢ / ٢٤٣) بإسناده ، وصححه ، والطبري في تفسيره (١ / ٨٧) بإسناده .

فيخبرني أني محسن ، فمن قرأ على قراءتي فلا يدعنها رغبة عنها ، ومن قرأ عليَّ شيء من هذه الحروف فلا يدعنه رغبة عنه(١) فإن من جحد بآية جحد به كله .. اهـ رواه الطبري في تفسيره[أ] ، وهل اللفظ واحد أم لا ، يحتاج إلى المراجعة .

وهناك روايات كثيرة في نزول القرآن على سبعة أحرف اكتفينا بما ذكر لأن سرد جميعها موجب للتطويل(٢) فاختلاف هذه الأحرف إنما هو اختلاف ألفاظ وتلاوة لا اختلاف معان موجبة لاختلاف أحكامه .

مثال ذلك : ما رواه ابن فارس بسنده عن هانئ قال : كنت عند عثمان رضي الله عنه وهم يعرضون المصاحف ، فأرسلني بكَتِف شاة إلى أبيٍّ بن كعب فيها (لَمْ يَتَسَنَّ) و (فأمهل الكافرين) و (لا تبديل للخلْق) قال : فدعا بالدواة ، فمحا إحدى اللامين ، وكتب : ﴿ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ [الروم : ٣٠] ومحا فأمهل ، وكتب ﴿ فَمَهِّلِ ﴾ [الطارق : ١٧] ، وكتب ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ [البقرة : ٢٥٩] ألحق فيها هاء[ب] . والقراءة في المصاحف على هذا الاصطلاح .

---

(١) وفي هذا المعنى روى الطبراني عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، فمن قرأ على حرف منها فلا يتحول إلى غيره رغبة عنه .

(٢) ذكر الإمام ابن جرير الطبري كثيرًا من الروايات الواردة في نزول القرآن على سبعة أحرف في أول تفسيره [١/٨٥ - ٨٨] وأطال الكلام فيه .

[أ] تفسير الطبري (١ / ٨٨) .

[ب] ذكره الطبري في تفسيره (٣ / ٣٨) والسيوطي في الإتقان (١ / ٥٣٨) والزرقاني في مناهل العرفان (١ / ٢٦٧) .

ولقد ذهب العلماء في المراد بهذه الأحرف السبعة إلى نحو أربعين قولًا ذكرها الإمام السيوطي في كتابه « الإتقان في علوم القرآن » نذكر ملخص ذلك وهو المختار منها أن المراد سبع لغات كما صححه البيهقي في الشعب[أ] ، واختلفوا في تعيينها ، فقال أبو عبيدة : قريش وهذيل وثقيف وهوازن وكنانة وتميم واليمن ، وقيل غير ذلك[ب] .

وجاء عن أبي صالح عن ابن عباس قال : نزل القرآن على سبع لغات(١) منها خمس بلغة العجز من هوازن ، ويقال لهم : علياء هوازن[ج] .

---

(١) قال بعضهم [ابن حجر في فتح الباري ٩/٩] : الحكمة في نزول القرآن على سبع لغات من أعيان العرب ، تأليف قلوبهم لما كان فيهم من الحمية العربية ، ولطلب فهم المراد ، فافتخر كل بلغته حين شاهدوا نزول القرآن ، فاستأنس كثير من فصحائهم فكان سبب إيمانه .. اهـ .

[أ] قال البيهقي في السنن الكبرى (٢ / ٣٨٥) قال أبو عبيد : قوله : سبعة أحرف يعني سبع لغات من لغات العرب وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه ، هذا ما لم يسمع به قط ولكن يقول هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن فبعضه نزل بلغة قريش وبعضه بلغة هوازن وبعضه بلغة هذيل وبعضه بلغة أهل اليمن وكذلك سائر اللغات ومعانيها في هذا كله واحد ومما يبين لك ذلك قول ابن مسعود فذكره قال : وكذلك قال ابن سيرين وإنما هو كقولك : هلم تعال وأقبل ، ثم فسره ابن سيرين فقال في قراءة ابن مسعود : إن كانت الأزقية واحدة وفي قرائتنا صحيحة واحدة والمعنى فيهما واحد وعلى هذا سائر اللغات .

[ب] السيوطي في الإتقان (١ / ١٣٤) والزرقاني في مناهل العرفان (١ / ١٢٦) والألوسي في روح المعاني (١ / ٢١) .

[ج] البرهان في علوم القرآن (١ / ٢٨٣) والسيوطي في الإتقان (١ / ١٣٣) والألوسي في روح المعاني (١ / ٢٨٣).

قال أبو عبيدة : ليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات ؛ بل اللغات السبع مفرقة فيه ، فبعضه بلغة قريش ، وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة هوازن ، وبعضه بلغة اليمن ، ومعناه : أن جبريل عليه السلام كان يأتي في كل عَرْضة بحرف إلى أن تمت الأحرف السبعة ، وذلك تخفيف وتيسير على الأمة في التكلم بكتابهم كما خفف عنهم في شريعتهم هذا هو المعوَّل عليه .. اهـ(١) »[أ].

وقال أبو شامة : ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث ، وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة ، وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل[ب] .

وقال مكي بن أبي طالب : وأما من ظن أن قراءة هؤلاء القراء كعاصم ونافع هي الأحرف السبعة التي في الحديث فقد غلط غلطًا عظيمًا ، قال : ويلزم من هذا أن ما خرج عن قراءة هؤلاء السبعة مما ثبت عن الأئمة وغيرهم ووافق خط المصحف لا يكون قرآنًا وهو غلط عظيم ، قال : وهذه القراءات التي يقرأ بها اليوم وصحت رواياتها عن الأئمة جزء من الأحرف السبعة التي نزل

---

(١) ويدل على هذا ما أخرجه أبو داود من طريق كعب الأنصاري أن عمر كتب إلى ابن مسعود أن القرآن نزل بلسان قريش ، فأقرئ الناس بلغة قريش لا بلغة هذيل .. اهـ وابن مسعود كان من هذيل [ذكره ابن حجر في فتح الباري ٩/٩ ، وهو ليس عند أبي داود] .

[أ] السيوطي في الإتقان (١ / ١٣٤) والزرقاني في مناهل العرفان (١ / ١٢٦) والألوسي في روح المعاني (١ / ٢١) .

[ب] السيوطي في الإتقان (١ / ٢١٥) .

بها القرآن .. اهـ من « فتح الباري على صحيح البخاري »[أ] .

وقال ابن قتيبة : لم ينزل القرآن إلا بلغة قريش(١) واحتج بقوله : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾ [إبراهيم : ٤] فعلى هذا تكون اللغات السبع في بطون قريش ، وبذلك جزم أبو علي الأهوازي ، وقال أيضًا في كتاب « المشكل » : إن الله أمر نبيه ﷺ بأن يقرئ كل أمة بلغتهم وما جرت به عادتهم ، فالهذلي يقرأ (عتى حين) وغيره ﴿ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ والأسدي ﴿ يِعْلَمُون ﴾ و ﴿ تِعْلَمُون ﴾ و ﴿ وتِسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ و ﴿ أَلَمْ إِعْهَدْ إِلَيْكُمْ ﴾ بكسر حرف المضارعة والتميمي يهمز ، والقرشي لا يهمز ، والآخر يقرأ ﴿ قِيلَ لَهُمْ ﴾ [البقرة : ١١][ب] و ﴿ وَغِيضَ ٱلْمَآءُ ﴾ [هود : ٤٤] بإشمام الضم مع الكسر ، وهذا يقرأ ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ و ﴿ فِيهِمْ ﴾ بضم الهاء وهكذا وكل ذلك ثابت بالوحي المنزل على نبيه ﷺ .

قال ابن قتيبة :ولو أراد كل فريق من هؤلاء أن ينزل عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلًا ويافعًا وكهلًا لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه ، ولا يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة وتذليل للسان وقطع للعادة ، فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل له متسعًا في اللغات ومتصرفًا في الحركات كتيسيره عليهم في الدين اهـ [ج] .

---

(١) ومعنى أن القرآن نزل بلغة قريش سبق بيانه في الجمع الثالث عند رواية البخاري فارجع إليه .

[أ] ذكره ابن حجر في فتح الباري (١ / ٣٤) والسيوطي في الإتقان (١ / ٢١٥) والزرقاني في شرحه (٢ / ١٧١) .

[ب] وغيرها .

[ج] النشر ٢٣/١ .

وهذه اللغات والقراءة بها كانت موجودة ومعمولًا بها إلى عهد عثمان رضي الله عنه ، فلما اختلطت قبائل العرب وعرف كلٌّ لغة الآخر وسهل على كل قبيلة النطق بلغة القبيلة الأخرى ، وحدث في عهده رضي الله عنه ما يدعو إلى حمل الناس على القراءة بلغة واحدة أمر رضي الله عنه بجمع القرآن وكتابته وقراءته بلغة واحدة . اهـ كل ذلك من كتاب « الإتقان » للسيوطي رحمه الله ومن غيره[أ] .

وفي « نهاية القول المفيد »[ب] : « قال المحقق ابن الجزري » ولازلت أستشكل هذا الحديث (أي حديث أن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف إلخ) وأفكر فيه ، وأمعن النظر من نحو نيف وثلاثين سنة حتى فتح الله عليَّ بما يمكن أن يكون صوابًا إن شاء الله تعالى ، وذلك أني تتبعت القراءات صحيحها وضعيفها وشاذَّها ، فإذا هي يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه لا يخرج عنها وذلك :

إما في الحركات بلا تغيير في المعنى والصورة نحو ﴿ البُخْل ﴾ باثنين و ﴿ يَحْسَب ﴾ بوجهين .

أو بتغيير في المعنى فقط نحو ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ .

وإما في الحروف بتغيير في المعنى لا في الصورة نحو ﴿ تَبْلُوا۟ ﴾ و ﴿ تَتْلُوا۟ ﴾ وعكس ذلك نحو ﴿ بَسْطَةً ﴾ و ﴿ بَصْطَةً ﴾ .

أو بتغييرهما نحو ﴿ أَشَدَّ مِنكُمْ ﴾ و ﴿ مِّنْهُمْ ﴾ .

وإما في التقديم والتأخير نحو ﴿ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ .

أو في الزيادة والنقصان نحو ﴿ وَوَصَّىٰ ﴾ و ﴿ أَوْصَىٰ ﴾ .

[أ] السيوطي في الإتقان (١ / ١٣٤) والألوسي في روح المعاني (١ / ٢١) .

[ب] نهاية القول المفيد / ١٩٥ - ١٩٦ .

فهذه سبعة أوجه لا يخرج الاختلاف عنها .. اهـ كلامه[١] »[أ] .

وقد حمل ابن قتيبة وغيره العدد المذكور في حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف على الوجوه التي يقع بها التغاير في سبعة أشياء ذكرها مفصلًا ابن حجر في فتح الباري على صحيح البخاري عند الكلام على هذا الحديث ، فراجعه إن شئت ؛ فإنا لم ننقلها منه خوف التطويل ، وقد استوفى ابن حجر رحمه الله شرح هذا الحديث في فتح الباري ينبغي مطالعته فإنه مبحث مهم[ب] .

---

(١) فمعنى قوله نحو (البخل باثنين) أي بقراءتين كآية « ويأمرون الناس بالبخل » في سورة النساء فقد قريء ﴿ بِٱلْبُخْلِ ﴾ بضم الباء وسكون الخاء وقرئ بفتحهما ، ومعنى قوله (ويحسب بوجهين) أي قرئ بفتح السين وكسرها كآية ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ ومعنى قوله (أو بتغير في المعنى فقط نحو « فتلقى آدم من ربه كلمات ») أي قرئ برفع ﴿ ءَادَمَ ﴾ على أنه فاعل ، ونصب ﴿ كَلِمَٰتٍ ﴾ على أنه مفعول به وقرئ بالعكس أي بنصب ﴿ ءَادَمَ ﴾ على أنه مفعول وبرفع ﴿ كَلِمَٰتٍ ﴾ على أنه فاعل ، ومعنى قوله نحو (تبلو وتتلوا) أي قرئ قوله تعالى ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ﴾ بيونس بالتاء ثم بالباء قبل اللام وقرئ ﴿ نَتْلُوا۟ ﴾ بتاءين ، ومعنى قوله (نحو أشد منكم ومنهم) أي قرئ قوله تعالى « كانوا هم أشد منهم قوة » بغافر « أشد منهم » و« أشد منكم » ، ومعنى قوله : (وإما في التقديم والتأخير نحو « فيقتلون ويقتلون » أي قرئ قوله تعالى ﴿ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ بالتوبة الأول بالبناء للمعلوم والثاني للمجهول وقرئ بالعكس اهـ ، أخذنا هذا البيان مشافهة عن الصالح المبارك الشيخ أحمد التيجي عمدة قراء الحجاز بمكة المشرفة أطال الله حياته ونفع به الأمة آمين . قال السيوطي في الإتقان [١٣٢/١] قلت : ومن أمثلة التقديم والتأخير قراءة الجمهور ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ وقرأ ابن مسعود (على قلب كل متكبر جبار) اهـ .

[أ] النشر ٢٧/١ وينظر نهاية القول المفيد / ١٩٥ - ١٩٦ .

[ب] انظر فتح الباري (٩ / ٩ - ٢٧) ، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة تحقيق السيد أحمد صقر ص ٣٦ ط المكتبة العلمية . .

ولا يبعد أن يكون هذا الحديث متشابهًا يفوض معناه إلى الله تعالى كما ذهب إليه بعض العلماء وذلك لأمرين :

الأول : كثرة اختلاف العلماء في معناه حتى بلغ نحو أربعين قولًا .

الثاني : ورود أحاديث كثيرة في هذا المعنى بعبارات مختلفة :

منها : قوله ﷺ : « أقرأني جبريل على حرف فراجعته ، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف » رواه الشيخان ولمسلم برواية أخرى[أ] .

وللترمذي من وجه آخر أنه ﷺ قال : « يا جبريل إني بعثت إلى أمة أميين ، منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتابًا قط .. » الحديث[ب] .

ومنها : « أنزل القرآن من سبعة أبواب ، على سبعة أحرف ، كلها شاف كاف » رواه الطبراني[ج] .

ومنها : « أنزل القرآن على سبعة أحرف ، فمن قرأ على حرف منها فلا

[أ] أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (٤٩٩١) ابن عباس رضي الله عنهما حدثه أن رسول الله ﷺ قال : .. به . ومسلم في كتاب صلاة المسافرين ، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف وبيان معناه (٨١٩) بإسناده .

[ب] أخرجه الترمذي في كتاب القراءات ، باب ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف (٢٩٤٤) عن أبي بن كعب قال : لقي رسول الله ﷺ جبريل فقال : .. به ، وقال : وفي الباب عن عمر وحذيفة بن اليمان وأم أيوب وهي امرأة أبي أيوب وسمرة وابن عباس وأبي جهنم بن الحرث بن الصمة وعمرو بن العاص وأبي بكرة قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وقد روي وجه عن أبي بن كعب ، وأحمد في مسنده (٥ / ١٩٤) بإسناده .

[ج] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٠ / ١٥٠ ح ٨٢٩٦) عن سلمة بن عمر بن أبي سلمة عن أبيه أن النبي ﷺ قال لعبد الله بن مسعود : إن الكتب كانت تنزل من السماء من باب واحد ، وأن القرآن أنزل من سبعة أبواب : .. به ، وابن حبان في صحيحه (٣ / ٢٠) بإسناده .

يتحول إلى غيره رغبة عنه » رواه الطبراني[أ] .

ومنها : « أنزل القرآن على عشرة أحرف : بشير ونذير ، وناسخ ومنسوخ ، وعظة ومتشابه ، ومَثَل ومحكم ، وحلال وحرام » رواه السجزي في الإبانة[ب] .

ومنها : « أنزل القرآن على ثلاثة أحرف » رواه أحمد وغيره

[أ] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠ / ١٤٨ ح ١٠٢٧٣) عن عبد الله قال : قال النبي ﷺ : .. به . وأحمد في مسنده (٥ / ٣٨٥) بإسناده .

[ب] أخرجه المناوي في فيض القدير (٣ / ٥٥) وقال : أنزل القرآن على عشرة أحرف : أي عشرة وجوه . (بشير) اسم فاعل من البشارة وهي الخبر السار . و (نذير) من الإنذار الإعلام بما يخاف منه . و (ناسخ ومنسوخ) أي حكم مزال بحكم . و (عظة) ﴿ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [يونس : ٥٧] و (مثل) ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ﴾ [الحشر : ٢١] و (محكم) فسره في الكشاف بما أحكمت عبارته بأن أحكمت عن الاحتمال . و (متشابه) فسره بما يكون عبارته مشتبهة محتملة قال : ففي المحكم سهولة الاطلاع مع طمأنينة قلب وثلج صدر ، وفي المتشابه تقادح العلماء وإتعابهم القرائح في استخراج معانيه ورده إلى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات .

و (حلال) وهو الذي به صلاح النفس والبدن لموافقته تقويمها . و (حرام) وهو ما لا يصلح النفس والبدن إلا بالتطهير منه لبعده عن تقويمها وأشار بتأخير هذين الحرفين وهما حرفا صلاح الدنيا وأصلهما في التوراة وتمامهما في القرآن ، ويلي هذين حرفا صلاح المعاد وهما حرفا البشارة والنذارة والزجر والنهي وذلك يأتي على كثير من خلال الدنيا لوجوب إيثار الآخرة لبقائها وكليتها على الدنيا لفنائها وجزئيتها وأصل هذين الحرفين في الإنجيل وتمامهما في القرآن ويليهما حرفا صلاح الدين حرف المحكم الذي بان للعبد فيه خطاب ربه من جهة أحوال قلبه وأخلاقه وأعمال بدنه فيما بينه وبين ربه بغير التفات لما سواه وحرف المتشابه الذي لا يتبين للعبد فيه خطأه من حيث قصور عقله عن دركه إلا أن يؤيده الله بتأييده ؛ فالحروف الخمسة للاستعمال والسادس للوقوف ليقف العبد لله بحرف كما أقدم على تلك الحروف ولينسخ بعجزه وإيمانه ما تقدم من طرفه وعلمه وأصل هذين في الكتب المتقدمة وتمامها في القرآن ويختص بالسابع الجامع بين المثل الأعلى ومظهر الممثول الأعظم حرف الحمد الخاص بمحمد وكتابه وهو حرف المثل ولا ينال إلا بموهبة من الله لعبده فليتدبره من عقل . ثم قال المناوي : ذكره كله الحرالي السجزي في كتاب الإبانة عن أصول الديانة عن علي أمير المؤمنين ورواه أبو عبيد في فضائل القرآن عن أبي سلمة مرفوعا .

ومنها : أن رسول الله ﷺ كان عند أضاءة بني غفارٍ(١) فأتاه جبريل عليه السلام فقال : إن الله عز وجل يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف ، قال : أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتى لا تطيق ذلك ، ثم أتاه الثانية فقال : إن الله عز وجل يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين ، قال : أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك ، ثم جاءه الثالثة فقال : إن الله عز وجل يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف ، فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك ، ثم جاءه الرابعة فقال : إن الله عز وجل يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف ، فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا » رواه النسائي في سننه[أ] .

فإذا أمعنت النظر في هذه الأحاديث ظهرت لك منها جملة معان فتأمل جيدًا .

والحقيقة التي لا تنكر : أنه لولا عثمان رضي الله عنه جمع الأمة على مصحف واحد وعلى حرف واحد لذهب المسلمون اليوم في القرآن الكريم كل مذهب ، ولاختلفت القراءات لديهم كل الاختلاف ، ولوجد أعداء الدين مسلكًا سهلًا لإيقاع الشك والدسيسة في قلوب ضعاف المسلمين وجهالهم ، وإذا وقع الاختلاف والتكذيب في عهده رضي الله عنه فكيف بنا

---

(١) أضاءة هي بفتح الهمزة وبضاد معجمة ماء مستنقع كالغدير بالمدينة .

[أ] أخرجه النسائي في كتاب الافتتاح ، باب جامع ما جاء في القرآن (٩٣٩) عن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ كان عند أضاءة بني غفار : .. به .

اليوم وقد بدأ الإسلام يعود غريبًا فجزى الله صحابة رسول الله ﷺ عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ووفقنا لاتباع مسلكهم القويم ومنهجهم المستقيم آمين .

ولننقل هنا نص ما ذكره الإمام محمد بن جرير الطبري المولود سنة أربع أو خمس وعشرين ومائتين في تفسيره بعد أن بين وجهة حمل عثمان الناس على مصحفه وهو : فإن قال بعض من ضعفت معرفته وكيف جاز لهم ترك قراءة أقرأهموها رسول الله ﷺ وأمرهم بقرائتها ؟

قيل : إن أمرهم بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض ، وإنما كان أمر إباحة ورخصة . إلخ

ويسأل بعضهم : لِمَ لمْ تكن الأحرف الستة موجودة وقد أنزلت من عند الله تعالى على نبيه ﷺ وهو أقرأها أصحابه ، فإن نسخت فرفعت فما الدليل عليه وإن نسيتها الأمة وتركتها فذلك تضييع ما قد أمروا بحفظه .

فأجاب الإمام ابن جرير الطبري على هذه الأسئلة بقوله : لم تنسخ الأحرف الستة فترفع ، ولا ضيعتها الأمة وهي مأمورة بحفظها ، ولكن الأمة أمرت بحفظ القرآن وخيرت في قراءته وحفظه بأي تلك الأحرف السبعة شاءت ، وضرب لها مثلًا في الفقه ، وهو إذا حنث موسر في يمين فله أن يختار كفارة من ثلاث كفارات : إما بعتق ، أو إطعام ، أو كسوة ، فكذلك الأمة أمرت بحفظ القرآن وقراءته وخيرت في قراءته بأي الأحرف السبعة شاءت قرأت ، لعلة من العلل أوجبت عليها الثبات على حرف واحد قراءته بحرف واحد ورفض القراءة بالأحرف الستة الباقية ، ولم تحظر قراءته بجميع حروفه على

قارئه بما أذن له في قراءته به .

ثم أورد الطبري أنباء ما قد حدث في أيام أبي بكر وعثمان عن جمع المصحف[أ] اهـ . ولا يخفى أن جواب ابن جرير سديد .

قال أبو شامة : وقد اختلف السلف في الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن هل هي مجموعة في المصحف الذي بأيدي الناس اليوم أو ليس فيه إلا حرف واحد منها ؛ مال الباقلاني إلى الأول ، وصرح الطبري وجماعة بالثاني وهو المعتمد اهـ من « فتح الباري »[ب] .

وسبب اختلاف القراءات السبع وغيرها كما قال ابن هشام : أن الجهات التي وجّهت إليها المصاحف كان بها من حمل عنه أهل تلك الجهة ، وكانت المصاحف خالية من النقط والشكل ، قال : فثبت أهل كل ناحية على ما كانوا تلقوه سماعًا عن الصحابة بشرط موافقة الخط ، وتركوا ما يخالف الخط امتثالاً لأمر عثمان الذي وافقه عليه الصحابة لما رأو في ذلك من الاحتياط للقرآن ، فمن ثمَّ نشأ الاختلاف بين قراءة الأمصار مع كونهم متمسكين بحرف واحد من السبعة .. اهـ من « فتح الباري على صحيح البخاري »[ج] .

فوائد اختلاف القراءات

نزول القرآن بالأحرف السبعة لا يؤدي إلى التناقض في الأحكام الشرعية وأصول الدين وفي الحلال والحرام والأمر والنهي ، فالاختلاف الواقع بين

[أ] تفسير الطبري (١ / ٨٥) .

[ب] فتح الباري (١ / ٣٩) .

[ج] فتح الباري (١ / ٣٨) .

هذه الأحرف إنما هو اختلاف ألفاظ وتلاوة فقط .

وتؤخذ منه جملة فوائد :

منها : بيان حكم مجمع عليه كقراءة سعد بن أبي وقاص وغيره : (وله أخ أو أخت من أم) فإن هذه القراءة تبين أن المراد بالأخوة هنا الأخوة للأم .

ومنها : ترجيح حكم اختلف فيه كقراءة : (أو تحرير رقبة مؤمنة) في كفارة اليمين ففيها ترجيح لاشتراط الإيمان كما ذهب إليه الشافعي وغيره ولم يشترطه أبو حنيفة .

ومنها : الجمع بين حكمين مختلفين كقراءة ﴿ يَطْهُرْنَ ﴾ بالتخفيف والتشديد فينبغي الجمع بينهما وهو أن الحائض لا يقربها زوجها حتى تطْهر بانقطاع حيضها وتطهر بالاغتسال .

ومنها : إيضاح حكم يقتضي الظاهر خلافه كقراءة : (فامضوا إلى ذكر الله) فإن قراءة ﴿ فَٱسْعَوْا ﴾ يقتضي ظاهرها المشي السريع وليس كذلك فكانت القراءة الأخرى موضحة لذلك .

ومنها : تفسير ما لعله لا يعرف كقراءة : (كالصوف المنفوش)

ومنها : ما هو حجة لترجيح قول بعض العلماء كقراءة : ﴿ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ إذ اللمس يطلق على الجّس والمس .

ومنها : ما هو حجة لأهل الحق ودفع لأهل الزيغ كقراءة : ﴿ وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ بكسر اللام[1] وردت عن ابن كثير وغيره ، وهي من أعظم الدليل على رؤية

---

(١) من آية « وإذا رأيتَ ثَمَّ رأيتَ نعيما ومُلْكًا كبيرا » بسورة الإنسان .

الله تعالى في الدار الآخرة ، وقد قيل وخير ما فسّرته بالوارد إلى غير ذلك » اهـ من إجابة شيخ المقارئ المصرية لأسئلتنا التي كنا بعثناها إليه من مكة المشرفة ، وسنذكر منها في هذا الكتاب ما يناسب كل مقام وفصل إن شاء الله تعالى .

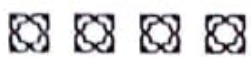

الباب الثالث

[رسم المصحف العثماني]

وفيه خمسة فصول :

[الفصل الأول : في رَسْم المصحف العثماني وقواعده

الفصل الثاني : في اختلاف رَسْم المصاحف العثمانية

الفصل الثالث : في رَسْم القرآن الكريم هل هو توقيفي أم لا

الفصل الرابع : في حكم اتباع رَسْم المصحف العثماني

الفصل الخامس : في معرفة الصحابة لقواعد الإملاء والكتابة]

الفصل الأول

في رَسْم المصحف العثماني وقواعده

المراد برسم المصحف ما كتبه الصحابة من الكلمات القرآنية في المصحف العثماني على هيئة مخصوصة لا تتفق مع قواعد الكتابة وينحصر أمر هذا الرسم في ست قواعد[١] وهي : الحذف ، والزيادة ، والهمز ، والبدل والوصل ، والفصل ، وما فيه قراءتان فكتب على إحداهما .

وقد جمع هذه القواعد العلامة المرحوم الشيخ محمد العاقب الشنقيطي بقوله :

الرسم في ست قواعد استقل ... حذف زيادة وهمز وبدل
وما أتى بالوصلِ أو بالفصلِ ... موافقًا للفظ أو للأصلِ
وذو قراءتين مما قد شهرْ ... فيه على إحداهما قد اقتصر

وشرح هذه القواعد يطول ، وإنما نأتي بجملة أمثلة ، اقتطفناها من كتاب « إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رَسْم المصحف الإمام » للعلامة المحدث الشهير الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي رحمه الله تعالى .

فمثال الحذف : ﴿ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ ﴾ [الكهف : ٦٦] ، ﴿ رَبِّيَ أَكْرَمَنِ ﴾ [الفجر : ١٥] ، ﴿ فَأَرْسِلُونِ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ ﴾ [يوسف : ٤٦] . وحذف واو ﴿ دَاوُۥدُ ﴾ ، وإحدى نون ﴿ نُنجِى ﴾ بالأنبياء . وحذف إحدى اللامين من نحو ﴿ ٱلَّيْلِ ﴾ و ﴿ ٱلَّذِى ﴾ . وحذف الألف مِن ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ﴾ ، ومِن ﴿ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [الكهف : ٧٧] .

---

(١) أي في ستة أنواع ؛ فإن رسمه لا قاعدة له ، ولا يتمشى مع القواعد الإملائية .

وحذف الواو من نحو : ﴿ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ ﴾ ، و﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ .

وقد أشار الشيخ محمد العاقب إلى مواضع حذف الواو من آخر الفعل بقوله :

وحذف الواو بغير داعِ في يدعُ الإنسان ويدعُ الداعِ
سندعُ صالح ويمحُ الله إن سبق الباطلَ لا سواه[1]

ومثال الزيادة : ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى ﴾ [الكهف : ٣٨] ، ﴿ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى ﴾ [الأنبياء : ٣٧] ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ﴾ ، ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْىٍ۟ ﴾ [الذاريات : ٤٧] ﴿ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ ﴾ [الروم : ٨] ، ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ ﴾ [الكهف : ٢٣] ، ﴿ أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ ﴾ [النمل : ٢١] .

ومثال البدل : ﴿ يَتَوَفَّىٰكُمْ ﴾ ، ﴿ وَمَنْ عَصَانِى ﴾ [إبراهيم : ٣٦] ، و ﴿ ٱلْأَقْصَا ﴾ [الإسراء: ١] و ﴿ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ، و ﴿ ٱلرِّبَوْا۟ ﴾ ، و ﴿ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ ، و ﴿ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ ، [يوسف: ٣٢] و ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ [الأعراف: ٥٦] .

ومثال الوصل : ﴿ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُمْ ﴾ ، و ﴿ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾ ، ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ ، ﴿ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ ﴾ .

ومثال الفصل : ﴿ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧] ، و ﴿ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [هود: ١٤] بهود ، و ﴿ لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ ﴾ [الأحزاب: ٣٧] ، و ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الكهف ٤٩] .

ومثال ما فيهما قراءتان فكتب على إحداهما : كـ ﴿ ٱلصِّرَٰطَ ﴾ كتبت بالصاد مع أن قراءة المكي من رواية قنبل بالسين الخالصة ، وقراءة خَلف بإشمام الصاد زايًا .

---

(١) يعني تحذف الواو من قوله تعالى : ﴿ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ ﴾ بالشوري بخلاف قوله ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾ بالرعد فإنه بإثبات الواو .

ومثله ﴿ بَصْطَةً ﴾ و ﴿ بِمُصَيْطِرٍ ﴾ فيكتب الجميع بالصاد لا غير ، وكالألف المرسوم في ﴿ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾ مع أنه قرئ بياء المضارعة إلى غير ذلك من الأمثلة .

أمّا مثال الهمز : فالهمز له أحوال متنوعة وأمثلة كثيرة تعرف من كتب الإملاء ، وقد فصل علماء الرسم أحوال الهمز في القرآن لا داعي لذكرها هنا خوف التطويل . ومن أراد بسط القول فليرجع إلى كتب القراءات[أ] ، وسنذكر إن شاء الله تعالى طرفًا من أحوال الهمز في آخر الباب الرابع .

[أ] قال الشيخ الزرقاني في مناهل العرفان (١ / ٢٦٤) قال العلامة ابن المبارك نقلا عن العارف بالله شيخه عبد العزيز الدباغ إذ يقول في كتابه الإبريز ما نصه : رسم القرآن سر من أسرار الله المشاهدة وكمال الرفعة ، قال ابن المبارك : فقلت له : هل رسم الواو بدل الألف في نحو ﴿ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ﴿ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ ﴿ ٱلْحَيَوٰةَ ﴾ ﴿ كَيْكَـٰوُوسَ ﴾ وزيادة الواو في ﴿ سَأُورِيكُمْ ﴾ و ﴿ أولئك ﴾ و ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ﴾ و ﴿ أولات ﴾ وكالياء في نحو ﴿ هديهم ﴾ و ﴿ ملاله ﴾ و ﴿ بأيكم ﴾ و ﴿ بأيد ﴾ هذا كله صادر من النبي أو من الصحابة ؟ فقال : هو صادر من النبي وهو الذي أمر الكتاب من الصحابة أن يكتبوه على هذه الهيئة فما نقصوا ولازادوا على ما سمعوه من النبي ، فقلت له : إن جماعة من العلماء ترخصوا في أمر الرسم وقالوا : إنما هو اصطلاح من الصحابة مشوا فيه على ما كانت قريش تكتب عليه في الجاهلية ، وإنما صدر ذلك من الصحابة لأن قريشا تعلموا الكتابة من أهل الحيرة وأهل الحيرة ينطقون بالواو في ﴿ ٱلرِّبَوٰا ﴾ فكتبوا على وفق منطقهم ، وأما قريش فإنهم ينطقون فيه بالألف وكتابتهم له بالواو على منطق غيرهم وتقليد لهم حتى قال القاضي أبو بكر الباقلاني : كل من ادعى أنه يجب على الناس رسم مخصوص وجب عليه أن يقيم الحجة على دعواه فإنه ليس في الكتاب ولا في السنة ولا في الإجماع ما يدل على ذلك ؟ فقال : ما للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحدة ، وإنما هو توقيف من النبي ، وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الألف ونقصها لأسرار لا تهتدي إليها العقول ، وهو سر من الأسرار خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية ، وكما أن نظم القرآن معجز فرسمه أيضا معجز وكيف تهتدي العقول إلى سر زيادة الألف في ﴿ مِاْئَةَ ﴾ دون ﴿ بِئَتَ ﴾ وإلى سر زيادة الياء في ﴿ بأيد وبأيكم ﴾ أم كيف تتوصل إلى سر زيادة الألف في ﴿ سَعَوْا ﴾ بالحج ونقصانها من ﴿ سعو ﴾ بسبأ وإلى سر زيادتها في ﴿ وَعَتَوْ ﴾ حيث كان ونقصانها من ﴿ وَعَتَوْ ﴾ في الفرقان ، وإلى سر زيادتها في ﴿ ءَامَنُوا ﴾ وإسقاطها من ﴿ باؤ ﴾ ﴿ جاؤ ﴾ ﴿ تبوؤ ﴾ ﴿ فاؤ ﴾ بالبقرة ، وإلى سر زيادتها في ﴿ يَتَلُوا ٱلَّذِى ﴾ ونقصانها من ﴿ يَعْفُوَ عَنْهُمْ ﴾ في النساء أم كيف تبلغ العقول إلى وجه بعض أحرف من كلمات متشابهة .

الفصل الثاني

في اختلاف رَسْم المصاحف العثمانية

سبق الكلام على بيان عدد المصاحف التي أرسلها عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى المدن والأمصار ، وهذه المصاحف كلها تسمى المصاحف العثمانية وهي التي يجب اتباع رسمها وإن اختلف رَسْم كل مصحف عن الآخر بالحذف والإثبات .

فمن قال بالحذف مثلًا في بعضها يدعي أنه هو الموجود في المصحف العثماني ، ومن قال بالإثبات يدعي عكس ذلك مع اتفاق الطرفين على أن الموجود في المصحف العثماني هو الحق الثابت في نفس الأمر بإجماع الأمة .

وذلك كالخلاف في كلمة : ﴿ لَدَا ﴾ هل كتبت بالألف أو بالياء كما أشار إليه الخراز في مورد الظمآن بقوله :

وفي لَـدَا في غـافـر يـخـتـلـفُ وفي لَـدَا الـبـاب اتـفـاقًـا ألـفُ[1]

وقال في كلمة الربا :

وبـعـضـهـم في الـرُّوم أيـضًـا كـتـبـا واوًا بـقـولـه تـعـالـى مـن رِبَـا

وقال في كلمة تعْسًا :

وابـن نجـاح قـال عـن بـعـض أثـر تـعْـسًـا بـيـاء وهـو غـيـر مـشـتـهـر

وكالخلاف الواقع في هذه الكلمات : ﴿ وَلَأَوْضَعُوا ﴾ ، و ﴿ لَأَنتُمْ ﴾ ،

---

(١) أي كتب « لدا » بالياء في ﴿ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ ﴾ بغافر ، وفى بعض المصاحف كتبت بالألف بخلافها في آية ﴿ لَدَا ٱلْبَابِ ﴾ بيوسف فإنها بالألف اتفاقا .

و ﴿ لَأَتَوْهَا ﴾ ، و ﴿ لَإِلَى ﴾ [آل عمران : ١٥٨] هل تزاد فيها ألف بعد الألف الأصلية كما زيدت في كلمة : ﴿ لَأَأَذْبَحَنَّهُۥٓ ﴾ [النمل : ٢١] أم لا ؟

واعلم : أن الخلاف الواقع في رَسْم بعض كلمات المصحف ليس خلافًا حقيقيًا بل هو خلاف صوري .

أما الخلاف الواقع في وجوه القراءات السبع فهو خلاف حقيقي واقع بينهم ، لكن مع تجويز كل واحد من السبعة قراءة غيره واعترافه بأنها متواترة وأنها من عند الله تعالى .

وهذا الخلاف في وجوه القراءات ليس على حد الخلاف في الأحكام الشرعية ؛ لأن كلًّا من وجوه القراءات حق في نفس الأمر كما صرح به عليه الصلاة والسلام ، وكلًّا من الأحكام الشرعية حق باعتبار الاجتهاد وفي نفس الأمر الحق واحد ليس إلاَّ لحرمة العمل بالمقابل .. اهـ من إيقاظ الأعلام[أ] .

ذكر جملة من الأمثلة التي اختلفت كتابتها ورسومها في المصاحف

قوله تعالى : ﴿ لَئِنْ أَنجَىٰنَا ﴾ [الأنعام : ٦٣] في سورة الأنعام مكتوب في المصحف الكوفي بالألف ، وفي غيره بالتاء بعد الياء أي ﴿ أَنجَيْتَنَا ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ [غافر : ٢١] مكتوب ﴿ مِنكُمْ ﴾ بالكاف في المصحف الشامي وبالهاء في غيره .

[أ] انظر تفصيل ذلك في : البرهان في علوم القرآن (١ / ٢٩٣) والإتقان في علوم القرآن (٢ / ٣٩٣) .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ [الأعراف : ١٤١] هو هكذا في إمام أهل العراق وفي إمام أهل الشام وأهل الحجاز ﴿ إِذْ نَجَّىٰكُمْ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ هكذا في بعضها وفي بعضها ﴿ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا ﴾ [الأنعام :٩٦] هكذا في بعضها وفي بعضها ﴿ وجاعل اللّيل ﴾ بالألف .

وقوله تعالى : ﴿ سَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٣٣] بغير واو قبل السين ، وفي بعضها ﴿ وَسَارِعُوٓاْ ﴾ بالواو .

وقوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى ﴾ [الجن : ٢٠] هكذا في بعضها وفي بعضها (قال إنما) بالألف .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ﴾ [الأنعام : ٩٦] في بعض المصاحف بحذف الألف من باء ﴿ حُسْبَانًا ﴾ هكذا ﴿ حسبنا ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ﴾ في بعض المصاحف بإثبات الألف في الهاء والميم وفي بعضها بحذفها منهما .

وقوله تعالى : ﴿ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ في بعض المصاحف هكذا ﴿ لئم ﴾ بحذف ألف المد .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَحْيَـٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾ في بعضها ﴿ فأحياكم ﴾ بالألف وكلمة : ﴿ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ مرسومة في سورة البقرة بحذف الياء في المصحف الشامي والعراقي ومرسومة بإثباتها في المصحف المكي والمدنى .

وألف التثنية قد تحذف في بعض المصاحف وفي بعضها لا تحذف نحو

قوله تعالى : ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ ﴾ [آل عمران : ٢٢] .

وقوله : ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾ إلى غير ذلك .

وهذا حسبما ذكره أئمة القراءات المتقدمون ونقلوه بالسند المتصل عن الثقاة العدول الذين شاهدوا تلك المصاحف العثمانية .

سبب اختلاف رسوم المصاحف العثمانية

لا ندري لم اختلفت رسوم تلك المصاحف التي كتبت بأمر عثمان رضي الله عنه وأرسلت إلى المدن والأمصار .

وقد أجاب على هذا العلامة الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوي وكيل الجامع الأزهر والمعاهد الدينية بمصر المتوفى عام (١٣٥١ هـ) تقريبًا رحمه الله تعالى في كتابه : « عنوان البيان في علوم التبيان » بقوله : « إن هذا الاختلاف بين تلك المصاحف إنما هو اختلاف قراءات في لغة واحدة[١] لا اختلاف لغات[أ] ، قصد بإثباته إنفاذ ما وقع الإجماع عليه إلى أقطار بلاد المسلمين واشتهاره بينهم ، وإنما كتبت هذه في البعض بصورة وفي آخر بأخرى ؛ لأنها لو كررت في كل مصحف لتوهم نزولها كذلك ، ولو كتبت بصورة في الأصل ، وبأخرى في الحاشية لكان تحكمًا مع إيهام التصحيح ،

---

(١) وهي لغة قريش كما سبق الكلام عند جمع عثمان المصحف .

[أ] كيف يكون هذا الاختلاف المتعدد في القراءات المتعددة هو في لغة واحدة ولم لا يقال في لغات متعددة ويراد بهذه اللغات اللهجات الموجودة في شبه الجزيرة العربية آنذاك . المحقق .

ومثل هذا بعد أمر عثمان رضي الله عنه وبعثه إلى كل جهة ما أجمع الصحابة على الأخذ به لا يؤد] إلى تنازع أو فتنة ؛ لأن أهل كل جهة قد استندوا إلى أصل مجمع عليه وإمام يرشدهم إلى كيفية قراءته .

والحاصل : أن المصاحف العثمانية كتبت بحرف واحد وهو حرف قريش ، وأن ذلك الحرف يسع من القراءات ما يرسم بصور مختلفة إثباتًا وحذفًا[أ] وإبدلاً ؛ فكتب في بعضها برواية ، وفي بعضها برواية أخرى تقليلًا للاختلاف في الجهة الواحدة بقدر الإمكان ، فكما اقتصر على لغة واحدة في جميع المصاحف اقتصر على رَسْم رواية واحدة في كل مصحف ، والمدار في القراءة على عدم الخروج عن رَسْم تلك المصاحف ، ولذلك لا يحظر على أهل أي جهة أن يقرءوا بما يقتضيه رَسْم الجهة الأخرى .. اهـ كلامه رحمه الله تعالى وهو كلام حسن وجواب سديد .

ولم نقف على شيء من كلام المتقدمين والمتأخرين من العلماء في هذا الموضوع سواه ، فمن لم يقتنع بجواب الشيخ العدوي المذكور نقول له : إن رَسْم المصاحف العثمانية سر من الأسرار التي لم تهتد إلى حلِّه فحول العلماء ونوابغ العقلاء كما سنتكلم عنه ، فما علينا غير الاتباع والتسليم .

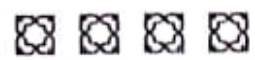

[أ] وهذا وجه محتمل وقد قاله بعض العلماء إلا أن الرأي الراجح هو ما سبقت الإشارة إليه في أن المصاحف العثمانية قد اشتملت على الأحرف السبعة وعلى حروف كثيرة غير حرف قريش . المحقق .

الفصل الثالث

في رَسْم القرآن الكريم هل هو توقيفي أم لا

اختلف العلماء في رَسْم المصحف العثماني :

فبعضهم يقول : إنه من اصطلاح الصحابة .

وبعضهم يقول : إنه توقيفي ، ويستدلون عليه بأن النبي ﷺ كان هو الذي يملي زيد بن ثابت القرآن من تلقين جبريل عليه السلام كما يشهد بذلك إطباق القراء على قوله تعالى ﴿ وَٱخۡشَوۡنِ ﴾ في البقرة بإثبات الياء ، وفي المائدة بحذفها في الموضعين ، ونظائر ذلك كثيرة مما يدل على أن هجاء القرآن وكتابته بالتوقيف ، وأنه ليس من الرسم الموضوع ، وقد كتب القرآن في عهد رسول الله ﷺ لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتب السور .

والذي يظهر لنا - والله تعالى أعلم - أن رَسْم المصحف العثماني غير توقيفي[أ] .

ونستدل على قولنا هذا بخمسة أمور .

[أ] ما ذكره المؤلف غير دقيق فرأي جمهور العلماء أنه توقيفي لا تجوز مخالفته ، واستدلوا بأن النبي ﷺ كان له كتاب يكتبون الوحي وقد كتبوا القرآن فعلا بهذا الرسم وأقرهم الرسول ﷺ على كتاباتهم ومضى عهده ﷺ والقرآن على هذه الكتبة لم يحدث فيه تغيير ولا تبديل ؛ بل ورد أنه ﷺ كان يضع الدستور لكتاب الوحي في رسم القرآن وكتابته ، ومن ذلك قوله لمعاوية وهو من كتبة الوحي : ألق الدواة وحرف القلم وانصب الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم وضع قلمك على أذنك اليسرى فإنه أذكر لك .

ثم جاء أبو بكر فكتب القرآن بهذا الرسم في صحف ، ثم حذا حذوه عثمان في خلافته فاستنسخ تلك الصحف في مصاحف على تلك الكتبة وأقر أصحاب النبي ﷺ عمل أبي بكر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين ، وانتهى الأمر بعد ذلك إلى التابعين وتابعي التابعين فلم يخالف أحد منهم في هذا الرسم ولم ينقل أن أحدا منهم فكر أن يستبدل به رسما آخر من الرسوم التي حدثت في عهد ازدهار التأليف ونشاط التدوين وتقدم العلوم ؛ بل بقي الرسم العثماني محترما متبعا في كتابة المصاحف =

الأمر الأول :

أن من معجزات النبي ﷺ كونه أميًّا لا يكتب ولا يقرأ كتاباً كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾(١)

(١) فالأمية في حقه عليه الصلاة والسلام كمال ، وفي حق غيره نقص ، وذلك لو كان متعلمًا الكتابة والقراءة لقالوا : إن هذا القرآن ليس من عند الله وإنما وضعه من نفسه بقوة علمه ومعرفته .

= لا يمس استقلاله ولا يباح حماه . وملخص هذا الدليل أن رسم المصاحف العثمانية ظفر بأمور كل واحد منها يجعله جديرا بالتقدير ووجوب الاتباع ، تلك الأمور هي إقرار الرسول ﷺ وأمره بدسوره ، وإجماع الصحابة وكانوا أكثر من اثني عشر ألف صحابي عليه لم إجماع الأمة عليه بعد ذلك في عهد التابعين والأئمة المجتهدين ، وأنت خبير بأن اتباع الرسول واجب فيما أمر به أو أقر عليه لقوله تعالى ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٣١] والاهتداء بهدي الصحابة واجب خصوصا الخلفاء الراشدين لحديث العرباض بن سارية وفيه يقول ﷺ : ((فإنه من يعش منك فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ)) ولا ريب أن إجماع الأمة في أي عصر واجب الاتباع خصوصا العصر الأول ؛ قال تعالى ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ١١٥] وممن حكى إجماع الأمة على ما كتب عثمان صاحب المقنع إذ يروي بإسناده إلى مصعب بن سعد قال أدركت الناس حين شقق عثمان رضي الله عنه المصاحف فأعجبهم ذلك ولم يعبه أحد وكذلك يروي شارح العقيلة عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن عثمان أرسل إلى كل جند من أجناد المسلمين مصحفا وأمرهم أن يحرقوا كل مصحف يخالف الذي أرسل إليهم ، ولم يعرف أن أحدا خالف في رسم هذه المصاحف العثمانية ، وانعقاد الإجماع على تلك المصطلحات في رسم المصحف دليل على أنه لا يجوز العدول عنها إلى غيرها ، ويرحم الله الإمام الخراز إذ يقول :

وبعده جرده الإمـــــام ... في مصحف ليقتدي الأنـــام
ولا يكون بعده اضطراب ... وكان فيما قد رأى صـــواب
وقصة اختلافهم شهيـــره ... كقصة اليمامة العسيـــــره
فينبغي لأجل ذا أن نقتفي ... مرسوم ما أصله في المصحف

(مناهل العرفان في علوم القرآن ج ١ / ص ٢٦٠) .

فكيف يملي عليه الصلاة والسلام زيد بن ثابت على حسب قواعد الكتابة والإملاء من نحو الزيادة والنقص والوصل والفصل .

فهل كان يقول ﷺ لكاتب الوحي اكتب كلمة : ﴿ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ في سورة البقرة كلها بغير ياء ، واكتبها في بقية القرآن بالياء ، واكتب كلمة : ﴿ بِأَيْيدٍ ﴾[١] [الذاريات : ٤٧] بياءين .

واكتب كلمة : ﴿ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ﴾[الفجر : ٢٣] بزيادة ألف بعد الجيم .

واكتب كلمة : ﴿ لِشَاْيْءٍ ﴾[٢] بزيادة ألف بعد الشين .

واكتب كلمة : ﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ ﴾[٣] [آل عمران : ١٤٤] بزيادة ياء قبل النون .

واكتب كلمة : ﴿ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ﴾ [الروم : ١١] بهمزة فوق الواو وألف بعدها .

واكتب هذه الكلمات : ﴿ جَآءُو ﴾ ﴿ فَآءُو ﴾ ﴿ وَبَآءُو ﴾ ﴿ تَبَوَّءُو ﴾ بغير ألف فيها بعد واو الجماعة ، وفيما عدا هذه الكلمات أثبت الألف بعدها .

واكتب كلمة : ﴿ مِاْئَةَ ﴾ بالألف واكتب كلمة : ﴿ فِئَةٍ ﴾ بغير ألف .

واكتب كلمة : ﴿ سَعَوْاْ ﴾ التي بالحج بالألف بعد الواو . واحذفها من : ﴿ سَعَوْ ﴾ التي بسبأ .

واكتب كلمة : ﴿ وَٱخْشَوْنِ ﴾ بالياء في البقرة واحذفها منها في التي بالمائدة .

واحذف اللام الثانية من كلمة : ﴿ ٱلَّيْلِ ﴾ وأثبتها في كلمة : ﴿ ٱللُّؤْلُؤُ ﴾ .

---

(١) من آية ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيدٍ ﴾ .

(٢) من آية ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ .

(٣) من آية ﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ﴾ .

واكتب الكلمات : ﴿ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ و ﴿ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ ﴿ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ بالواو .

واكتب : ﴿ قُرَّتُ عَيۡنٍ لِّي ﴾ بالتاء .

واكتب : ﴿ قُرَّةَ أَعۡيُنٍ ﴾ بالهاء .

وافصل ﴿ كَيۡ ﴾ عن ﴿ لَا ﴾ في : ﴿ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ ﴾ ، وأوصلها في : ﴿ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ ﴾ وهكذا في جميع القرآن .

فإن كان إملاء النبي ﷺ القرآن لكاتب الوحي بهذه الصفة فالرسم توقيفي بلا جدال ، لكن لم نَرَ منقولًا أن النبي ﷺ كان يملي كاتب الوحي بهذه الصفة والكيفية[أ] ، فلو كان كذلك لتواتر عنه ﷺ وما كان ذلك خافيًا على أحد ، ولو كان كذلك أيضًا لكان عليه الصلاة والسلام عارفًا بأصول الكتابة وقواعد الأملاء وكيف وهو النَّبي الأُمِّيُّ .

الأمر الثاني :

لمَّا اختلف زيد بن ثابت ومن معه في كلمة : ﴿ ٱلتَّابُوتُ ﴾ أيكتبونه

[أ] بل ورد في ذلك حديث وعلى الرغم من ضعفه فقد أخذ به بعض العلماء قديمًا وحديثا ، وقد ذكره الإمام القرطبي في تفسيره (١٣ / ٣٥٣) وقال : عن معاوية أنه كان يكتب بين يدي النبي ﷺ فقال له : ألق الدواة ، وحرف القلم ، وأقم الباء ، وفرق السين ، ولا تعور الميم ، وحسن الله ، ومد الرحمن ، وجود الرحيم . قال القاضي عياض : وهذا وإن لم تصح الرواية أنه ﷺ كتب فلا يبعد أن يرزق علم هذا ويمنع القراءة والكتابة . قلت: هذا هو الصحيح في الباب أنه ما كتب ولا حرفا واحدا وإنما أمر من يكتب ، وكذلك ما قرأ ولا تهجي ، فإن قيل : فقد تهجى النبي ﷺ حين ذكر الدجال فقال : مكتوب بين عينيه ك ا ف ر ؛ وقلتم إن المعجزة قائمة في كونه أميا قال الله تعالى ﴿ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ ﴾ الآية وقال : إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب ، فكيف هذا ؟ فالجواب : ما نص عليه ﷺ في حديث حذيفة والحديث كالقرآن أن يفسر بعضه بعضا ففي حديث حذيفة : يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب ؛ فقد نص في ذلك على غير الكتاب ممن يكون أميا وهذا من أوضح ما يكون جليا .

بالتاء أم بالهاء رفعوا الأمر إلى عثمان رضي الله عنه ؛ فأمرهم أن يكتبوها بالتاء ، فلو كان الرسم توقيفيًا بإملاء النبي ﷺ بالكيفية التي ذكرناها لقال لهم زيد إن النبي ﷺ أمرني بكتابتها بالتاء ، ولقال عثمان لزيد كاتب الوحي اكتبها بالكيفية التي أملاك بها رسول الله ﷺ .

الأمر الثالث :

لو كان الرسم توقيفيًا لما اختلف الرسم في المصاحف التي أرسلها عثمان رضي الله عنه إلى المدن والأمصار كما سبق بيانه قبل هذا الفصل .

الأمر الرابع :

لو كان الرسم توقيفيًا لصرح بذلك الإمام مالك ، ولما جوز كتابة المصحف والألواح للصغار المتعلمين بغير الرسم العثماني ، ولصرح بذلك أيضًا جميع الأئمة .

الأمر الخامس :

لو كان الرسم توقيفيًا لنعتوه (بالرسم التوقيفي) أو (بالرسم النبوي) وما كانوا نعتوه (بالرسم العثماني) نسبة لعثمان بن عفان .

فاستدلالهم بأن زيد بن ثابت كتب كلمة ﴿ وَٱخۡشَوۡنِي ﴾ بالبقرة بإثبات الياء وكتبها في المائدة بحذفها في غير محلّه ؛ لأن ثبوت الياء أو حذفها يعلم من وقوف القارئ على الكلمة ؛ فإن وقف بالسكون على نون ﴿ وَٱخۡشَوۡنِي ﴾ كتبت بالنون فقط ، وإن وقف على الياء كتبت بالياء .

قال بعضهم :

إنّ مدار الرسم والكتابه معتبر بالوقف والبداءه

فزيد بن ثابت عرف ذلك من وَقْف النبي ﷺ على الكلمة ، فعلم مما ذكرناه أن رَسْم المصحف ليس توقيفيًا وإنما هو من وضع الصحابة واصطلاحهم لحكمة لم ندركها[أ] .

بقي علينا أن نعرف لماذا لم يكتبوا المصحف على قواعد الكتابة ، ولماذا لم يمشوا في كتابته على وتيرة واحدة ، هذا سؤال يجب أن يوجَّه إلى الصحابة الذين كتبوه بأمر عثمان رضي الله عنه ، وأنَّى يكون ذلك وقد ذهبوا إلى جوار ربهم الكريم .

ومن هنا يقول العلماء إنَّ رَسْم المصحف سر من الأسرار لم يطلع عليه أحد وإن خطه معجز كلفظه المقروء .

هذا ولا تتوهمنَّ عليهم السهو أو الخطأ في كتابة كلام الله تعالى ، وقد مرَّ عليك بطلان ذلك في الفصل الثالث من الباب الثاني في ضبط وتصحيح المصحف الكريم ، ولا يخطرنَّ أيضًا ببالك أنهم ما كانوا يعرفون أصول الكتابة فلذلك اضطربوا في رَسْم المصحف فإن هذا وهْم باطل كما سنقيم الدليل عليه في الفصل الخامس .

[أ] لم يوفق المؤلف فيما ذهب إليه من أن رسم المصحف اجتهاد من الصحابة .

الفصل الرابع

في حكم اتباع رَسْم المصحف العثماني

حكم اتباع رَسْم المصحف العثماني الوجوب باتفاق الأئمة قاطبة وإن لم ندرك حكمة كتابته على هذه الصورة من الرسم المخالف لقواعد الكتابة وإليك تفصيل ذلك .

قال بعضهم : لقد أجمع على كتابة المصاحف العثمانية اثنا عشر ألفًا من الصحابة رضي الله عنهم ، فيجب على كل مسلم أن يقتدي بهم وبفعلهم لقوله ﷺ : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ »[أ] الحديث .

وقوله : « اقتدوا بالَّذَيْنِ من بعدي أبي بكر وعمر ؛ فإنهما حبل الله الممدود ، من تمسَّك بهما فقد تمسَّك بالعروة الوثقى[ب] » .

[أ] أخرجه الترمذي في كتاب العلم ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (٢٦٧٦) عن العرباض بن سارية قال وعظنا رسول الله ﷺ يوما بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل : إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله قال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبد حبشي فإنه من يعش منكم يرى اختلافا كثيرا ، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة ، فمن أدرك ذلك منكم ؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ . قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وقد روى ثور بن يزيد عن خالد بن معان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي عن العرباض بن سارية عن النبي ﷺ نحوه والعرباض بن سارية الغرماء أبا نجيح وقد روي هذا الحديث عن حجر بن حجر عن عرباض بن سارية عن النبي ﷺ نحوه .

[ب] أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (٢ / ٥٧ ح ٩١٣) عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ : .. به ، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢ / ٥٣) بإسناده ، وقال : رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم .

وقال البيهقي في شعب الإيمان : « من يكتب مصحفًا فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف ، ولا يخالفهم فيه ، ولا يغير مما كتبوه شيئًا ؛ فإنهم كانوا أكثر علمًا ، وأصدق قلبًا ، ولسانًا ، وأعظم أمانة ، فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكًا عليهم[أ] » .

وسئل مالك رحمه الله تعالى(١) : هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء ؟ فقال : لا إلا على الكتْبة الأولى . رواه الداني في المقنع .

ثم قال : ولا مخالف له من علماء الأمة .

وقال في موضع آخر : سئل مالك عن الحروف في القرآن مثل الواو والألف أترى أن تغير في المصحف إن وجد فيه كذلك .

قال : لا ، قال أبو عمر : ويعني الواو والألف المزيدتين في الرسم المعدومتين في اللفظ نحو ﴿ أُوْلُواْ ﴾[ب] .

وفي رواية : قال أشهب : سئل مالك فقيل له : أرأيت من استكتب مصحفًا أترى أن يكتب على ما أحدثه الناس من الهجاء اليوم ؟ قال : لا أرى ذلك ولكن يكتب على الكتْبة الأولى(٢) .

---

(١) ولد الإمام مالك سنة ٩٥ [هجرية] وتوفي سنة ١٧٩ [هجرية] .

(٢) يفهم من هذا أن الأمة في القرنين الأولين أدركت مخالفة الرسم العثماني لقواعد كتاباتهم ورغبوا في كتابة المصاحف على القواعد الكتابية ، فاستفتوا الإمام مالك فلم يفتهم بجواز ذلك ، فامتثلوا وأطاعوا ، وما علينا إلا اتباعهم والاقتداء بهم .

[أ] البيهقي في شعب الإيمان ٣ / ٥٤٨ .

[ب] ذكر ذلك السيوطي في الإتقان ٢ / ٤٤٣ ، والبنا في إتحاف فضلاء البشر ١ / ١٤ ، والزرقاني في مناهل العرفان ١ / ٢٦٢ .

قال الداني في المحكم : ولا مخالف لمالك في ذلك من علماء الأمة ؛ لأن ما روي عنه هو مذهب باقي الأئمة ، ومستند الأئمة الأربعة هو مستند الخلفاء الأربعة[أ] .

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى(١) : تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك[ب] .

ونقل الجعبري وغيره : إجماع الأئمة الأربعة على وجوب اتباع هذا المرسوم .

قال القرطبي في أوائل « تفسيره » : وقال أشهب : سمعت مالكًا وسئل عن العشور التي تكون في المصحف بالحمرة وغيرها من الألوان فكره ذلك .

وقال : تعشير المصحف بالحبر لا بأس به .

وسئل عن المصاحف يكتب فيها خواتم السور في كل سورة ما فيها من آية قال : إني أكره ذلك في أمهات المصاحف أن يكتب فيها شيء أو يشكل ، فأما ما يتعلم به من الغلمان من المصاحف فلا أرى بذلك بأسًا .

قال أشهب : ثم أخرج إلينا مصحفًا لجده كتبه إذ كتب عثمان المصاحف فرأينا خواتمه من حبر على عمل السلسلة في طول السطور ، ورأيته معجوم الآى بالحبر اهـ[ج] .

قوله : معجوم الآي بالحبر : أي موضوع في آخر كل آية نقطة من الحبر

---

(١) ولد الإمام أحمد سنة [١٦٤] هجرية وتوفي سنة ٢٤١ [هجرية] .

[أ] ذكره أبو عمرو الداني في نقط المصاحف ١ / ١١ .

[ب] ذكره الزركشي في البرهان في علوم القرآن ج ١ / ص ٣٧٩ ، والزرقاني في مناهل العرفان ١ / ٢٦٢ .

[ج] تفسير القرطبي (١ / ٦٣) .

للفصل بين الآيات .

قال الخراز في مورد الظمآن مشيرًا إلى إجابة مالك :

ومالك حضَّ على الاتباع لفعلهم وترك الابتداع
إذ منع السائل من أن يحدثا في الأمهات نقط ما قد أحدثا
وإنما رآه للصبيان في الصحف والألواح للبيان
ووضع الناس عليه كتبا كل يبين عنه كيف كتبا
أجلها فاعلم كتاب المقنع وقد أتى فيه بنصٍّ مقنع[أ]

قوله : (وإنما رآه للصبيان .. إلخ)

أي أن مالكًا رحمه الله جوَّز كتابة الألواح والصحف بغير الرسم العثماني للصغار الذين يتعلمون القرآن حتى لا يصعب عليهم التعليم .

وهذا القول عن مالك ذكره أيضًا العلامة الشيخ محمد مكي نصر في كتابه « القول المفيد في علم التجويد » .

وقال الشيخ محمد العاقب الشنقيطي رحمه الله تعالى :

رسم الكتاب سنة متبعه كما نحا أهل المناحي الأربعه
لأنه إما بأمر المصطفى أو باجتماع الراشدين الخلفا
وكل من بدّل منه حرفا باء بكفر أو عليه أشفا(١)

وقال القاضي عياض في آخر كتاب « الشفا » : « أجمع المسلمون أن من

---

(١) قال في المصباح : أشفيت على الشيء بالألف أشرفت .

[أ] دليل الحيران شرح مورد الظمآن في رسم وضبط القرآن ص ٢٣ ط مكتبة الكليات الأزهرية .

نقص حرفًا قاصدًا لذلك ، أو بدله بحرف آخر مكانه ، أو زاد فيه حرفًا مما لم يشمل عليه المصحف الذي وقع عليه الإجماع وأجمع على أنه ليس من القرآن عامدًا لكل هذا أنه كافر » اهـ كلامه وأيده شراحه[أ] .

وقال الشيخ عبد الرحمن بن القاضي المغربي : « ولا يجوز مخالفة مرسوم المصحف العثماني ولا يلتفت إلى اعتلال من خالف بقوله : إن العامة لا تعرف مرسوم المصحف ويدخل عليهم الخلل في قراءتهم في المصحف إذا كتب على المرسوم العثماني ، إلى آخر ما عللوا به ؛ فهذا ليس بشيء ؛ لأن من لا يعرف المرسوم من الأمة يجب عليه أن لا يقرأ في المصحف حتى يتعلم القراءة على وجهها ، ويتعلم مرسوم المصحف ، فإن فعل غير ذلك فقد خالف ما أجمعت عليه الأمة ، وحكمه معلوم في الشرع الشريف ، ومن علَّل بشيء ؛ فهو مردود عليه لمخالفته للإجماع المتقدم ، وقد تعدت هذه المفسدة إلى خلق كثير من الناس في هذا الزمان فليحتفظ من ذلك في حق نفسه وحق غيره » اهـ من « إيقاظ الأعلام »[ب] .

وجاء في كتاب « نهاية القول المفيد في علم التجويد » ما نصُّه : أجمع أهل الأداء وأئمة القراء على لزوم تعلم مرسوم المصحف العثماني فيما تدعو إليه الحاجة[ج] .

وقال الإمام الخراز في كتابه « عمدة البيان في الزجر عن مخالفة رَسْم المصاحف » ما نصُّه :

[أ] ذكر ذلك في التبيان في آداب حملة القرآن (١ / ٨٥) .

[ب] إيقاظ الأعلام ص ٢٠ .

[ج] نهاية القول المفيد في علم التجويد (١٩٢) .

فـواجـب عـلـى ذوي الأذهـان أن يـتـبـعـوا المرسـوم في الـقـرآن
ويـقـتـدوا بمـن رآه نـظـرا إذ جـعـلـوه لـلإمـام وزرا
وكـيـف لا يـصـح الاقـتـداء بمـا أتـى نـصًّـا بـه الـشـفـاء
روى عـيـاض أنـه مـن غـيَّـرا حـرفًـا مـن الـقـرآن عـمـدًا كـفـرا
زيـادة أو نـقـصًـا أو إن بـدَّلا شـيـئًـا مـن الـرسـم الـذي تـأصَّـلا

فعلم مما سبق إجماع الأئمة على عدم جواز كتابة القرآن بغير الرسم العثماني .

أمَّا ما ذكره الدمياطي في كتابه « إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر » بأن شيخ الإسلام العز بن عبد السلام قال : « لا يجوز كتابة المصحف الآن على المرسوم الأول باصطلاح الأئمة لئلا يوقع في تغيير من الجهال »[أ] فقد ردَّ عليه بعضهم بقوله : وهذا لا ينبغي إجراؤه على إطلاقه لئلا يؤدي إلى درس العلم ولا يترك شيء قد أحكمه السلف مراعاة لجهل الجاهلين لاسيما وهو أحد الأركان التي عليها مدار القراءات »[(١)] اهـ .

فإن قيل : لِمَ لَمْ يقولوا باتباع رَسْم الصحف البكرية وهي كتبت قبل مصحف عثمان ؟

فنقول : إن مصحف أبي بكر كان مكتوبًا بجميع الأحرف السبعة ولابدّ أن تكون كتابة كل حرف منها برسم صريح لا يحتمل قراءة حرف آخر ، وأن أبا

---

(١) انظر الفصل الأول من الباب الرابع لتقف على ما يترتب عن مخالفة الرسم العثماني .

[أ] إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ١ / ١٥ .

بكر لم يحمل الناس على اتباع مصحفه لعدم الضرورة إلى ذلك كما سبق بيانه[١] فإن الناس كانوا يقرأون في زمنه بالأحرف السبعة ، فكان مصحفه الذي جمعه محفوظًا عنده ، ثم كان عند عمر ، ثم كان عند حفصة بنت عمر ، فلما ماتت غسل غسلا فلم يبق له أثر[٢] .

أما مصحف عثمان فقد استنسخه من الصحف البكرية على حرف واحد فقط من الأحرف السبعة وهو حرف قريش ، وترك الأحرف الستة الباقية خشية اختلاف الناس في القراءة ، وأمر بحرق جميع الألواح والمصاحف غير مصحفه الذي جمعه حتى لا تكون فرقة ولا اختلاف ، وحمل الناس على مصحفه ووافقه الصحابة على هذا العمل المبرور فصار اتباعه واجبًا في ترتيبه ورسمه ، وإن كل مصحف من المصاحف التي أرسلها عثمان إلى المدن والأمصار كتب برسم غير رَسْم الآخر ليحتمل الرسم وجهًا من القراءات[٣] ، فلما صار العمل على هذه المصاحف العثمانية قالوا بوجوب اتباع رَسْم أي مصحف منها ، ولابد أن يكون رَسْم مصحف عثمان موافقًا لرسم الصحف البكرية في حدود الحرف الواحد الذي جمع مصحفه عليه وهو حرف قريش خصوصًا في حذف الألف من نحو ﴿ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ و ﴿ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾

---

(١) انظر الفصل الأول من الباب الثاني عند جمع أبي بكر للقرآن .

(٢) تقدم في الجمع الثالث سبب غسل الصحف البكرية التي كانت عند حفصة رضي الله عنها بعد وفاتها .

(٣) انظر في آخر الفصل الثاني من الباب الثالث لتقف على علة اختلاف الرسم في المصاحف العثمانية .

و ﴿ إِسْحَٰقَ ﴾ و ﴿ إِسْمَٰعِيلَ ﴾ وزيادة الواو في نحو ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ و ﴿ أُوْلُواْ ﴾ وغير ذلك والله تعالى أعلم بغيبه .

ومما يناسب هذا المقام ذكر أربعة أسئلة من الأسئلة التي كنا بعثناها لمشيخة المقارئ المصرية[١] مع الإجابة عليها .

فالسؤال الأول : هل من ضمن القراءات المتواترة[٢] قراءة روعي فيها رَسْم المصحف العثماني أم لا ؟ .

فأجابنا عليه : شيخ القراء هناك فضيلة الأستاذ المحقق الشيخ على محمد الضَّباع[٣] بقوله : « رَسْم المصحف ركن من أركان القراءة فكل قراءة مراعى فيها هذا الرسم ، وقد وردت نصوص أئمة الأداء بأن أئمة القراءة بالكوفة وأبا عمرو المازني ونافعَ بن أبي نعيم المدني ؛ اعتنوا بمتابعة خط المصحف في الوقوف الاختبارية[٤] لقصد توقيف القارئ على حقيقة رسمها ،

---

(١) لما عزمنا على تأليف هذا الكتاب خطرت في بالنا جملة أسئلة عددها تسعة عشر سؤالًا مما يتعلق بالقرآن الكريم فاستفتينا فيها مشيخة المقارئ المصرية فأجابتنا عليها في اليوم العاشر من شهر شعبان عام ألف وثلاثمائة وثلاث وستين هجرية ، ونحن نذكر في هذا الكتاب من تلك الأسئلة والإجابة عليها ما يناسب كل مقام ، ولولا خوف التطويل لوضعنا جميع الأسئلة مع أجوبتها في ذيل هذا الكتاب .

(٢) سيأتي بيان القراءات المتواترة في السؤال الثالث قريبًا .

(٣) الضباع : بالضاد المعجمة والباء الموحدة المشددة .

(٤) الوقف الاختبارى بالباء الموحدة ، هو اختبار القارئ ليعلم كيف يقف على رسم المصحف العثماني من مقطوع وموصول وثابت ومحذوف ، وتاء تأنيث لم تكتب بهاء . أقول : إن اعتناء هؤلاء الأئمة بخط المصحف من حيث الوقوف الاختبارية يقصد معها =

واستحسن ذلك المحققون لسائر القراء » اهـ .

والسؤال الثاني : هل يطلق على من كتب مصحفًا بقراءة من القراءات المتواترة أنه خالف رَسْم المصحف العثماني وأنه ارتكب محظورًا أم لا ؟

فأجابنا عليه شيخ القراء المذكور بقوله : كاتب المصحف إذا رَسَم هجاء كلماته بصورها الرسمية على وجه مما أثر عن أصحاب رسول الله ﷺ والْتزم فيما ورد فيه منها رسمان كل منهما لقراءة رسمًا يطابق قراءة معينة من القراءات المتواترة ، ثم ضبطه بأي طريق من طرق الضبط على وجه معتبر عند أهل الأداء فلا يقال : إنه خالف الرسم العثماني ، ولا إنه ارتكب محظورا وإن كانت الصورة التي أتى بها لا تحكي صورة بعينها لمصحف من المصاحف الستة(١) ؛ لأن المعتبر في متابعة الرسم العثماني تصوير الكلمة

= كما بين شيخنا الشيخ الضباع وقوف القارئ على حقيقة رسمها من حيث القطع والوصل وما ورد عن بعض هؤلاء الأئمة من الوقف على جزء الكلمة كالوقف على كلمة ويكأن (ويك) أو (وى) والبدء بـ (كأنه) وجواز ذلك من حيث الرواية وهل هذا موافق لما رسم أو غير موافق وكيفية الوقوف عليها وكذا (بهجت) ، و (اللات) و (مرضات) إلى ما جاء في بعض القراءات التي تحتاج إلى بيان عن كيفية الوقوف على هذه الكلمات وهل هي موافقة للرسم أم لا . المحقق .

(١) هذا على القول بأن المصاحف التي أرسلها عثمان بن عفان إلى الأمصار ستة ، وقد تقدم ذكر الاختلاف في عددها فراجعه . وتعليقا على ما ذكره شيخنا من إيضاح أن هناك كلمة ورد فيها رسمان ليوافق الرسم كل قراءة فمعناه أن المصاحف الستة التي نسخها عثمان كان في بعضها كلمات رسمت على ما يوافق قراءة أهل المصر التي أرسلت إليه كقراءة الشامى (فإن الله الغنى الحميد) بحذف لفظ (هو) في سورة الحديد وكذا (وأوصى بها إبراهيم بنيه) في سورة البقرة كتبت بزيادة ألف بين الواوين في المصحف الشامي والمدني وهكذا نجد المصاحف الستة قد نسختها الكتاب على =

القرآنية على وجه أثر عن تلك المصاحف أو بعضها ، وأما الضبط فقد جرى عمل المسلمين على الترخيص به دفعًا للالتباس ، ومنعًا للتحريف والخطأ في كلام رب العالمين . اهـ .

والسؤال الثالث : ما هي القراءات المتواترة ؟ وكم عددها ؟ وما أسماؤها ؟ وما معنى القراءة الشاذة ؟ وهل تصح الصلاة بها في أحد المذاهب أم لا ؟ وما مثالها ؟

وهل من يقرأ بها في غير الصلاة للتعبد يثاب عليها أم لا ؟ فإن لم تصح الصلاة بها ولم يؤجر قارئها فما معنى كونها قراءة شاذة ؟ وهل يترتب عليها حكم شرعي أم لا ؟

فأجابنا عليه شيخ القراء المذكور بقوله : القراءات المتواترة هي كل قراءة صح سندها بنقل جماعة لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم من البداءة إلى المنتهى ووافقت العربية مطلقًا ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديرًا ، والذي جمع في زماننا هذه الأركان الثلاثة هو قراءة الأئمة العشرة[١] - نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي ، وأبو جعفر ، ويعقوب ، وخلف - أخذها الخلف عن السلف إلى أن وصلت إلينا ، فقراءة أحدهم كقراءة باقيهم في كونها مقطوعا بها ... إلخ ما أجابنا به

= ما تلقوه من النبي ﷺ وما وجههم إليه في كتابة بعض الكلمات فجاءت المصاحف مشتملة لكل ما جاء بيانه عن النبي ﷺ كان يوجه الكاتب إلى كتابة صورة الكلمة فهذا الوضاح لدستور الكتاب الوحي في هذا القرآن وكتابته .

(١) سيأتي الكلام على ذكرهم وتاريخ وفاتهم في الفصل الأول من الباب الرابع .

شيخ القراء حفظه الله تعالى اهـ .

وقد اكتفينا بهذه النبذة من إجابته على سؤالنا المذكور المتشعب بيانًا للقراءات المتواترة ، ولم نذكر بقية الإجابة خوفًا من التطويل مع أنها نافعة قيمة كيف لا وهي صادرة من علامة محقق أكثر الله من أمثاله .

ولما كان في الإجابة بعض جمل تحتاج لزيادة الإيضاح رأينا أن نعقب عليها بشرح مختصر نقلناه من كتاب « عنوان البيان في علوم التبيان » وهو منقول عن الإمام ابن الجزري رحمه الله تعالى فنقول :

قوله : (ووافقت العربية مطلقًا) :

أي ولو بوجه من وجوه النحو سواء كان أفصح أم فصيحًا مجمعًا عليه أم مختلفًا فيه اختلافًا لا يضر مثله إذا كانت القراءة مما شاع وذاع وتلقَّاه الأئمة بالإسناد الصحيح ؛ إذ هو الأصل الأعظم والركن الأقوم ، وكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم ولم يعتبر إنكارهم كإسكان ﴿ بَارِيكُمْ ﴾ و ﴿ يَأْمُرُكُمْ ﴾ وخفض ﴿ ٱلْأَرْحَامِ ﴾ والفصل بين المضافين في مثل : ﴿ قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ ﴾ فإذا ثبتت الرواية لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة ؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها .

وقوله : (ووافقت أحد المصاحف العثمانية)

يعني ما كان ثابتًا في بعضها دون بعض ؛ كقراءة ابن عامر ﴿ قَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ في البقرة من غير واو[أ] ، و ﴿ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ بزيادة

[أ] قرأ ابن عامر بغير واو بعد ((عليم)) ؛ كما هو في مصحف الشام ، احتج ابن عامر لقراءته بأن =

الباء في الاسمين ؛ فإن ذلك ثابت في المصحف الشامي[أ] ، فإن لم يكن في شيء من المصاحف العثمانية فشاذ لمخالفته الرسم المجمع عليه .

وقوله : (ولو تقديرًا)

كـ ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾[ب] فإنه كتب في الجميع بلا ألف ، فقراءته

= ذلك قصة مستأنفه غير متعلقة بما قبلها كما قال ﴿ وإذ قال موسى لقومه .. ﴾ ثم قال : ﴿ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ قال ابن الجزري :

واوًا (كـ) سما

(شرح طيبة النشر ٤ / ٥٨ ، النشر ٢ / ٢٢٠ ، الغاية ص ١٠٦ ، الحجة لابن خالويه ٢ / ٨٨ ، السبعة ص ١٦٩ ، حجة القراءات ص ١١٠ .

[أ] اختلف في ﴿ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ﴾ فابن عامر في والزبر بزيادة باء موحدة بعد الواو كرسمه في الشامية وهشام بخلف عنه بزيادتها أيضا في وبالكتاب والباء ثابتة في مصحف المدينة في الأول محذوفة في الثانية والحذف عن هشام من جميع طرق الداجواني إلا من شذ والإثبات عنه من جميع طرق الحلواني إلا من شذ وهو الأصح عن هشام كما في النشر وعن المطوعي ، واختلف أهل النحو في ذلك فقال قوم مررت بزيد وعمرو ومررت بزيد وبعمرو سواء وكذلك ﴿ جاؤوا بالبينات والزبر ﴾ و ﴿ وَبِٱلزُّبُرِ ﴾ ، قال ابن الجزري :

وفي الزبر بالبا كمّلوا وبالكتاب الخلف لذ

(إتحاف فضلاء الوشر في القراءات الأربعة عشر – الدمياطي ج ١ / ص ٢٣٣ ، حجة القراءات لابن زنجلة ج ١ / ص ١٨٥) .

[ب] لقد وضع علماء القراءات ضوابط للقراءة من حيث القبول والرد وهذه الضوابط هي ما عرفت باسم أركان القراءة الصحيحة وقد تبين لنا من هذه الضوابط :

١ – موافقة القراءة لوجه من أوجه اللغة ومعنى هذا الشرط : أن تكون القراءة موافقة لوجه من وجوه النحو ، ولو كان مختلفا فيه اختلافا لا يضر مثله ، فلا يصح مثلا الاعتراض على قراءة حمزة . ﴿ واتقُوا الله الذي تساءلون به والأرحام ﴾ [النساء : ١] بجر الأرحام .

٢ – موافقة القراءة للرسم العثماني ولو احتمالا . ومعنى هذا الشرط : أن يكون النطق بالكلمة موافقا لرسم المصحف تحقيقا إذا كان مطابقًا للمكتوب ، وقد يوافقه احتمالاً أو تقديرًا باعتبار ما عرفنا أن رسم المصحف له أصول خاصة تسمح بقراءته على أكثر من وجه . مثال ذلك : ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ رسمت ﴿ مَٰلِكِ ﴾ بدون ألف في جميع المصاحف ، فمن قرأ : ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ بدون =

بالألف توافقه تقديرًا لحذفها في الخط اختصارًا وقد يوافق اختلاف القراءات الرسم تحقيقًا نحو ﴿ تُعَلِّمُونَ ﴾ بالتاء والياء ، و ﴿ يَغْفِرْ لَكُم ﴾ بالياء والنون ، ونحو ذلك مما يدل تجرده عن النقط والشكل في حذفه وإثباته على فضل عظم الصحابة رضي الله عنهم في علم الهجاء خاصة ، وفهم ثاقب في تحقيق كل علم .. اهـ من كتاب عنوان البيان للعلامة الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوي رحمه الله تعالى .

ولقد طلبنا من الأستاذ الجليل مرجع القراء وعمدتهم عندنا بمكة المشرفة الشيخ أحمد بن محمد التيجي حفظه الله وأطال عمره إيضاح ما ذكر من إسكان ﴿ بَارِئِكُمْ ﴾ و ﴿ يَأْمُرُكُمْ ﴾ وخفض ﴿ ٱلْأَرْحَامِ ﴾ والفصل بين المضافين في مثل ﴿ قَتْلُ أَوْلَـٰدَهُمْ شُرَكَآئِهِمْ ﴾ .

فأجابنا بما يأتي : إن أبا عمرو بن العلاء أحد أئمة القراء يقرأ كلمة : ﴿ بَارِئِكُمْ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ بإسكان الهمزة تخفيفًا - ويقرأ كلمتي :

= ألف فهو موافق للرسم تحقيقًا ، ومن قرأ : ﴿ مَـٰلِكِ ﴾ بالألف فهو موافق تقديرًا ، لحذف هذه الألف من الخط اختصارًا . وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قرأ ﴿ ملك ﴾ بغير ألف وروي عنه أيضًا أنه قرأ ﴿ مَـٰلِكِ ﴾ بالألف ، وقرأ من الصحابة والتابعين ﴿ ملك ﴾ بغير ألف : أبو الدرداء وابن عباس وابن عمر ومروان بن الحكم ومجاهد ويحيى بن وثاب وغيرهم . وممن قرأ ﴿ مَـٰلِكِ ﴾ بالألف من الصحابة والتابعين : عمر بن الخطاب ، وعمر بن عبد العزيز . قال الناظم (مالك نك ظلا روى) انظر المختار في معاني قراءات أهل الأمصار (ص ٤) وزاد المسير (١ / ١٣) وتفسير ابن كثير (١ / ٢٤) . وقراءات النبي ﷺ ومعه فيه قراءة النبي للمحقق والسبعة لابن مجاهد (١ / ١٠٤) والمبسوط لابن مهران (ص : ٨٦) وإعراب القرآن لأبي جعفر النحاس (١ / ١٢١ ، ١٢٢) .

﴿ يأمُركم ﴾ ﴿ ويأمُرهم ﴾ من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ . ومن قوله تعالى : ﴿ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ بإسكان الراء في الكلمتين للتخفيف[أ] وإن حمزة أحد أئمة القراء يقرأ كلمة : ﴿ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾ بكسر الميم عطفًا على الضمير المجرور[ب] .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ ﴾ بسورة الأنعام ، فيقرأ ابن عامر أحد أئمة القراء ﴿ زُيِّنَ ﴾

[أ] وقد قرأ أبو عمرو ﴿ يَأْمُرُكُمْ ﴾ ﴿ بَارِئِكُمْ ﴾ ﴿ يَأْمُرُهُم ﴾ ﴿ تَأْمُرُهُمْ ﴾ ﴿ يَنصُرُكُمْ ﴾ ﴿ يُشْعِرُكُمْ ﴾ حيث وقعت بإسكان الهمزة والراء وروى جماعة من أهل الأداء عن الدوري اختلاس الحركة فيهما .

قال ابن الجزري :

بارئكمْ يأمركُمْ ينصُركُمْ ... يأمرهُم تأمرهُم يُشعِركُمْ

سكِّنْ أو اختلِسْ ... حُلاً والخلْف طب

قال النويري في شرح طيبة النشر ٤ / ٢٥ وروى أكثرهم الاختلاس من رواية الدوري ، والإسكان من رواية السوسي ، وبه قرأ الداني على أبي الحسن وغيره ، وهو المنصوص عليه في الكافي والهداية والتبصرة والتلخيص ، وروى بعضهم الإشباع عن الدوري خاصة نص عليه أبو العز من طريق ابن مجاهد عن أبي الزعراء ، ومن طريق الوراق عن ابن فرج كلاهما عن الدوري .

[ب] قرأ حمزة بخفض الميم ، عطفا على الضمير المجرور في به على مذهب الكوفيين أو أعيد الجار وحذف للعلم به وجر على القسم تعظيما للأرحام حثا على صلتها رجوا به الله ، ومن قرأ ﴿ وَٱلْأَرْحَامِ ﴾ فالمعنى تساءلون به وبالأرحام ، وقال أهل التفسير وهو قوله أسألك بالله والرحم وقد أنكروا هذا وليس بمنكر لأن الأئمة أسندوا قراءتهم إلى النبي ﷺ ، قال ابن الجزري :

واجررا الأرحام فق

(إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر – الدمياطي ١ / ص ٢٣٦ ، النشر ص ٢٤٧ ، الغاية ص ١٣٢ ، إعراب القرآن ١ / ٣٩٠ ، حجة القراءات لابن زنجلة ١ / ١٩٠) .

بضم الزاي فعل مجهول ، و ﴿ قَتْلُ ﴾ بضم اللام نائب فاعل ، و ﴿ أَوْلَـٰدَهُمْ ﴾ بفتح الدال مفعول للمصدر ، و ﴿ شُرَكَآئِهِمْ ﴾ بكسر الهمزة مضاف إليه و ﴿ قَتْلُ ﴾ هو المضاف وقد فصل بينهما بـ ﴿ أَوْلَـٰدَهُمْ ﴾ - والفصل بين المضاف والمضاف إليه لا يجوز عند أكثر النحويين إلا في الشعر ؛ لأن المضاف إليه بمنزلة جزء المضاف ، كما لا يجوز عندهم إسكان الهمزة من قوله تعالى ﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾ وهو اسم مجرور وإسكان الراء من قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ ﴾ وهو فعل مضارع مرفوع . ولكن ثبوت القراءة بما ذكر عن هؤلاء الأئمة مقدم على القواعد النحوية فالقراءة هي الأصل المعتبر » اهـ قول الشيخ التيجي أدام الله النفع به[أ] .

[أ] اختلف في ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ ﴾ الآية ١٣٧ فابن عامر قرأ (زين) بضم الزاي وكسر الياء بالبناء للمفعول ﴿ قَتْلُ ﴾ برفع اللام على النيابة عن الفاعل ﴿ أَوْلَـٰدَهُمْ ﴾ بالنصب على المفعول بالمصدر ﴿ شُرَكَآئِهِمْ ﴾ بالخفض على إضافة المصدر إليه فاعلا وهي قراءة متواترة وقارئها ابن عامر أعلى القراء السبعة سندا وأقدمهم هجرة من كبار التابعين الذين أخذوا عن الصحابة كعثمان بن عفان وأبي الدرداء ومعاوية وفضالة بن عبيد وهو مع ذلك عربي صريح من صميم العرب وكلامه حجة وقوله دليل لأنه كان قبل أن يوجد اللحن فكيف وقد قرأ بما تلقى وتلقن وسمع ورأى إذ هي كذلك في المصحف الشامي وقد قال بعض الحفاظ إنه كان في حلقته بدمشق أربعمائة عريف يقومون عليه بالقراءة قال ولم يبلغنا عن أحد من السلف أنه أنكر شيئا على ابن عامر من قراءته ولا طعن فيها وحاصل كلام الطاعنين كالزمخشري أنه لا يفصل بين المتضايفين إلا بالظرف في الشعر لأنهما كالكلمة الواحدة أو أشبها الجار والمجرور ولا يفصل بين حروف الكلمة ولا بين الجار ومجروره ، وهو كلام غير معول عليه وإن صدر عن أئمة أكابر ؛ لأنه طعن في المتواتر ، وقد انتصر لهذه القراءة من يقابلهم وأوردوا من لسان العرب ما يشهد لصحتها نثرا ونظما بل نقل بعض الأئمة الفصل بالجملة فضلا عن المفرد في قولهم : غلام إن شاء الله أخيك ، وصح قوله : فهل أنتم تاركو إلى صاحبي ؛ ففصل بالجار والمجرور ، وقال في التسهيل : ويفصل في السعة بالقسم مطلقا وبالمفعول إن كان المضاف مصدرا نحو : أعجبني دق الثوب القصار ، وقال صاحب المغرب : يجوز فصل المصدر المضاف =

والسؤال الرابع : هل يجوز إتلاف المصاحف المطبوعة على غير رَسْم المصحف العثماني أم لا ؟ وهل لها حرمة أم لا ؟

فأجابنا عليه شيخ القراء المذكور بقوله : إذا كان في المصحف المطبوع كلمات رسمت على خلاف الرسم العثماني المشهور ، وكانت هذه الكلمات مما يترتب على رسمها كذلك إخلال بحكم من أحكام تلاوة القرآن كوصل ما أثر عن الرسم العثماني قطعه وعكسه ، أو كرسم هاء التأنيث التي يقتضي الرسم العثماني رسمها بالتاء هاء ، فخشية أن يتسرب التحريف إلى اللفظ الشريف يتعين إتلاف ذلك المصحف إذا تعذر إصلاحه ، أما إذا كانت تلك الكلمات مما لا يترتب على رسمها كذلك إخلال بحكم من أحكام اللفظ كإثبات بعض الألفات والياءات أو الواوات المحذوفات في الرسم العثماني لقصد الاختصار ؛ فلا بأس ببقائه واحترامه تبعًا لما جرى عليه بعض متأخري

= إلى فاعله بمفعوله لتقدير التأخير وأما في الشعر فكثير بالظرف وغيره منها قوله :

فسقناهم سوق البغال الأداجل

وقوله : سقاها الحجى سقي الرياض السحائب

وقوله : لله در اليوم من لامها

وقوله : فزججتها بمزجة زج القلوص أبي مزادة

وقد علم بذلك خطأ من قال إن ذلك قبيح أو خطأ أو نحوه ، وأما من زعم أنه لم يقع في الكلام المنثور مثله فلا يعول عليه لأنه ناف ، ومن أسند هذه القراءة مثبت وهو مقدم على النفي اتفاقا ولو نقل إلى هذا الزاعم عن بعض العرب ولو أمة أو راعيا أنه استعمله في النثر لرجع إليه ؛ فكيف وفيمن ألبت تابعي عن الصحابة عمن لا ينطق عن الهوى ؛ فقد بطل قولهم وثبتت قراءته سالمة من المعارض ولله الحمد ، قال ابن الجزري :

زين هم اكسر وقل الرفع (ك) ر أولاد نصب شركائهم يجر

رفع (ك) مدا

المشارقة من الترخيص بإثباتها تيسيرًا على العامة وتنزيلًا لها منزلة الضبط ؛ لأنها تؤدي ما يؤديه ، ولم أر في ذلك نصًّا يعتد به ، وهل تعدُّ هذه الأحرف من القرآن أولًا ؟ ، الظاهر من عمل العادِّين أن منهم من عدها مراعاة للفظ ومنهم من أسقطها مراعاة للخط العثماني ، وهذا أولى وأحوط محافظة على المرسوم وخشية أن يزاد في القرآن ما ليس منه .

انتهت الأسئلة الأربعة والإجابة عليها .

فخلاصة ما تقدم :

أن الواجب علينا اتباع رَسْم المصحف العثماني وتقليد أئمة القراءات خصوصًا علماء الرسم منهم ، والرجوع إلى دواوينهم العظام كالمقنع لأبي عمرو الداني ، والعقيلة للشاطبي ؛ فإن أئمة القراءات المتقدمين قد حصروا مرسوم القرآن الكريم كلمة كلمة على هيئة ما كتبه الصحابة في المصاحف العثمانية ونقلوا ذلك بالسند المتصل عن الثقاة العدول الذين شاهدوا تلك المصاحف .

هذا وقد بحثنا كثيرًا في دور الكتب (الكتبخانات) بالحجاز ومصر عن نفس المصاحف العثمانية فلم نقف على خبر موثوق نطمئن إليه بوجودها .

ولقد جاء في « خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى » للسمهودي أنه في الحريق الأول الذي حصل للمسجد النبوي سنة ستمائة وأربع وخمسين للهجرة كان من جملة ما احترق الكتب والمصاحف ، ولم يسلم من الحريق سوى بعض أشياء منها المصحف الشريف العثماني ... إلخ .

فعلى هذا كان المصحف العثماني موجودًا بالحرم النبوي بالمدينة المنورة

إلى التاريخ المذكور ، ثم لا يعلم أحد أين ذهب ، ويقول بعض من نعاصرهم أنه كان موجوداً بالمدينة المنورة إلى أن خرج الأتراك من الحجاز عام ألف وثلاثمائة وأربع وثلاثين وأنه ربما نقل إلى الآستانة .

ولقد رأينا في « مجلة الدنيا وكل شيء » التي تصدر بمصر في كل أسبوع مرة واحدة - بتاريخ ٢٨ جمادى الثانية عام ١٣٥٧ هـ الموافق ٢٤ أغسطس عام ١٩٣٨ م - أن حكومة ألمانيا ستعيد في ستة أشهر من تنفيذ المعاهدة الحالية إلى حكومة ملك الحجاز النسخة الأصلية لمصحف الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه والتي أخذت من المدينة المنورة بواسطة القوات الأتراك وثبت أنها سلّمت للإمبراطور السابق غليوم الثاني ، هذا ما وقفنا عليه في هذا الشأن .

فوائد اتباع الرسم العثماني

اعلم أن في اتباع الرسم العثماني جملة فوائد :

منها : وقوف الناس على كيفية كتابة المصاحف في ابتداء الأمر .

ومنها : النصُّ على بعض اللغات الفصيحة ككتابة هاء التأنيث تاء على لغة طيئٍ وكحذف ياء ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ ﴾ على لغة هذيل .

ومنها : إفادة المعاني بالقطع والوصل في بعض الكلمات نحو : ﴿ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ فإن قطع ﴿ أَمْ ﴾ عن ﴿ مَّن ﴾ يفيد معنى بل دون وصلها بها .

ومنها : أخذ القراءات المختلفة من اللفظ المرسوم برسم واحد نحو : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ فلو كتبت (وما يخادعون) لفاتت قراءة

﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ ﴾[أ] .

ومنها : عدم الاهتداء إلى تلاوته على حقه إلا بالتلقي شأن كل علم نفيس يتحفظ عليه » اهـ من إجابة مشيخة المقارئ المصرية لأسئلتنا .

الرد على الإفرنج القائلين باستنباط القراءات من الرسم

يقول بعض المستشرقين من الإفرنج أمثال جولد زيهر اليهودي ونولدكة الألماني المولود عام ١٨٣٦م(١) أن رَسْم المصحف هو الأصل ، وأن

(١) كان بدء اهتمام الإفرنج باللغة العربية من القرن العاشر للميلاد ، ثم زاد اهتمامهم باللغات الشرقية كالعربية والتركية والفارسية وتخصص أناس منهم في دراستها ، فترجموا كثيرًا من العلوم إلى لغاتهم ، ومن القرن الثامن عشر للميلاد إلى الآن نبغ كثيرون منهم - وقد ذكر جورجي زيدان في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية أسماء طائفة من المستشرقين وأعمالهم فراجعه إن شئت .

[أ] قرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو بضم الياء التحتية ، وفتح الخاء ، وألف بعدها ، وكسر الدال فتصير القراءة ﴿ يُخَٰدِعُونَ ﴾ واحتج من قرأ بالألف بأن قال : إن الرجل يخادع نفسه ولا يخدعها ، قال الأصمعي : ليس أحد يخدع نفسه إنما يخادعها ، قال ابن الجزري :

وما يخادعون يخدعونا (كـ) ـتر (ثـ)ـوى

وقرأ الباقون بفتح الياء ، وسكون الخاء ، وفتح الدال ، ولا ألف بينهما ، والرسم على هذه القراءة ، وكذا الرسم في ﴿ يُخَٰدِعُونَ ﴾ [٩] ، إلا أن القراء الجميع اتفقوا في القراءة في الحرف الأول على ضم الياء ، وفتح الخاء وألف بعدها ، وكسر الدال ، ووجه الاتفاق على القراءة في الحرف الأول ، وفي سورة النساء كذلك كراهة التصريح بهذا الفعل القبيح : أن يتوجه إلى الله تعالى ؛ فأخرج مخرج المفاعلة ؛ قاله في النشر واحتج من قرأ بدون ألف أن أهل اللغة حكوا خادع وخدع بمعنى واحد والمفاعلة قد تكون من واحد كقولهم : داويت العليل ، فلما كان ((خادع وخدع)) بمعنى واحد اختار « خدع » فحمله على معنى الأول . النشر في القراءات العشر (٢ / ٢٠٠ ، الكشف عن وجوه القراءات ١ / ٢٢٤) .

القراءات تابعة له نشأت عن عدم وجود الشكل والنقط أي : (الحركات والإعجام) في الحروف والكلمات أيام الصحابة ، فنحن نرد هنا على قولهم هذا بالبرهان القاطع حتى لا يتوهم ذلك أحد من المسلمين وأنى لهؤلاء الإفرنج أن يفهموا كلام رب العالمين وشريعة خاتم النبيين محمد ﷺ وهم قد كفروا به . ولئن استمعنا إلى فلسفتهم وآرائهم في بعض المواضيع ، لا نسمح لهم أن يتناولوا الأبحاث الدينية الإسلامية ويخوضوا في المسائل الدقيقة المهمة - على أننا لا ننكر للغربيين نظرياتهم الصائبة في بعض النواحي التاريخية ، واستكشافاتهم العظيمة للآثار العمرانية ، ومخترعاتهم الهائلة في المصالح الحيوية - وإنما ننكر عليهم الخوض في الأبحاث الدينية الإسلامية لأنها غير مبنية على التصورات العقلية والتخيلات الفكرية ؛ بل أنها مبنية على قول الله تبارك وتعالى وعلى سنة نبينا العربي الكريم محمد ﷺ وهم لا يؤمنون بكتاب الله ، ولا يقرُّون برسالة نبينا ، ولا يعرفون من اللغة العربية ودقائقها ما يعرفه أهلها - فمن الإنصاف والعدل أن يرجعوا إلى كبار علمائنا الأعلام فيما يشكل عليهم من الأمور إذ ما أرادوا الوصول إلى الحقيقة .

وإليك فساد رأيهم في بحث القراءات : اعلم أننا لو أخذنا بقولهم هذا للزم أن الصحابة والتابعين هم الذين استنبطوا هذه القراءات من رَسْم المصحف العثماني ؛ فعليه يكون قد تطرق التحريف والتبديل في القرآن العظيم وهذا مستحيل بصريح قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ وقوله جل جلاله ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ * لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت : ٤١ - ٤٢] . وحاشا لله أن يتهاون الصحابة أو يعملوا

برأيهم في أمر من أمور الدين فضلًا عن القرآن الكريم الذي هو أساس الدين الإسلامي الحنيف ، وإنما هم تلقّوه عن رسول الله ﷺ مشافهة وسماعًا كلمة كلمة وآية آية وسورة سورة بالقراءات التي تدخل في معنى حديث : « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه »[أ] .

ولقد وصل إلينا القرآن المجيد من رسول الله ﷺ بالتواتر القطعي والإسناد الصحيح عن الثقاة العدول والعلماء الفحول طبقة بعد طبقة ، فالقراءات مأخوذة من النبي ﷺ مشافهة وسماعًا وليست مستخرجة من رَسْم المصحف ، بل الرسم تابع لها مبني عليها ، و أي دليل أعظم على هذا مما وقع لعمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم حينما سمعه يقرأ سورة الفرقان على حروف كثيرة لا يعرفها عمر ، ومما وقع لأبي بن كعب في المسجد مع الرجلين اللذين قرأ كل منهما سورة النحل في الصلاة بقراءة تخالف قراءة أبيٍّ . ومما وقع لعبد الله بن مسعود مع رجل سمعه يقرأ قراءة تخالف قراءته ، ومما وقع كذلك مع غير هؤلاء ، فيحتكمون إلى رسول الله ﷺ فيقرُّ كلًّا منهم على قراءته ويقول : « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه »[ب] وتفصيل ما وقع لهؤلاء الصحابة الأجلاء مذكور في الفصل الخامس في نزول القرآن على سبعة أحرف فراجعه .

ولقد أنعمنا النظر فوجدنا أنه لا يمكن أخذ القراءات من رَسْم المصحف العثماني ؛ إذ الرسم لم يوضع للدلالة على شيء منها ، وما جاء من قراءة بعض

[أ] سبق تخريجه .

[ب] سبق تخريجه .

الكلمات بالغيبة والخطاب ، أو بالرفع والنصب إنما هو بالتلقي والأخذ من رسول الله ﷺ لا لاحتمال ذلك من صورة الرسم الخالية من النقط والتشكيل في ذلك الزمن ، وإليك بيان ذلك ليتضح لك ما ذكرناه .

فمثلًا قول الله تعالى : ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ ...﴾(١) قرئ ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ﴾ بالغيبة و ﴿ أَمْ تَقُولُونَ ﴾ بالخطاب[أ] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ۝ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ...﴾(٢) قرئ ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ بالغيبة وبالخطاب[ب] .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝ قُلْ مَن كَانَ ...﴾(٣) قرئ بالغيبة وبالخطاب[ج] .

وقوله : ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا ...﴾(٤) قرئ بالغيبة وبالخطاب[د] .

كل ذلك كان بالتلقي من النبي ﷺ لا من رسم المصحف الذي يحتمل

---

(١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) بسورة البقرة .

[أ] قرأ ابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف ، وحفص ، ورويس بالتاء الفوقية على الخطاب . وقرأ الباقون بالياء التحتية على الغيبة .

[ب] قرأ أبو عمرو بالياء التحتية على الغيبة . وقرأ الباقون بالتاء الفوقية على الخطاب .

[ج] قرأ يعقوب بالتاء الفوقية على الخطاب ، فيصير النظم ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ واحتج من قرأ بالتاء أن ذلك لمناسبة ولتجدلهم ، قال ابن الجزري :

وبعملون قل خطاب (ظ) بهرا

والباقون بالياء التحتية على الغيبة ، واحتج من قرأ بالياء أن ذلك لمناسبة ﴿ وَمِن حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ ﴾ وما قبله وما بعده إلى يعملون (شرح طيبة النشر ٤ / ٥٠) .

[د] قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف ، ويعقوب بالياء التحتية ، وتشديد الطاء ، وإسكان العين ، فيصير النطق (يطّوّع) ، وقرأ الباقون بالتاء الفوقية ، وتخفيف الطاء ، وفتح العين ، قال الناظم :

تطوع التا يا وشدد مسكنا ظ مي شفا التاني شفا

القراءة بالياء والتاء لعدم وجود النقط فيه ، فلو كان كذلك لقرئ قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ ... ﴾(١) بالياء والتاء مع أنه ما قرئ إلا بتاء التأنيث فقط بخلاف قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ ... ﴾(٢) فقد قرئ بالياء والتاء[أ] .

وقول الله تعالى : ﴿ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾(٣) قرئ (يعقوب) بالنصب والرفع[ب] .

---

(١) هذه الآية قبل ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ ﴾ . بسورة البقرة .
(٢) هذه الآية بعد ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ ﴾ بأربع آيات ، بسورة البقرة .
(٣) بسورة هود .

[أ] قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، ويعقوب بالتاء الفوقية على التأنيث ، فيصير النطق ﴿ ولا تُقْبَلُ ﴾ وقد احتج من قرأ بالتاء بأن الشفاعة مؤنثة فهو ظاهر التلاوة ، والباقون بالياء التحتية على التذكير ، احتج من قرأ بالياء بأن تأنيث الشفاعة ليس تأنيثا حقيقيًا ، فلك في لفظه في الفعل التذكير والتأنيث تقول : قد قبل منك الشفاعة ، وقبلت منك الشفاعة ، وكذلك أنها بمعنى شفيع واستصحابًا للأصل ، ورسمهما متحد وعليه قوله تعالى : ﴿ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ ﴾ ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ ﴾ ، قال الناظم :

ولا يقبل أنت (حق)

(انظر : الغاية في القراءات العشر ص : ١٠١ ، والنشر ٢ / ٢١٢ ، وزاد المسير ١ / ٦٩ ، وتفسير ابن كثير ١ / ٨١ ، والمختار في معاني قراءات الأمصار ص : ١٢) .

[ب] قرأ ابن عامر ، وحمزة ، وحفص بنصب الباء الموحدة ، والباقون بالرفع ، قال الزجاج فأما من قرأ ﴿ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ في موضع نصب فمحمول على المعنى وهبنا لها إسحاق ووهبنا لها يعقوب ومن قرأ يعقوب فرفعه على ضربين أحدهما ابتداء مؤخر معناه التقديم والمعنى ويعقوب يحدث لها من وراء إسحاق ويجوز أن يكون مرفوعا بالفعل الذي يعمل في قوله ﴿ مِن وَرَآءِ ﴾ كأنه قال وثبت لها من وراء إسحاق يعقوب ، وحجة من رفع : أنه جعل ﴿ يَعْقُوبَ ﴾ ابتداء ، والظرف المقدم خبره ، وهو ﴿ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ ﴾ ويحتمل رفعه بالظرف الذي قبله ، قال ابن الجزري :

يعقوب نصب الرفع (ع)ن (ف)وز (ك)با

(حجة القراءات – ابن زنجلة ج ١ / ص ٣٤٧ ، شرح طيبة النشر ٤ / ٣٧٠ ، النشر ٢ / ٢٩٠ ، معاني القرآن ٢ / ٢٢ ، إيضاح الوقف والابتدا ص ٧١٥ ، إعراب القرآن ٢ / ١٠١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ۝ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ... ﴾(١) قرئ ﴿ وَلَا تُسْـَٔلُ ﴾ بالرفع والجزم[أ] .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾(٢) قرئ بكسر الخاء وفتحها[ب] .

وقوله تعالى ﴿ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ... ﴾ (٣) قرئ بالتشديد والتخفيف[ج] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾(٤) قرئ بتشديد ﴿ وَلَٰكِنَّ ﴾ ونصب ﴿ ٱلْبِرَّ ﴾ وقرئ بتخفيف ﴿ وَلَٰكِنَّ ﴾ ورفع ﴿ ٱلْبِرَّ ﴾[د] .

---

(١) سورة البقرة .

(٢) سورة البقرة .

(٣) سورة البقرة .

(٤) سورة البقرة .

(أ) قرأ نافع ، وابن عامر بفتح التاء وجزم اللام نهيًا ، والباقون بضم التاء ورفع اللام خبرًا ، ووجه قراءة الجزم أنه مبني للفاعل ، وجزم بلا الناهية ؛ إما حقيقة فيكون جوابًا ؛ لقوله ﷺ : ((ليت شعري ما فعل أبواي)) أو مجازًا لتفخيم القصة كقولك لمن قال : كيف فلان ؟ : لا تسل عما جرى له ، أي حل به أمر عظيم غير محصور ؛ فيتضمن الجواب ، ووجه قراءة الرفع أنه مبنى للمفعول بعد لا النافية وفيه مناسبة للأخبار المتقدمة ، ومحل الجملة نصب حال خبر ليس (شرح طيبة النشر ٤ / ٦٠ ، الكشف عن وجوه القراءات ١ / ٢٦٢ ، التبصرة ص ٤٢٩ ، الغاية ص ١٠٦) .

(ب) قرأ نافع ، وابن عامر بفتح الخاء خبرًا . وقرأ الباقون بكسرها أمرًا .

(ج) قرأ ابن عامر بإسكان الميم وتخفيف التاء الفوقية ، وقرأ الباقون بفتح الميم وتشديد التاء الفوقية . قال ابن الجزري :

وخف أمتعه (ك) سم

(د) قرأ نافع ، وابن عامر بكسر النون مخففة ، ورفع الراء ، وقرأ الباقون بنصب النون المشددة ، ونصب الراء ، قال ابن الجزري :

والبر من (كـ) سم (أ) م .

كل ذلك كان بالتلقي من النبي ﷺ لا من رَسْم المصحف الذي يحتمل القراءة بالرفع والنصب ، أو بالكسر والجزم ؛ لعدم وجود الحركات في المصحف في ذلك الزمن ، فلو كان كذلك لقرئ قوله تعالى : ﴿ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[١] بنصب ﴿ فَيَكُونُ ﴾ مع أنه ما قرئ إلا بالرفع فقط ، بخلاف قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[٢] فقد قرئ ﴿ فَيَكُونُ ﴾ بالرفع وبالنصب[أ] .

ثم إنه ما كل كلمة رسمت في المصحف العثماني لتدل على القراءات لكن أحيانًا توافق القراءات الرسم نحو : ﴿ يَعْلَمُونَ ﴾ بالتاء والياء و ﴿ يَغْفِرْ لَكُم ﴾ بالياء والنون ، و ﴿ فَٰكِهِينَ ﴾ و ﴿ فكهين ﴾ ، و ﴿ أَسْرَىٰ ﴾ و ﴿ أساري ﴾ ، و ﴿ تُفَٰدُوهُمْ ﴾ و ﴿ تُفْدُوهُم ﴾ .

وأحيانًا تقرأ الكلمة بجملة وجوه بينما الرسم لا يدل على كل ذلك نحو كلمة : ﴿ جِبْرِيل ﴾ فقد قرئت بكسر الجيم وفتحها ، وقرئت ﴿ جَبْرَءِيل ﴾

---

(١) بآل عمران .

(٢) يس .

[أ] قرأ ابن عامر بنصب النون بعد الواو ، والباقون بالضم ، ووجه النصب : أنه اعتبرت صيغة الأمر المجرد حملاً عليه ، فنصب المضارع بإضمار أن بعد الفاء قياسًا على جوابه ، قال الزجاج : رفعه من جهتين : إن شئت على العطف على ﴿ يَقُولُ ﴾ وإن شئت على الاستئناف ، والمعنى : فهو يكون ، واتفق على ﴿ فيكونُ الحقُ ﴾ لأن معناه فكان ، ورفع ﴿ فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ﴾ لأن معناه الإخبار عن القيامة وهو كائن لا محالة ، قال ابن الجزري :

فيكون فانصبا رفعًا سوى الحق وقوله كبا

(شرح طيبة النشر ٤ / ٥٩ ، النشر ٢ / ٢٢٠ ، الغاية ص ١٠٦ ، الإقناع ٢ / ٦٠٢) .

بفتح الجيم والراء وبعدها همزة مكسورة غير ممدودة[أ] ، وكلمة : ﴿ وَمِيكَٰىٰلَ ﴾ قرئت بلا همز ، وقرئت ﴿ ميكاءيل ﴾ بهمزة مكسورة ممدودة ، وقرئت ﴿ ميكاءل ﴾ بهمزة مكسورة غير ممدودة[ب] .

وأحيانًا لا يرمز الرسم إلى شيء من القراءات وإن خالف قواعد الإملاء نحو :

[أ] قرأ نافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحفص ، وأبو جعفر ، ويعقوب بكسر الجيم والراء من غير همز ، احتج من قرأ بكسر الجيم والراء من غير همز بأن ﴿ وَجِبْرِيلَ ﴾ اسم واحد على وزن قطمير ، وقد جاء في الشعر حيث يقول كعب بن مالك : وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس له كفاء

وقرأ ابن كثير بفتح الجيم ، وكسر الراء من غير همز ، احتج من قرأ بفتح الجيم بأن ذلك لغة ، وروي عن ابن كثير أنه سمع رسول الله ﷺ في المنام يقرأ : ﴿ وَجَبْرِيلَ وَمِيكَٰىٰلَ ﴾ فقال : فلا أزال أقرؤهما كذلك قال ابن الجزري : جبريل فتح الجيم (د) م وهي ورا

وقرأ شعبة بفتح الجيم والراء ، وهمزة مكسورة فيصير النطق ﴿ جَبْرَئِلَ ﴾ وقد اختلف عن شعبة في حذف الياء كقراءة حمزة والكسائي وخلف فروى العليمي عنه إثباتها ، وروي يحيى بن آدم عنه حذفها وهذا هو المشهور من هذه الطرق ، وقرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف بفتح الجيم والراء ، وهمزة مكسورة وبعدها ياء ، فيصير النطق ﴿ جَبْرَئِيلَ ﴾ واحتج هؤلاء بقوله ﷺ : ((إنما جبريل وميكائيل كقولك عبد الله وعبد الرحمن)) جبر هو العبد ، وإيل هو الله ، فأضيف جبر إليه وبني فقيل جبرئيل ، قال ابن الجزري :

فافتح وزد همزًا بكسر (صحبه) كلا وحذف الياء خلف شعبه

(شرح طيبة النشر ٤ / ٥٠ ، حجة القراءات ص ١٠٧ ، الحجة لابن خالويه ٢ / ٧٦ ، النشر ٢ / ٢١٩ ، السبعة ص ١٦٦ ، البحر المحيط ١ / ٣١٨ ، المبسوط ص ١٣٣) .

[ب] قرأ نافع ، وأبو جعفر بهمزة مكسورة بعد الألف ، وكذلك قرأها قنبل من طريق ابن شنبوذ كقراءة نافع وأبي جعفر لكنه فتح الجيم في ﴿ وَجِبْرِيلَ ﴾ فتصير قراءته ﴿ وجَبْرِئِلَ وميكائِلَ ﴾ أما من رواية ابن مجاهد فقد قرأها بالياء ، قال ابن الجزري : وميكائيل لا يا بعد همز (ز) ن بخلف (لـ) ق (أ) .

وقرأ أبو عمرو ، ويعقوب ، وحفص بغير همز بعد الألف ، فيصير النطق ﴿ وَمِيكَٰىٰلَ ﴾ وهي لغة الحجازيين ، واحتج هؤلاء بقول حسان بن ثابت : ويوم بدر لقيناكم لنا مدد فيه مع النصر ميكال وجبريل

وقرأ الباقون بهمزة مكسورة بعد الألف ، وبعد الهمزة ياء ، فيصير النطق ﴿ وميكائيل ﴾

(انظر حجة القراءات ص ١٠٨ ، إتحاف فضلاء البشر ص ١٤٤) .

﴿ لَأَاذْبَحَنَّهُۥٓ ﴾ ، ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ ﴾ و ﴿ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ﴾ بزيادة ألف في الكلمات الثلاث - ونحو : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْىدٍ ﴾ ، و ﴿ بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴾ ، بزيادة ياء فيهما .

ونحو : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ ﴾ ، و ﴿ سُلَيْمَٰنَّ ﴾ و ﴿ إِسْحَٰقَ ﴾ ، و ﴿ جَآءُو ﴾ ، و ﴿ فَآءُو ﴾ بحذف الألف المدّ منها . فهذه الكلمات ونحوها ليس فيها غير قراءة واحدة وهي التي نقرؤها اليوم ، وإن جاء رسمها على خلاف القاعدة[١] .

فعلم مما ذكرناه أن القراءت هي الأصل ، وأن الرسم تبع لها ، لا كما يقول المستشرقون من الإفرنج أنها ناشئة من الرسم وتابعة له ، ولا نعتقد أنه يوجد مسلم على وجه الأرض يأخذ بآرائهم المبنية على التخيلات ويترك أقوال أئمة المسلمين وعلمائهم المستندة إلى الكتاب والسنة .

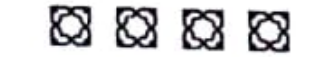

(١) أخذنا ما ذكرناه من أوجه القراءات من الأستاذ الجليل الشيخ أحمد التيجي المتقدم ذكره في الفصل الخامس من الباب الثاني أطال الله حياته ، وأدام النفع به آمين .

الفصل الخامس

في معرفة الصحابة لقواعد الإملاء والكتابة

يعتقد كثير من الناس أن الصحابة رضوان الله عليهم ما كانوا يعرفون قواعد الإملاء وأصول الكتابة ويستدلُّون على هذا برسم المصحف العثماني ، حتى ابن خلدون يقول بهذا في مقدمته ، على أنهم لو قالوا أن الكتابة لم تكن منتشرة فيهم لكان أولى من نسبتهم إلى جهل أصولها وقواعدها مع أنها ما وصلت إلينا إلَّا منهم .

ونحن نعتقد اعتقادًا جازمًا بأن الصحابة كانوا يعرفون قواعد الإملاء والكتابة حق المعرفة[١] ونستدل على قولنا هذا استدلالاً فنيًا بثلاثة أمور .

الأمر الأول :

قال الألوسي في تفسيره « روح المعاني » ما نصه : والظاهر أن الصحابة كانوا متقنين رَسْم الخط عارفين ما يقتضي أن يكتب وما يقتضي أن لا يكتب ، وما يقتضي أن يوصل وما يقتضي أن لا يوصل ، إلى غير ذلك ، لكن خالفوا القواعد في بعض المواضع لحكمة » اهـ[أ] .

قوله : « في بعض المواضع » أي من القرآن الكريم ورسم كلماته ،

---

(١) لا ننكر أن الأمية كانت متغلبة عليهم والتعليم لم يكن منتشرًا بينهم ، لكن نقول : إن المتعلمين منهم كانوا متقنين للقراءة والكتابة على الوجه الصحيح والقواعد المرعية كما سيظهر لك في هذا الفصل .

[أ] روح المعاني ١٩ / ص ١٨٥

فالألوسي وهو العالم المتبحر وصاحب التفسير الكبير لا يقول هذا إلا بعد النظر والتحقيق وإن لم يذكر الشواهد التي تؤيد قوله[أ] .

الأمر الثاني :

مما لا يخفى على أحد أن الصحابة كانوا يراسلون الملوك والأمراء في مهمات الأمور ، وكانوا يكتبون فيما بينهم العقود والمستندات من بيع وشراء وضمان وعطاء ، فلو كتبوا هذه الأمور على غير قواعد الإملاء والكتابة لأدَّى ذلك إلى الالتباس والخطأ في فهم مرادهم ، مع أن الحروف والكلمات ما وضعت إلاَّ لتدل على الكلام الملفوظ(١) فإن اختلفت كتابته اختلف اللفظ فاختلف المعنى فاختلط الأمر عليهم .

وأي دليل أعظم على نباهة العرب قبل اختراع الحركات (التشكيل) من تفرقتهم في الكتابة بين عُمَر وبين عَمْرو بزيادة الواو في الاسم الأخير لئلا يحصل لبس واشتباه ، فلو تأملت لِمَ اختاروا الواو علامة للتفرقة بين الاسمين

---

(١) ولذلك عرَّفوا الخط بأنه تصوير اللفظ بحروف هجائية .

[أ] بل استشهد لذلك بقوله في روح المعاني (١٩ / ١٨٥) ويستأنس لذلك بما أخرجه ابن الأنباري في كتابه التكملة عن عبد الله بن فروخ قال : قلت لابن عباس : يا معشر قريش أخبروني عن هذا الكتاب العربي هل كنتم تكتبونه قبل أن يبعث الله تعالى محمدا ﷺ تجمعون منه ما اجتمع وتفرقون منه ما افترق مثل الألف واللام والنون قال نعم قلت وممن أخذتموه قال من حرب بن أمية قلت وممن أخذه حرب قال من عبد الله بن جدعان قلت وممن أخذه عبد الله بن جدعان قال من أهل الأنبار قلت وممن أخذه أهل الأنبار قال من طارئ طرأ عليهم من أهل اليمن قلت وممن أخذ ذلك الطارئ قال من الخلجان ن القسم كاتب الوحي لهود النبي عليه السلام وهو الذي يقول في كل عام سنة تحدثونها ورأي على غير الطريق يعبر وللموت خير من حياة تسبنا بهاجرهم فيمن يسب وحمير انتهى .

دون غيرها من الأحرف الهجائية ؛ لظهر لك ذكاؤهم المفرط وقوة تفكيرهم في ذلك .

على أن بعض كتاباتهم وخطوطهم لا زالت محفوظة لدينا ؛ ففي دار الكتب العربية بمصر يوجد كثير من كتابة القرن الأول والقرون التي تليه على الأحجار والجلود والأوراق البُرْدية[١] ، وقد شاهدناها بأنفسنا حين إقامتنا بها[٢] وقرأناها فلم نجد فيها خطأ إملائيًا ، ولا غلطة كتابية ، وكنا نرغب أن نضع هنا صورة صحيفة من القرآن الكريم المكتوب في عهد الصحابة ورسم شيء من خطوطهم ، غير أن ظروف الحالة لم تساعدنا على ذلك ، لكن وضعناها في كتابنا تاريخ الخط العربي وآدابه فراجعه إن شئت .

ولا نذهب بك بعيدًا ؛ فهذه جبال الحجاز كم توجد في صخورها وأحجارها من كتابات الصحابة وخطوطهم خصوصًا في المدينة المنورة ومكة المشرفة والطائف المأنوس ، ولقد وقفنا عليها في هذه الأماكن فعجبنا من حسن خطها وصحة كتابتها وتحقيق حروفها ، وقد كتبت بأنواع متعددة من الخط الكوفي نرجو الله أن يحفظها من التلف ، فإن كثيرًا من الكتابات

---

(١) كان الورق البردي يصنع قديمًا من لب السيقان الطويلة للنبات المعروف باسم (سيبرس بابيرس) بعد جعله شرائح رقيقة تصف بجانب بعض ليكون منها طبقة ثم تصقل بعد ذلك فتصير صحيفة رقيقة ، وقد بينا ذلك في كتابنا تاريخ الخط العربي وآدابه المطبوع بمصر .

(٢) ذهبنا إلى مصر لطلب العلم مرتين . الأولى في عام ألف وثلاثمائة وأربعين للهجرة ومكثنا بها سبع سنين والثانية في عام ألف وثلاثمائه وثلاث وخمسين ومكثنا بها سنتين ، وسنذهب إليها للمرة الثالثة إن شاء الله تعالى في شعبان من عامنا هذا وهو عام ألف وثلاثمائة وخمس وستين .

على الصخور لم يبق لها أثر ؛ لأن الناس يكسرونها إلى قطع لبناء البيوت[١] كما شاهدنا في صخور بعض الشعاب والجبال من الكتابات التي يرجع عهدها إلى ما قبل الإسلام وغالبًا هي مكتوبة بالحروف الحميرية أو المسند ؛ فإننا لم نتحقق من ذلك ؛ لأنه يحتاج إلى التخصص والفراغ التام .

وقد استنتجنا من رؤيتنا لها أن هذه الأماكن التي هي بين الجبال كانت في يوم من الأيام مساكن لأقوام نزلوا بها ، ولا يبعد أن يعثر الباحث بين هذه الجبال على كهوف وغِيرانٍ تحتفظ في زواياها على آثارهم وكنوزهم كما رأى بعضهم ذلك[٢]

---

(١) حبذا لو أمرت الحكومة بمنع العمال من إتلاف الصخور والأحجار المكتوبة ؛ فإن في حفظها فوائد جمة كما أفادتنا رؤيتنا لها في هذا الموضوع المهم .

(٢) روى ابن كثير في الجزء الثاني من تاريخه عند ذكر أخبار عبد الله بن جدعان وبعد أن ساق نسبه قال وهو ابن عم والد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وكان من الكرماء الأجواد في الجاهلية المطعمين للمسنين وكان في بدء أمره فقيرًا مملقًا وكان شريرًا يكثر من الجنايات حتى أبغضه قومه وعشيرته وأهله وقبيلته وأبغضوه حتى أبوه ، فخرج ذات يوم في شعاب مكة حائرًا بائرًا ، فرأى شقًّا في جبل ، فظن أن يكون به شيئًا يؤذي ، فقصده لعله يموت فيستريح مما هو فيه ، فلما اقترب منه إذا ثعبان يخرج إليه ويثب عليه فجعل يحيد عنه ويثب فلا يغنى شيئاً فلما دنا منه إذا هو من ذهب وله عينان هما ياقوتتان فكسره وأخذه ودخل الغار ، فإذا فيه قبور لرجال من ملوك جرهم ، ومنهم : الحارث بن مضاض الذي طالت غيبته فلا يدري أين ذهب - ومضاض هو ابن عمرو الجرهمي وهو أول من صار إليه أمر البيت بعد نابت ابن إسماعيل عليه السلام ، وقد تزوج إسماعيل بنت مضاض فجاءته باثني عشر بنيًا - ووجد عند رؤوسهم لوحًا من ذهب فيه تاريخ وفاتهم ومدد ولايتهم ، وإذا عندهم من الجواهر واللآلئ والذهب والفضة شيء كثير ، فأخذ منه حاجته ، ثم خرج وعلم باب الغار ، ثم انصرف إلى قومه فأعطاهم حتى أحبوه وسادهم ، وجعل يطعم الناس وكلما قل ما في يده ذهب إلى ذلك الغار فأخذ حاجته ، ثم رجع وكانت له جفنة يأكل منها الراكب على بعيره ووقع فيها صغير فغرق ... إلخ اهـ من تاريخ ابن كثير .

الأمر الثالث :

أن الخط الكوفي وصل إلى الحجاز من أهل الحيرة والأنبار (وهما من مدن العراق) ووصل إليهما من طارئ طرأ عليهم من اليمن ، فالصحابة رضي الله عنهم كانوا يكتبون بالخط الكوفي الذي هو فرع من الخط الحميري العربي القديم الذي كان منتشرًا باليمن ، وليس من المعقول أن الخط الحميري الذي هو أساس الخط العربي لا يكون له أصول وقواعد معروفة ، بل إن للخطوط التي هي أقدم من الخط الحميري بآلاف السنين قواعد تامة لا تخفى على من تخصص بفك طلاسمها وترجمتها في وقتنا الحاضر ، وذلك كالخط الهيروغليفي بأنواعه الثلاثة ، والفينيقي والآشوري والسرياني .

ولقد أجمع المؤرخون على أن أول من أدخل الكتابة إلى مكة المشرفة حرب بن أمية[١] بن عبد شمس بن مناف القرشي ، وهو تعلمها في أسفاره من عدة

---

(١) وترجمته هي : حرب بن أمية بن عبد شمس ، جد معاوية بن أبي سفيان ، تعلم الخط من بشر بن عبد الملك ، حيث كان له صحبة بحرب بن أمية لتجارته عندهم في بلاد العراق ، وقد سافر بشر معه إلى مكة فتزوج الصهباء بنت حرب المذكور أخت أبي سفيان ، وقد تعلم الخط من حرب المذكور جماعة منهم : عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد وغيرهم رضي الله عنهم ، وحرب هذا كان قائد قريش كلها يوم الفجار وهو الذي تحمل الديات من ماله حينما دعا الناس إلى الصلح في ذلك اليوم ورهن لسدادها ولده أبا سفيان ، وكان حرب يسمر مع عبد المطلب بن هاشم وقد دامت الألفة بينهما طويلًا . اهـ من الجزء الثاني من محاضرات الخضري بزيادة وتصرف ، وفي كتاب الأعلام تزعم العرب أن الجن قتلته بثأر حية ، وفيه قال الشاعر

وقبر حرب بمكان قفر ... وليس قرب قبر حرب قبر

وقد فاتنا أن نذكر ترجمته هذه عند ذكر اسمه في كتابنا تاريخ الخط العربي وآدابه .

أشخاص منهم بِشْر بن عبد الملك[١] ، ثم تعلم منهما جماعة من قريش بمكة .

أما المدينة فقد ذكروا أن رسول الله ﷺ دخلها وكان فيها يهودي من يهود ماسكة يعلم الصبيان الكتابة ، وكان فيها بضعة عشر رجلًا يعرفونها منهم : زيد بن ثابت وكان يكتب العربية والسريانية ، ثم انتشرت الكتابة بالمدينة أكثر من انتشارها بمكة بتحريض النبي ﷺ ، فقد روي : أنه أمر عبد الله بن سعيد بن العاص أن يعلم الناس الكتابة ، وجاء عن عبادة بن الصامت قال : علمت ناسًا من أهل الصفَّة الكتابة والقرآن[أ] .

ولقد جعل المسلمون فدية الكاتب من أسارى غزوة بدر الكبرى تعليم عشرة من صبيان المدينة ، وبذلك كثر المتعلمون حتى بلغ عدد كتَّابه ﷺ نحو أربعين رجلًا .

---

(١) وترجمته هي : بشر بن عبد الملك أخو أكيدر بن عبد الملك بن عبد الجن الكندي ثم الكوفي صاحب دومة الجندل ، كان بشر المذكور يأتي الحيرة فيقيم بها الحين وكان نصرانيا فتعلم الخط العربي من أهل الحيرة ، ثم أتى مكة في بعض شأنه فرآه سفيان بن أمية بن عبد شمس وأبو قيس بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب يكتب فسألاه أن يعلمهما الهجاء ، ثم أراهما الخط فكتبا ، ثم إن بشرًا وسفيان وأبا قيس أتوا الطائف في تجارة فصحبهم غيلان بن سلمة الثقفي فتعلم الخط منهم وفارقهم بشر ومضى إلى ديار مضر فتعلم الخط منه عمرو بن زرارة بن عدس فسمي عمرو الكاتب ، ثم أتى بشر الشام فتعلم الخط منه ناس هناك .. اهـ بتصرف من كتاب فتوح البلدان للبلاذري .

وفاتنا أن نذكر ترجمته هذه عند ذكر اسمه في كتابنا تاريخ الخط العربي وآدابه .

[أ] أخرجه أحمد في مسنده (٥ / ٣١٥) عن عبادة بن الصامت قال : علمت ناسا من أهل الصفة الكتابة والقرآن ، فأهدى إلى رجل منهم قوسا فقلت : ليست لي بمال وأرمي عنها في سبيل الله تبارك وتعالى ، فسألت النبي ﷺ فقال : إن سرك أن تطوق بها طوقا من نار فاقبلها .

ومن بدء الهجرة إلى أمر عثمان رضي الله عنه بجمع القرآن يكون قد مرَّ ربع قرن ، أفلا يكون التعليم منتشرًا في هذه المدة .

فهل بعد هذا نقول إن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ما كانوا يعرفون قواعد الكتابة والإملاء ، ومن أراد زيادة الإيضاح عن دخول الخط في الحجاز فعليه بمراجعة كتابنا تاريخ الخط العربي وآدابه وهو مطبوع بمصر .

فإن قيل : حيث ثبت أنهم كانوا يعرفون قواعد الكتابة ، فلم اضطربوا في كتابة بعض الكلمات في المصحف العثماني .

نقول : إن هذا الأمر هو اللغز الذي جعل الأفكار حائرة ، لم تهد إلى حلّه فحول العلماء وكبار العقلاء ، ومن هنا نسبوا إلى الصحابة الجهل بقواعد الكتابة ، فلو نظروا إلى كتاباتهم العامة المتداولة بينهم لما نسبوا ذلك إليهم .

وإن قيل : إن قواعد الإملاء والنحو والصرف وضعها علماء الكوفة وعلماء البصرة[١] .

نقول : نحن لا ننكر ذلك ، ولكن ليس المعنى أنهم اخترعوا تلك القواعد من عند أنفسهم ، كلا ، وإنما وضعوا نصب أعينهم لغة العرب وكتاباتهم ،

---

(١) إمام البصريين هو سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر ، واختلف في تاريخ وفاته فقيل سنة (١٨٨ هـ) وقيل غير ذلك ، وإمام الكوفيين هو الكسائي على بن حمزة (أحد القراء العشرة) واختلف في تاريخ وفاته أيضا فقيل سنة (١٩٢ هـ) وقيل غير ذلك - ولقد جرى بينهما جدال طويل في بعض قضايا النحو ، فتشيع لسيبويه أهل البصرة ، وللكسائي أهل الكوفة ، وبسبب ذلك نشأ الخلاف بين النحويين ، وإيجاد المذهبين مذهب البصريين ومذهب الكوفيين ، ثم جاء بعدهما أئمة زادوا في تلك القواعد .

فبنوا عليها قواعدهم واستنتجوها منها حتى يكون النطق مطابقًا لنطقهم والكتابة موافقة لكتاباتهم ، فالقواعد دائرة على لغة العرب وكتابتهم لا العكس .

والحقيقة أن قواعد كتاباتنا وشكل خطوطنا مأخوذة عن العرب الأقدمين ، ومهما تعددت أنواعها وتطورت صورها فالأصل واحد لم يتغير ، ولو أردنا بسط هذا الكلام بحسب فن الخطوط لخرجنا عن الموضوع الذي نحن بصدده ، فتأمل ما ذكرناه لك جيدًا ؛ فإنه مبحث نفيس لا تجده في غير كتابنا هذا ، والله الموفق للصواب .

فهل بعد هذه الأدلة ننسب إلى الصحابة الجهل بقواعد الكتابة والإملاء حاشاهم من ذلك ، وهم أنجم الهدى وأئمة الدين واللغة والكتابة .

ومن اللطائف المناسبة لهذا المقام : ما يروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أنه لقى أعرابيًا فسأله هل تحسن القراءة ؟ قال : نعم ، فقال : اقرأ بأم القرآن ، فقال الأعرابي : والله ما أحسن البنات فكيف الأم ؟ فضربه عمر بالدِّرَّة (بكسر الدال وتشديد الراء هي السوط) وأسلمه إلى الكتَّاب ليتعلم ، فمكث فيه حينًا ثم هرب فلما رجع لأهله أنشدهم :

أتيت مهاجرين فعلموني ثلاثة أسطر متتابعات
كتاب الله في رَقٍّ صحيح وآيات القران مفصَّلات
وخطُّوا لي أبا جادٍ وقالوا تعلَّم سعْفَصًا وقريَّشات
وما أنا والكتابة والتهَجِّى وما خط البنين مع البنات

وفي « عنوان البيان » : « أن أول من جمع الأولاد في المكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأمر عامر بن عبد الله الخزاعي أن يلازمهم للتعليم

وجعل رزقه من بيت المال ، وأمره أن يكتب للبليد في اللوح ، ويلقن الفهيم من غير كتب ، وسألوه تخفيف التعليم فأمر المعلم بالجلوس بعد صلاة الصبح إلى الضحى العالي ومن صلاة الظهر إلى صلاة العصر ويستريحون بقية النهار ، ولما خرج رضي الله عنه إلى الشام عام فتحها ومكث شهرًا ثم رجع إلى المدينة وقد استوحش الناس منه فخرجوا للقائه تلقاه الصغار على مسيرة يوم ، وكان ذلك يوم الخميس ، فباتوا معه ورجع بهم يوم الجمعة فتعبوا في خروجهم ورجوعهم ، فشرع لهم الاستراحة في اليومين المذكورين ، فصار ذلك سنة متبعة ، ودعا بالخير لمن أحيا هذه السنة - انظر الفواكه الدواني على رسالة أبي زيد القيرواني » اهـ من « عنوان البيان » .

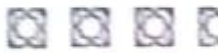

الباب الرابع

[كتابة القرآن الكريم]

وفيه فصلان

[الفصل الأول : فيما لو كتبنا القرآن الكريم بقواعد كتاباتنا

الفصل الثاني : فيما لو اتبعنا رَسْم المصحف العثماني في كتاباتنا]

الفصل الأول

فيما لو كتبنا القرآن الكريم بقواعد كتاباتنا

يقول بعض المتعلمين : لو كان نسخ القرآن وطبعه بقواعد كتابتنا لكان أولى وأحسن من الرسم العثماني - وكما سبق أنه لا يجوز ذلك بإجماع الأئمة والعلماء ، **فإننا نبين في هذا الفصل ما يترتب على قولهم هذا فنقول :**

إننا لو كتبنا القرآن على طريقتنا المألوفة لأدى ذلك إلى ذهاب شيء من وجوه القراءات ؛ إذ من القواعد المقررة عند الأئمة أن الوقف الاختباري على كلمات القرآن يتبع الرسم العثماني ، والوقف الاختبارى بالباء الموحدة كما تقدم : هو اختبار القارئ ليعلم كيف يقف على رَسْم المصحف العثماني من مقطوع وموصول وثابت ومحذوف وتاء تأنيث لم تكتب بهاء .

فمثلًا أن كلمة : ﴿ ٱلضُّعَفَآءِ ﴾ مرسومة في المصحف العثماني بصورتين :

الصورة الأولى :

كما تراها بألف بعد الفاء ، ثم همزة على السطر ، فهذه وما رسم مثلها لا اختلاف بين أئمة القراءات[1] في الوقف عليها بالهمز تبعًا للرسم ، ما عدا

---

(١) أئمة القراءات عشرة وهم : أبو عمرو بن العلاء المتوفى سنة ١٥٤ هجرية ، وعبد الله بن كثير المتوفى سنة ١٢٠ هـ ، ونافع بن نعيم المتوفى سنة ١٦٩ هـ وعبد الله بن عامر المتوفى سنة ١١٨ هـ وعاصم بن بهدلة الأسدي المتوفى سنة ١٢٨ هـ ، وحمزة بن حبيب الزيات العجلي المتوفى سنة ١٥٦ هـ ، وعلي بن حمزة الكسائي إمام النحاة المتوفى سنة ١٨٩ هـ ، وأبو جعفر بن يزيد القعقاع المدني المتوفى سنة ١٣٢ هـ ، ويعقوب بن إسحاق الحضرمي المتوفى سنة ١٨٥ هـ ، وقيل : سنة ٢٠٥ هـ وخلف ابن هشام بن طالب « ولم نقف على تاريخ وفاته » .

حمزة وهشام فيقفان عليها بالألف ولا ينظران إلى الهمز[١] .

الصورة الثانية :

هكذا : ﴿ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُا۟ ﴾ بحذف ألف المدِّ من الفاء المدِّ ووضع الهمزة على واو وألف بعدها ، فهذه وما رسم مثلها بالواو أو ما رسم بالياء نحو : ﴿ أَوَ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ ﴾ يقفون عليها بالهمز ولا ينظرون إلى زيادة الواو أو الياء في الرسم ما عدا حمزة وهشام ؛ فإنهما يقفان على ما رسم بالواو باثني عشر وجهًا خمسة منها على القياس وسبعة على الرسم ، ويقفان على ما رسم بالياء بإبدال الهمز ألفا بخمسة أوجه على الوجه القياسي ، وبأربعة أوجه على الرسمي ، ويعلم كل ذلك من علماء القراءات[٢] .

وأن كلمة : ﴿ ٱلْمَلَأُ ﴾ مرسومة بصورتين :

(الصورة الأولى) :

كما تراها بوضع الهمزة على الألف ، فهذه وما رسم مثلها لا اختلاف بين القراء في الوقف عليها بالهمز تبعًا للرسم ، ما عدا حمزة وهشام فيقفان بإبدال الهمز ألفًا ولهما رَوْم حركة الهمزة فقط .

(والصورة الثانية) :

---

(١) إن قيل : لِمَ لَمْ يقفا على الهمزة اتباعًا للرسم - قالوا : وقفا عليها بحسب ما تلقياه عن مشايخهما ، وهم عن مشايخهم إلى رسول الله ﷺ ، وحمزة هو ابن حبيب الزيات أحد أئمة القراءات ، وهشام هو ابن عمار وهو روى عن ابن عامر أحد الأئمة .

(٢) راجع اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر للدمياطي ص ٢٦٠ ، ٣١٠ ط دار الكتب العلمية ٢٠٠١ م .

هكذا : ﴿ ٱلْمَلَؤُا۟ ﴾ بهمزة على واو وألف بعدها فيقفون عليها بالهمز ولا ينظرون إلى زيادة الواو ، بخلاف حمزة وهشام فإنهما يقفان عليها بالوجهين المتقدمين ولهما الوقف بالواو فيقولون : ﴿ المَلَوْا ﴾ ولهما الرَّوم والإشمام(١) .

وإن كلمة : ﴿ رَحْمَتَ ﴾ المرسومة أحيانًا بالتاء ، وأحيانًا بالهاء ، فبعضهم يقف على التاء بحسب الرسم ، وبعضهم على الهاء بحسب الأصل ، ومثلها كل كلمة تشابهها نحو : ﴿ نِعْمَتَ ﴾ ، ﴿ سُنَّتَ ﴾ ، ﴿ ٱمْرَأَتُ ﴾[أ] .

وأن كلمة : ﴿ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ التي رسمت في البقرة هكذا : ﴿ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ فقد قرأها ابن عامر ﴿ ابراهام ﴾[ب] وقد ورد في غير البقرة قراءة ﴿ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ ﴿ إبراهام ﴾ أيضا وذلك في بعض المواضع التي بينها الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى .

وأن كلمة : ﴿ نُنْجِ ﴾ في آية : ﴿ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يونس مرسومة بحذف الياء من الجيم بالاتفاق ، ولذا وقف كل القراء عليها

---

(١) الروم بفتح الراء هو الإتيان بثلث الحركة ، والإشمام هو ضم الشفتين بعد إسكان الحرف

[أ] الأصل اتباع الرسم لكل القراء ؛ إلا أنه اختلف عنهم في أصل مطرد وكلمات مخصوصة فالأصل المطرد كل هاء تأنيث رسمت تاء نحو ﴿ رَحْمَت ﴾ و ﴿ نِعْمَت ﴾ و ﴿ شَجَرَت ﴾ فوقف عليها بالهاء خلافًا للرسم الكسائي وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب ، قال ابن الجزري .

بالها (ر) جا (حق) وذات بهجة

(شرح طيبة النشر ٣ / ٢٢٣ ، النشر ٢ / ١٢٩ ، إتحاف فضلاء البشر ص ١٥٧) .

[ب] جميع لفظ ﴿ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ قرأه ابن عامر بخلف عن ابن ذكوان في ثلاثة وثلاثين موضعا بالألف مكان الياء ، قال ابن الجزري :

ويقرأ إبراهام ذي مع سورته إلى قوله : ماز الخلف لا

بحذف الياء تبعًا للرسم ، ما عدا يعقوب فإنه يقف بإثباتها للدلالة على الأصل[أ] .

وأن كلمة : ﴿ لَٰكِنَّا ﴾ في آية : ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى ﴾ بالكهف مرسومة بالألف وهي تحذف وصلًا عند جميع القراء بخلاف ابن عامر فإنه يمدها[ب] ، أما في الوقف فإنهم يقفون عليها بالألف بالاتفاق حسب الرسم .

[أ] قرأ يعقوب باب ننجي كيف وقع سواء كان اسما أو فعلا اتصل به ضمير أم بدي بنون أو ياء وهو أحد عشر موضعا منها (فاليوم ننجيك) و (ننجي رسلنا) و (ننجي المؤمنين) في يونس وفي الحجر الآية ٥٩ (إنا لمنجوهم) وفي مريم الآية ٧٢ (وينجي الله) وفي الصف الآية ١٠ (تنجيكم من عذاب) ؛ فقرأها كلها بتخفيف الكل إلا الزمر عن رويس ، ووافقه بعض على بعض ، فقرأ بتخفيف ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم ﴾ نافع ، وابن ذكوان ، والبصريان وابن كثير ، وقرأ بتخفيف مريم يعقوب ، والكسائي ، وبتخفيف الزمر روح ، والحجر وأول العنكبوت يعقوب وحمزة والكسائي وخلف ، وثاني العنكبوت حمزة والكسائي وخلف وشعبة ويعقوب وابن كثير ، وآخر يونس حفص ويعقوب والكسائي ، وثقل الصف ابن عامر ، وخففها الباقون ، وحجتهم قوله ﴿ لَئِنْ أَنجَيْنَا مِنْ هَٰذِهِ ﴾ ولم يقل نجيتا قال ابن الجزري :

وننجي الخف كيف وقعا

(ظ) ل وفي الثاني (ا) تل (مـ) ـن (حق) وفي كاف (ظـ)ـبى (ر) ض تحت صاد (شـ) رف

والحجر أولى العنكبا (طـ)ـلم (شفا) والثان (صحبة) (ظـ)ـهير (د) لفا

ويونس الأخرى (عـ)ـلا (ظـ)ـبى (ر) عا وثقل (صـ)ـف (كـ)ـم

(شرح طيبة النشر ٤ / ٢٥٦ ، النشر ٢ / ٢٥٨ ، المبسوط ص ١٩٥ ، إتحاف فضلاء البشر ص ٢٦٥ ، حجة القراءات – ابن زنجلة ج ١ / ص ٢٥٥) .

[ب] قرأ ابن عامر ، وأبو جعفر ، ورويس – في الوصل – : بإثبات الألف بعد النون ، فمن قرأ بألف في الوصل ، أجرى الوصل مجرى الوقف ، وكأنه جعل ((أنا)) بكماله الاسم ، وهو مذهب الكوفيين من أهل النحو ، وحذفَها الباقون في الوصل ، وكلّهم وقفَ بألف . وقد مضت علة ذلك في سورة البقرة ؛ ونزيد ذلك بيانا في هذا الموضع . وحجة من أثبت الألف في الوصل أنها لغة حكاها الكوفيون ، يجعلون الألف من أصل الاسم المُضمَر ، يقولون ((أنا)) بكماله الاسم ، ويقولون : من حذف الألف في الوصل فإنما حذفها استخفافا ، لدلالة الفتحة عليها ، وقد قيل ، إن من قرأ في الوصل في ((لكنا)) إنما قرأه على أنه جعل ((لكن)) المخففة من الثقيلة ، دخلت على ((أنا)) هو ضمير المخبر عن نفسه ، =

وأن كلمة ﴿ يُخَٰدِعُونَ ﴾ من آية ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ لو رسمت بالألف هكذا « يُخَادِعون » لفاتت قراءة « يَخْدَعُونَ » .

وأن لفظ : ﴿ كَلِمَتُ ﴾ المرسوم بالتاء من آية : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ لو رسمت بالألف على قراءة الجمع هكذا : ﴿ كَلِمَات ﴾ لفاتت قراءة الإفراد ولذلك رسموها بالتاء بدل الهاء .

أما الكلمات التي ترسم أحيانًا متصلة وأحيانًا منفصلة نحو : ﴿ أَن لَّآ ﴾ و ﴿ أَن لَّوْ ﴾ ، و ﴿ بِئْسَمَا ﴾ ، و ﴿ عَمَّا ﴾ ، و ﴿ كَىْ لَا ﴾ - فالوقف على الحرف الأخير بالاتفاق إن كانت متصلة ، وعلى الحرف الأول أو الثاني إن كانت منفصلة أي يكون القارئ مخيرا في[أ] ذلك اهـ . ذكرنا هذه الأوجه من القراءات نقلًا عن الشيخ أحمد التيجي بمدرسة الفلاح بمكة حفظه الله .

والأمثلة المذكورة تكفي اللبيب ، وتغني عن التطويل ، والحافظ للقرآن الكريم بجميع القراءات يعرف ما لا يعرفه غيره في هذا الموضوع ، فإذا فهمت ما شرحناه هنا ظهر لك خطورة نسخ القرآن العظيم بقواعد كتابتنا المألوفة .

نعم إذا كتبنا نحو هذه الكلمات المرسومة في المصحف العثماني هكذا :

= كما تدخل ((إن)) الخفيفة والثقيلة على ((نا)) فتقول : ((إنا وإننا)) ويكون ((هو)) في الآية إضمار الحديث أو الأمر ، ويكون ((ربي)) راجعا على المعنى ، لأن ((نا)) لواحد مخبر عن نفسه ، فرجع ((ربي)) على المعنى ، ولو رجع على اللفظ لقيل : ((ربنا)) قال ابن الجزري :

لكنا فصل (لـ)ـب (غـ)ـص (كـ)ـما

(الكشف عن وجوه القراءات ٢ / ٦٠ ، شرح طيبة النشر ٥ / ٩ ، ٢ / ٣١١ ، التيسير ص ١٤٣ ، السبعة ص ٣٩٠) .

[أ] يراد بذلك الكلمات المقطوعة والموصولة كما ذكر من الأمثلة كبئس ما وبئسما وأن لا وألّا ولا يراد بالتخيير هنا أن القارئ يقف حيثما شاء وإنما هو مقيد برسم صورة الكلمة من حيث القطع والوصل ، المحقق .

﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، ﴿ ٱلرُّءْيَا ﴾ ، ﴿ إِسْمَٰعِيلَ ﴾ ، ﴿ ٱلَّيْلِ ﴾ ، ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ ﴾ ، ﴿ هَٰذَا غُلَٰمٌ ﴾ ، ﴿ لَأَاذْبَحَنَّهُۥٓ ﴾ ، ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ ﴾ ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى ﴾ ، ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا ﴾ بحسب قواعد كتاباتنا هكذا : (رب العالمين ، الرُّؤيا ، إسماعيل ، اللّيل ، ما لِهذا الرسول ، هذا غلام لأَذْبَحَنَّهُ ، ولا تقولنَّ لِشَيءٍ ، أرأيت الذي ، وأنْ لَوِ اسْتقاموا) .

لا بأس به إذ لا يضر هذا التعديل البسيط ولا يحصل به إخلال بحكم من أحكام التلاوة ، لكن لم يجوِّز أحد من الأئمة والعلماء مخالفة الرسم العثماني في نسخ المصحف وطبعه مطلقًا ضرَّ أو لم يضر ، ولم يستثنوا من هذا الحكم شيئًا من الكلمات[1] .

[1] القول لأن هذا على أرجح الأقوال وأقواها من حيث توقيفية الرسم وعدم القول بنسبته إلى اجتهاد أحد من كتاب الصحابة حيث لا يوجد أدنى تصرف منهم في كتابة أي لفظ من عند نفسه ، اتفق .

الفصل الثاني

فيما لو اتبعنا رَسْم المصحف العثماني في كتاباتنا

لا يمكن لنا أن نتبع رَسْم المصحف العثماني في كتاباتنا العامة ؛ لأن مرسومه لا قاعدة له[أ] ، فالصحابة رضي الله عنهم ما مشوا في كتابته على وتيرة واحدة ، فأحيانًا يكتبون الكلمة في موضع بشكل ، وأحيانًا يكتبونها في موضع بشكل آخر ، ولهذا قالوا : « خط المصحف لا يقاس عليه » .

نعم رسموا بعض كلمات في جميع القرآن على صورة واحدة ، وذلك نحو : ﴿ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ ، ﴿ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ ، ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ ، ﴿ سُلْطَٰنٌ ﴾ ، ﴿ ٱلصِّرَٰطَ ﴾ ، ﴿ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، ﴿ أَسَٰطِيرُ ﴾ ، ﴿ هَٰذَا ﴾ ، ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ ، ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ ، ﴿ أُوْلُواْ ﴾ ، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ فإنهم حذفوا ألف المد من هذه الكلمات ، وزادوا واوًا في ﴿ أُوْلُواْ ﴾ و ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ .

ونحن نتبعهم في كتابة الكلمات الخمسة الأخيرة على ما رسموا ، غير أننا نحذف الألف من آخر كلمة ﴿ أُوْلُواْ ﴾ ، وأما في المصحف فبالألف هكذا ﴿ أُوْلُوا ﴾ .

ولنذكر لك طائفة من الكلمات المتماثلة لفظًا المتباينة رسمًا في هذا الجدول الثاني ليتضح لك ما ذكرناه من أن مرسومه لا قاعدة له .

[أ] وهذا يعني أن رسمه في حد ذاته غاية الإعجاز لقوله تعالى ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ﴾ ومع ذلك فقد كانت صورة الكتابة بتوجيه منه ﷺ ، الحق .

الجدول الثاني

وفيه بعض الكلمات المرسومة في المصحف العثماني في موضع بشكل وفي موضع بشكل آخر

١	﴿ الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾	﴿ لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ ﴾
٢	﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ﴾	﴿ قُلۡ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِٱلۡحَقِّ ﴾
٣	﴿ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا ﴾	﴿ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ﴾
٤	﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ ﴾ (١)	﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ﴾ (٢)
٥	﴿ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ﴾ (٣)	﴿ فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّنۡهُ ﴾ (٤)
٦	﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ (٥)	﴿ وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ (٦)
٧	﴿ ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ ﴾ (٧)	﴿ هَٰذَا بَصَآئِرُ لِلنَّاسِ ﴾ (٨)
٨	﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾ (٩)	﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾ (١٠)

(١) بالألف بالحاقة

(٢) بالياء بالنازعات ومثلها ﴿ لِيَطۡغَىٰ ﴾ بالعلق ومثلها ﴿ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ بطه ومثلها ﴿ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴾ بطه أيضا

(٣) بالهاء في البينة

(٤) بالتاء في فاطر

(٥) بالألف بالبقرة

(٦) بدون ألف بالحج

(٧) بالألف بالقصص

(٨) بدون ألف بالجاثية . (٩) بالهاء بالنحل (١٠) بالتاء لإبراهيم

٩	﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ ﴾ (١)	﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ (٢)
١٠	﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ﴾ (٣)	﴿ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ ﴾ (٤)
١١	﴿ وَٱمْتَازُوا ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ (٥)	﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾ (٦)
١٢	﴿ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ﴾ (٧)	﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى ﴾ (٨)
١٣	﴿ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ ﴾ (٩)	﴿ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ﴾ (١٠)
١٤	﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ ﴾ (١١)	﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ (١٢)
١٥	﴿ قَالَ لَهُۥ صَٰحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ ﴾ (١٣)	﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ ﴾ (١٤)
١٦	﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ﴾ (١٥)	﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (١٦)
١٧	﴿ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ ﴾ (١٧)	﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ (١٨)
١٨	﴿ أَبِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ﴾ (١٩)	﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ﴾ (٢٠)
١٩	﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ ﴾ (٢١)	﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾ (٢٢)

(١) بالهاء بالإسراء (٢) بالتاء بفاطر (٣) بالألف بيوسف (٤) بالياء بغافر (٥) بالألف بياسين (٦) بدون ألف بالرحمن (٧) بالألف وبفصل ﴿ ٱبْنَ ﴾ عن ﴿ أَمَّ ﴾ بالأعراف (٨) بدون ألف مع اتصال ﴿ ٱبْنَ ﴾ بـ ﴿ أَمَّ ﴾ بطه (٩) الهمزة على السطر بالحج (١٠) الهمزة على واو بهود (١١) بالألف بالفرقان (١٢) بدون ألف بالملك (١٣) بالألف بالكهف (١٤) بدون ألف بالتوبة (١٥) بألف بـ ﴿ قَٓ ﴾ (١٦) بدون ألف بالشعراء (١٧) منفصلة بالحشر (١٨) متصلة بالحديد (١٩) الهمزة الثانية على نبرة بالواقعة (٢٠) الهمزة الثانية على السطر بـ (ق) (٢١) بإثبات النون بعد الألف ومثلها ﴿ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴾ ومثلها ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ ﴾ كل هذه الآيات في الجن . (٢٢) بحذف النون بعد الألف بالقيامة ، ومثلها ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ ﴾ على الطريقة بالجن .

٢٠	﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (١)	﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (٢)
٢١	﴿ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴾ (٣)	﴿ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ (٤)
٢٢	﴿ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ (٥)	﴿ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ (٦)
٢٣	﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ﴾ (٧)	﴿ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا ﴾ (٨)
٢٤	﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾ (٩)	﴿ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ ﴾ (١٠)
٢٥	﴿ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (١١)	﴿ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (١٢)
٢٦	﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ﴾ (١٣)	﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ ﴾ (١٤)
٢٧	﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾ (١٥)	﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾ (١٦)

(١) بالألف بآل عمران
(٢) بدون ألف بالحج
(٣) بالألف بالإسراء
(٤) بدون ألف بالكهف
(٥) الهمزة على السطر بالرعد
(٦) الهمزة على واو بغافر
(٧) الهمزة الثانية على واو بآل عمران
(٨) الهمزة الثانية على السطر بالقمر
(٩) بالواو بآخر الرعد
(١٠) بحذف الواو بالشورى
(١١) بالهمزة على الألف بالأعراف
(١٢) بحذف ألف الهمزة بيونس
(١٣) بزيادة ألف بين التاء والياء بيوسف
(١٤) بحذف الألف بيوسف
(١٥) بالألف في آخر الحج
(١٦) بحذف الألف في أول البقرة

فعلم مما ذكرناه في هذا الجدول أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم لم يتخذوا طريقة واحدة يسيرون عليها في كتابة المصحف العثماني فكيف يسهل علينا اتباع رسمه في كتاباتنا العامة .

وسنذكر إن شاء الله تعالى في الفصول الآتية كثيرًا من الأمثلة وغرائب الرسم .

بيان ما يسوغ لنا اتباعه من المرسوم وما لا يسوغ

إذا أمعنَّا النظر وقارنَّا بين مرسوم المصحف العثماني وبين طريقة كتابتنا نجد في بعض الحالات لا يسوغ لنا اتباع رسمه لحصول الالتباس وصعوبة القراءة ، وفي بعض الحالات يستحسن لنا اتباعه .

(**فبيان ما لا يسوغ لنا اتباع رسمه**) نحو ما ذكرناه في هذا الجدول الثاني وما ذكرناه في الجدول الأول الواقع في أول الكتاب ، وكذلك حذف ألف المدِّ من الكلمات نحو : ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ ، ﴿ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ﴾ ، ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ ﴾ ، ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ ﴾ ، ﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴾ .

ونحو : ﴿ ٱمْرَأَتُ ﴾ ، و ﴿ قُرَّتُ ﴾ ، و ﴿ رَحْمَتَ ﴾ ، و ﴿ نِعْمَتَ ﴾ ، و ﴿ سُنَّتَ ﴾ ﴿ وَٱلَّيْلِ ﴾ .

وحذف نبرة الهمزة أي سِنَّتها من نحو : ﴿ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ وَ ﴿ خَٰطِـِٔينَ ﴾ و ﴿ مُتَّكِـِٔينَ ﴾ . إلى غير ذلك من الكلمات التي لا يمكن استقصاؤها ولا

تخفى مخالفتها ، ولنضرب مثالاً لذلك بهذه الجُمل الآتية وهي :

(أيها الطلاب النجباء من حفظ العلوم والأدب ، وسبق أقرانه في الطَّلب ، تُعْطى له جائزة من الديوان العالي ، ويوظف حسب درجة معلوماته ، وقوة مَلَكته ، فاجتهدوا رعاكم الله تعالى في طلب العلم وصابروا عليه ، تنالوا سعادة الدارين ، فالعلماء نور البلاد ، والجهلاء شرار العباد ، وأقرنوا العلم بالعمل تكونوا من الفائزين)

فإذا كتبنا هذه الجُمَل بحسب رَسْم المصحف العثماني تكون صورتها هكذا :

(أيَّهَ الطُّلَّبُ النُّجَبؤُا من حفظ العلوم والأدب ، وسبق أقرٰنه في الطلب ، تعطى له جئزة من الديوٰن العلى ، ويوظف حسب درجتِ معلومٰته ، وقُوَّتِ مَلكته ، فاجتهدوا رعٰكم الله تعٰلى في طلب العلم ، وصٰبروا عليه ، تنٰلو سعادت الدٰرين ، فالعلمٰؤا نور البلٰد والجهلاء شرار العبٰد ، وأقرنوا العلم بالعمل تكونوا من الفٰئزين) .

فالفرق بين كتابة الجمَل المذكورة بالرسم العثماني ، وبقواعد كتابتنا عظيم جدًّا كما هو ظاهر ، فالرسم العثماني خاص بكتابة المصاحف فقط .

لا يستسيغه الإنسان في غيرها .

(**أما بيان ما يستحسن لنا اتباعه**) ففي نحو هذه الكلمات :

﴿ ٱشْتَرَىٰهُ ﴾ ، و ﴿ مَثْوَىٰهُ ﴾ ، و ﴿ إِحْدَىٰهُمَا ﴾ ، و ﴿ يَغْشَىٰهَا ﴾ ، و ﴿ وَتَقْوَىٰهَا ﴾ و ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ ﴾ و ﴿ تَرْضَىٰهُ ﴾ و ﴿ نَجَّىٰكُمْ ﴾

فكتابة الرسم العثماني لها أصح من كتابتنا ؛ لأن أصلها يائي ونحن نكتبها بالألف هكذا : (اشتراه ، مثواه ، إحداهما ، يغشاها ، تقواها ، وهل أتاك ، ترضاه ، نجاكم) .

ويستحسن لنا اتباعه أيضًا في الهمزات المرسومة في نحو هذه الكلمات :

﴿وَسْـَٔلْ﴾ و ﴿ ٱلْمُنشَـَٔاتُ ﴾ ، و ﴿ ٱلظَّمْـَٔانُ ﴾ ، و ﴿ قُرْءَانٍ ﴾ ، و ﴿ مَثَابٍ ﴾ و ﴿ وَطْـًٔا ﴾ ، و ﴿ خَطْـًٔا ﴾ ، و ﴿ لِيُطْفِـُٔوا ﴾ ،و ﴿ مَسْـُٔولًا ﴾ ، و ﴿ شُرَكَآءِىَ ﴾ و ﴿ ٱلْمُسِىٓـُٔ ﴾ و ﴿ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ ، و ﴿ يَجْتَرِـُٔونَ ﴾ ، و ﴿ شَنَـَٔانُ ﴾ ، و ﴿ شَيْـًٔا ﴾

وقد نتفق مع مرسوم المصحف في كتابة بعض الكلمات ولكثرة استعمالنا لها لا نشعر بذلك (مثاله) بسم الله الرحمن الرحيم ، ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ ، ﴿ هَٰذَا ﴾ ، ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ ، ﴿ هَٰٓأَنتُمْ ﴾ ، ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ ، ﴿ هَٰهُنَآ ﴾ ، ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ﴾ ، ﴿ أُو۟لَآءِ ﴾ ، ﴿ أُو۟لُوا۟ ﴾[1] ﴿ لَٰكِنِ ﴾ ، ﴿ إِذًا ﴾ ، ﴿ طه ﴾ ، ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ ، ووضع ألف بعد واو الجماعة ، والهمزات بأنواعها (عدا ما نستثنيه هنا) إلى غير ذلك مما لا يخفى .

وكان من حق هذه الكلمات أن تكتب هكذا

(باسم اللّاهِ الرحمان الرحيم ، لَا إلاه إلّا اللّاهُ ، هاذا ، ذالك ، هاأنتم ، هاأُلاءِ ، هاهُنا ، أُلائِكَ ، أُلُو ، أُلاءِ ، لاكن ، إذنْ ، طاها ، اللَّذِينَ[2]) .

---

(١) أي في زيادة الواو التي قبل اللام من أولو ، أما الألف التي بعد الواو الثانية فهي تثبت في الرسم العثماني وتحذف على قاعدتنا - وقد أشار بعضهم إلى زيادة الواو في ﴿ أُو۟لُوا۟ ﴾ ، ﴿ أُو۟لَآءِ ﴾ ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ﴾ بقوله :

تزاد واو وسط الثلاثة ... أولى أولات وأولا الإشـــارة
وآخرا تزاد واو عمـرو ... في حالة الرفع كذا في الجر

(٢) القاعدة كما ذكرها الخضري على ابن عقيل في أول اسم الموصول : أن يكتب الذي وجمعه ، والتي بلام واحدة لكثرة استعمالها ، واللذين واللتين مثنى بلامين على الأصل في كل ما أوله لام حلي بأل ، وللفرق بينه وبين الجمع نصبًا وجرًّا ، وحمل الرفع عليهما .. اهـ من الخضري - أما في رسم القرآن فقد كتب جميع ما ذكر بلام واحدة .

لأنَّ الكتابة تكون على حسب النطق ، فإن كان الحرف ممدودًا تزاد فيه أحد حروف المدِّ التي هي الألف والواو والياء ، بحسب حركة ذلك الحرف من فتح أو ضم أو كسر .

أحوال الهمزة في القرآن

اعلم أن جميع حالات الهمز في المصحف العثماني مضبوط على القواعد المحررة ماعدا شيء يسير وهو في هذه الكلمات الآتية :

﴿ ءَأَمِنتُم ﴾ ﴿ أَءُنزِلَ ﴾ ﴿ ءَالِهَةٌ ﴾ ﴿ أَءِذَا ﴾ ﴿ أَءِنَّا ﴾ ﴿ أَءِنَّكَ ﴾ ﴿ رِءَا ﴾ ﴿ ٱلرُّءْيَا ﴾ ﴿ وَرِءْيًا ﴾ ﴿ أَرَءَيْتَ ﴾[١] ﴿ ٱلْـَٔانَ ﴾ ﴿ ٱلْمَلَؤُا۟ ﴾ ﴿ نَبَؤُا۟ ﴾ ﴿ لَا تَطْمَـُٔوا۟ ﴾ ﴿ ٱلْعَلْمَـُٔوا۟ ﴾ ﴿ ٱلضُّعَفَـُٔوا۟ ﴾ ﴿ نَشَـُٔوا۟ ﴾ ﴿ شُرَكَـُٔوا۟ ﴾ ﴿ شُفَعَـُٔوا۟ ﴾ ﴿ يَنفَيُوا۟ ﴾ ﴿ تَفْتَؤُا۟ ﴾ ﴿ يُنَشَّـُٔوا۟ ﴾ ﴿ أَتُوَكَّؤُا۟ ﴾ ﴿ أَنبَـُٔوا۟ ﴾ ﴿ يَبْدَؤُا۟ ﴾ ﴿ ٱبْتَلَوُا۟ ﴾ ﴿ دَعَوُا۟ ﴾[٢] ﴿ مُسْتَـْٔنِسِينَ ﴾ ﴿ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ ﴾ ﴿ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴾[٣] ﴿ وَلَا تَاْيَـْٔسُوا۟ ﴾[٤] ﴿ يَبْنَؤُمَّ ﴾ ﴿ مُلْكًا ﴾ ﴿ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ ﴾ ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ ﴾ ﴿ يَسْـَٔلُكَ ﴾ ﴿ وَسْـَٔلْ ﴾[٥]

---

(١) كتبت الهمزة في ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ ﴾ على السطر بخلافها في ﴿ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ ﴾ فإنها كتبت على الألف .

(٢) يلاحظ أن الكلمات الستة عشر التي أولها الملؤا وآخرها دعوا زيدت في أواخرها ألف .

(٣) هذا في سورة يونس أما التي بالأعراف فإنها هكذا ﴿ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴾ .

(٤) أي وبزيادة ألف ، وكذلك ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيَـْٔسُ ﴾ بخلاف ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ ﴾ ومثلها ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ﴾ كلاهما بدون ألف وهذه الكلمات كلها في سورة يوسف ، وأما التي بسورة الرعد وهي ﴿ أَفَلَمْ يَاْيَـْٔسِ ﴾ فإنها بالألف .

(٥) الشاهد في الهمزة لا في حذف الألف التي قبل السين .

﴿ يَجۡتَرُونَ ﴾ ﴿ وَمِنۡ ءَانَآيِ ٱلَّيۡلِ ﴾ ﴿ لَتَنُوٓأُ ﴾ .

ثم إن الهمزة قد توضع على نبرة : (أي سِنَّةٍ) وقد لا توضع عليها .

فالحالة الأولى : في نحو هذه الكلمات : ﴿ فِئَةٍ ﴾ ﴿ خَاسِئًا ﴾ ﴿ بِٱلۡخَاطِئَةِ ﴾ ﴿ ٱلسَّيِّئَةِ ﴾ .

والحالة الثانية : في نحو هذه الكلمات : ﴿ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ ﴿ مُتَّكَـًٔا ﴾ ﴿ خَـٰطِـِٔينَ ﴾ ﴿ مُتَّكِـِٔينَ ﴾ ﴿ ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ﴾ ﴿ شَيۡـًٔا ﴾ - على أننا لو تأملنا الكلمتين الأخيرتين ﴿ ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ﴾ و ﴿ شَيۡـًٔا ﴾ ونحوهما من كل همزة وقعت بعد ساكن لوجدنا حذف النبرة منهما أولى وأصح .

(**ومما يناسب هذا المقام**) ذكر سؤال من الأسئلة التي كنا بعثناها لمشيخة المقارئ المصرية مع الإجابة عليه[1] وهو :

« المعروف أن الهمزة اخترعها الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى عام مائة وسبعين ، فلم تكن إذًا موجودة في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فلِمَ لمْ تكتب الهمزات في المصحف الأميري الذي طبعته الحكومة المصرية عام ألف وثلاثمائة واثنين وأربعين هجرية على القواعد الإملائية فمثلًا كلمة ﴿ أَفَرَءَيۡتُم ﴾ كتبت الهمزة الثانية على السطر وكذلك ﴿ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِى ﴾ مع أنهما مفتوحتان وما قبلهما مفتوح أيضًا بخلاف ﴿ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ ﴾ وكلمة ﴿ ءَأَنتُمۡ ﴾ كتبت الهمزة الأولى على السطر فلم تكتب على الألف مثل ﴿ أَيَطۡمَعُ ﴾ ولِمَ لَمْ

---

(١) سبق أن ذكر تاريخ ورود إجابة مشيخة المقارئ المصرية على أسئلتنا وأن جميع الأسئلة والإجابة عليها محفوظة لدينا .

تكتب الهمزة الثانية من ﴿ أَءِنَّا ﴾ على الياء مثل ﴿ أَءِذَا ﴾ وكلتاهما مكسورتان وما قبلهما مفتوح » .

(فأجابنا عليه) شيخ القراء هناك فضيلة الأستاذ الشيخ محمد على الضَّبَّاع إجابة طويلة نختصرها فيما يأتي وهو : أن صورة الهمزة ليست في مصحف عثمان لأنها من علامات الضبط الذي أحدث بعد عهده ، والهمز في القرآن ، إما أن يكون همز قطع أو وصل ، فهمزة الوصل ترسم ألفًا ، ونصَّ أهل الرسم على حذفها في خمسة أحوال :

الأولى : مثل ﴿ وَأْتُوا ﴾ و ﴿ فَأْتُوا ﴾ .

الثانية : مثل ﴿وَسْئَلْ﴾ ﴿ فَسْئَلِ ﴾ .

الثالثة : مثل ﴿ وَلَلدَّارُ ﴾ ﴿ لِلَّذِينَ ﴾ .

الرابعة : مثل ﴿ أَتَّخَذْتُمْ ﴾ ﴿ أَفْتَرَىٰ ﴾

الخامسة : مثل ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ﴾ .

وأما همزة القطع : فالأصل في رسمها أن تكتب ألفًا إذا وقعت أوَّلاً وإلَّا كتبت بصورة الحرف الذي تؤول إليه في التخفيف أو تقرب منه ، فإن كانت تخفف ألفاً أو كالألف فقياسها أن تكتب ألفاً وإن كانت تخفف ياء أو كالياء فقياسها أن تكتب ياء ، وإن كانت تخفف واوا أو كالواو فقياسها أن تكتب واوًا ، وإن كانت تخفف بالحذف بنقل أو غيره فقياسها الحذف .

وتفصيل هذا الأصل : أن همزة القطع على قسمين : ساكنة ، ومتحركة ، والساكنة : تقع وسطًا وطرفًا ، والمتحركة : تقع ابتداء ووسطًا وطرفًا ، هذا هو القياس في العربية وخط المصاحف العثمانية .

وجاءت أحرف في خط المصاحف خارجة عن هذا القياس لمعنى مقصود ووجه مستقيم يعرفه مَن قدَّر للسلف قدرهم .

ومن هذه الأحرف كلمة : ﴿ رَأَيْتَ ﴾ كيف جاءت بعد همزة الاستفهام نحو : ﴿ أَرَءَيْتَ ﴾ ﴿ أَفَرَءَيْتَ ﴾ ﴿ أَرَءَيْتُمْ ﴾ ﴿ أَفَرَءَيْتُمْ ﴾ فإنه رسم في بعض المصاحف بحذف الألف التي بعد الراء ، وقد ضبطت في المصحف الأميري بوضع القطعة (الهمزة) مكانها لتدل عليها ولعلَّها حذفت لاحتمال القراءتين ؛ فإنها قرئت بالهمزة وتركها .

ومنها : ﴿ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ وبابه ؛ فإنه رسم في المصاحف بألف واحدة وهل هي الأولى أو الثانية ، الذي جرى عليه العمل في المصحف الأميري أنها الثانية ولذا وضعت قطعة الضبط وهي : (الهمزة) مكان همزة الاستفهام لتدل عليها .

ومنها : ﴿ أَءِنَّا ﴾ ونحوه من كل ما اجتمع فيه همزتان مفتوحة ومكسورة والأولى للاستفهام ؛ فإنه رُسم في بعض المواضع بحذف صورة الهمزة الثانية وهي الياء ، وقد وضع علماء الضبط القطعة مكانها لتدل عليها .

وقد استوفى علماء القراءة والرسم ما خرج عن الأصل من باب الهمز في كتبهم فارجع إليها إن شئت .. اهـ[1] .

هذا مختصر ما أجابنا به فضيلة شيخ المقارئ المصرية حفظه الله تعالى ولقد فصَّل جميع ما جاء مجملًا عن أحوال الهمز في إجابته ونحن خوفًا من التطويل لخَّصناها فيما ذكر بما لا يخل بالمقصود .

---

[1] انظر في ذلك : نقط المصاحف ١ / ١٠٢ - ١٠٤ .

الباب الخامس

في ذكر شيء من مرسوم القرآن الكريم

وفيه أربعة فصول :

[الفصل الأول : في رَسْم الكلمات الآتية

الفصل الثاني : في رَسْم البسملة ، وهمزة أئذا

الفصل الثالث : في ألف التثنية

الفصل الرابع : في بعض غرائب رَسْم المصحف العثماني]

الفصل الأول

في رَسْم الكلمات الآتية

﴿ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ ﴿ أَيُّهَا ﴾ ﴿ سَعَوْا ﴾ ﴿ عَتَوْا ﴾ لام الجرّ المقطوع عن مجرورها ، إبدال هاء التأنيث تاء - وغيرها

نذكر في كل فصل من فصول هذا الباب شيئًا من الكلمات القرآنية على رَسْم المصحف العثماني معتمدين في النقل على المصحف الأميري الذي طبعته الحكومة المصرية سنة ألف وثلاثمائة واثنين وأربعين هجرية .

فمثلاً - كلمة : ﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ مرسومة في سورة البقرة هكذا : ﴿ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ وفي بقية القرآن هكذا : ﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ أما الألف التي بعد الراء فمحذوفة من الصورتين .

وكلمة : ﴿ أَيُّهَا ﴾ مرسومة في جميع القرآن بالألف بعد الهاء ماعدا ثلاثة مواضع فمرسومة فيها بحذف الألف هكذا : ﴿ أَيُّهَ ﴾ نحو : ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾

وكلمة : ﴿ عَتَوْا ﴾ التي بالأعراف وضعوا فيها ألفًا بعد الواو بخلاف : ﴿ وَعَتَوْ ﴾ التي بالفرقان ؛ فإنهم حذفوها منها .

وكلمة : ﴿ سَعَوْا ﴾ التي بالحج وضعوا فيها ألفًا بعد الواو بخلاف : ﴿ سَعَوْ ﴾ التي بسبأ فإنهم حذفوها منها .

وكلمة : ﴿ مِاْئَةَ ﴾ كتبوها بالألف[1] ولم يكتبوا كلمة : ﴿ فِئَةٍ ﴾

---

(١) وإلى زيادة الألف في مائة أشار بعضهم بقوله :

ووسطا تزاد في لفظ مائة ولو مع الآحاد كالخمسمائة

مثلها مع أنها تشابهها في الحركات ، وأثبتوا الألف بعد واو فعل جَمْع في القرآن كله[١] ماعدا أربع كلمات وهي : ﴿ جَآءُو ﴾ ﴿ فَآءُو ﴾ ﴿ وَبَآءُو ﴾ ﴿ تَبَوَّءُو ﴾ فإنهم حذفوا الألف منها بعد الواو[أ] .

وأبدلوا هاء التأنيث تاء[٢] في ما يأتي من الكلمات وذلك في بعض المواضع التي تعرف من علم التجويد وفن الرسم وهي : ﴿ رَحْمَة ﴾ ﴿ نِعْمَةَ ﴾ ﴿ سُنَّةَ ﴾ ﴿ ٱمْرَأَةُ ﴾ ﴿ كَلِمَةُ ﴾ ﴿ شَجَرَةَ ﴾ ﴿ وَجَنَّةُ ﴾ ﴿ قُرَّةُ ﴾ ﴿ فِطْرَةَ ﴾ ﴿ بَيِّنَةِ ﴾ ﴿ بَيِّنَةِ ﴾ ﴿ بَقِيَّةُ ﴾ ﴿ ٱبْنَةَ ﴾ ﴿ لَعْنَةَ ﴾ ﴿ وَمَعْصِيَةِ ﴾ .

مثال ذلك : ﴿ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ ، و ﴿ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ ﴾ ، ﴿ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ ، ﴿ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ﴾ ، ﴿ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ ، ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴾ ، ﴿ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ ، ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ﴾ ، ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ

---

(١) القاعدة الإملائية : أن تزاد الألف بعد واو فعل جمع نحو : ضربوا ، واضربوا ، ولم يضربوا ، وإلى هذا أشار بعضهم بقوله :

تزاد في واو الضمير كاشعروا بأنهم لم يظلموا إذ قدروا

إلّا جمع اسم كألو الفضل وضاربو زيد ، وفعل مفرد : كيدعو - لكن رسم المصحف لا يتمشى مع القواعد فلم تحذف الألف من : ﴿ نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ ﴾ ، ومن ﴿ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ ﴾ وحذفت من الكلمات الأربع (جاءو . فاءو . باءو . تبوّءو) .

(٢) والقاعدة الإملائية أن كل تاء بعد الفتحة تربط .

[أ] ذكر الإمام الزركشي بعض التعديلات والزيادة في كتابه البرهان في علوم القرآن (١ / ٣٨٣ وما بعدها) وهي من التعليلات الجديرة بالنظر على الرغم من عدم إعطائه دليل على قوله .

ٱلنَّاسَ عَلَيْهَآ ﴾ ، ﴿ فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ﴾ بسورة فاطر ، ﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ ، ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ﴾ ، ﴿ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ ﴾ ، ﴿ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾ .

فهذه الكلمات فيما عدا المواضع التي ذكرت في علم التجويد ترسم بالهاء[1] ولولا خوف التطويل لذكرنا تلك المواضع كلها[أ] .

وإلى ما ذكر أشار العلامة المرحوم الشيخ محمد العاقب بقوله :

فما أتى من صور مزيده ... فيه وحذف أحرفٍ عديده
كالياء إذ زيدت لدى بأيْيدِ ... وحذفت من قوله ذا الأيدِ
والألف المزيد في لفظ مائهْ ... وفي أقاموا دون جاءو وفئه
والألف المرسوم في فعلِ سَعَوا ... في الحج دون غيره وفي عَتَوا
ونعمت إذ رسمت بالتاءِ ... طورا وَطَوْرًا صوِّرت بالهاءِ
والأحرف التي يُهجَّى القارى[2] ... بها هجاء الإلْدة الصغار[3]
فكل ذا لِعلّة مقدَّرة ... وحكمة عن الحِجا مخدَّره
أنفاسه للنفس لا تنسَّمُ ... وسِرّه عن الورى مُطلسَم

(١) وبما أنه ورد في رسم المصحف العثماني إبدال هاء التأنيث تاء أحيانًا كما هو مذكور أعلاه لا نخطئ الأتراك في كتابتهم لبعض الأسماء التي في آخرها هاء بالتاء نحو : نعمت ، عصمت ، شوكت ، جودت ، طلعت ، رأفت ، حكمت ، دولت ، حريت ، عدالت ، سماحت ، نزاهت » . والظاهر أنهم يكتبونها كذلك بحسب نطقهم .

(٢) المراد بالأحرف هنا فواتح بعض السور نحو ﴿ حمٓ ﴾ و ﴿ طسٓمٓ ﴾ و ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ .

(٣) الإلدة بكسر الهمزة وسكون اللام : الصبية

[أ] الإتقان في علوم القرآن (٢ / ٤٤٧) إتحاف فضلاء البشر (١ / ١٩) .

وقد تكلف شيوخ الكتبة فسارَعُوا فيه لنحت الأجوبه
فذكروا من ذاك ما لا يُقنِعُ قلبًا ولا غِل غليل ينقَع[1] .

ومثلًا - قطعوا لام الجر عن مجرورها في أربعة مواضع نحو : ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ ﴾ .

وقطعوا : ﴿ فِى ﴾ عن ﴿ مَآ ﴾ بأحد عشر موضعًا نحو : ﴿ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ ﴾

وقطعوا : ﴿ كُلُّ ﴾ عن ﴿ مَآ ﴾ في خمسة مواضع نحو : ﴿ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً ﴾

وقطعوا : ﴿ مِّن ﴾ عن ﴿ مَآ ﴾ في ثلاثة مواضع نحو : ﴿ فَمِن مَّا مَلَكَتْ ﴾

وقطعوا : ﴿ حَيْثُ ﴾ عن ﴿ مَآ ﴾ في موضعين نحو : ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ .

وقطعوا : ﴿ أَن ﴾ المخففه المفتوحة عن ﴿ لَا ﴾ في عشرة مواضع نحو : ﴿ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا ﴾ .

ووصلوا : ﴿ بِئْسَ ﴾ بـ ﴿ مَآ ﴾ في ثلاثة مواضع نحو : ﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ﴾

ووصلوا : ﴿ أَيْنَ ﴾ بـ ﴿ مَآ ﴾ في خمسة مواضع نحو : ﴿ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ ﴾

ووصلوا : ﴿ كَىْ ﴾ بـ ﴿ لَا ﴾ في أربعة مواضع نحو : ﴿ لِّكَيْلَا

---

(١) أي لاغل عطش عطشان .

تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾

إلى غير ذلك مما لو أحصيناه لطال بنا الشرح ، ولهذا لم نذكر بيان كلّ المواضع في جميع ما تقدم ويعلم تفصيلها من كتب التجويد .

ولقد ذكر نوعي الفصل والوصل العلامة الشيخ محمد العاقب الشنقيطي رحمه الله تعالى في نظمه كشف العمى بقوله :

فصل وفي ما الفصل إحدى عشره ... من بعد لا جناح أخرى البقره
والشعرا والروم فيهما استقر ... واثنان مع يبلوكم مثل الزمر
وبعدهم في الأنبيا ونقلا ... قبل أفضتم وأوحى ولا
وباتصال الخط بيسما خلا ... ما فاء أو لام عليه دخلا
وقطع مما قد أتى يقينا ... من ما رزقنا في المنافقينا
وقبلها حرفان باستواء ... مع ملكت في الروم والنساء
وكلما بالاتصال يدرى ... إلا سألتم وردوا تترا
وقطعت أم من يكون في النسا ... وقبل يأتي وخلقنا أسا
وأينما بالوصل عنهم يؤخذ ... مع ثم يدرككم بوجه أخذوا
وسورة الأحزاب كي لا الأول ... فيها وفي نحل وحشر يفتعل
وحكم لام الجر أن ينفصلا ... في مال هذا والذين هؤلاء
وأخرجت مخرج مال الله ... مع انعدام الشبه والتناهي
فصل وحيث ما بفصل قد فشا ... عن ما نهوا عن من تولى وبشا
ولات حين ثم هم ويوم هم ... في غافر والذاريات وابن أم
فصل ووصل أيما قد التزم ... كويكأنّ فيم ممنّ عمّ مم

مـــهـــمـــا وإلَّا ربَّمـــا وأمـــا كـــأنمـــا هـــلـــمَّ مـــع نـــعـــمَّـــا

هـــذا وغـــيـــر ذا مـــن الـــبـــديـــهـــي وذكـــره يـــقـــدح في الـــنـــبـــيـــه

فاقطع إذا صح وصل إن لم يصح والـــفـــرق بـــين ذا وذاك يـــتـــضـــح

الفصل الثاني

في رَسْم البسملة ، وهمزة نحو ائذا ، وتبارك ، وألف المدّ وألف التثنية ، وما كتب بلام أو لامين وغيرها

حذفوا من : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ثلاث ألفات ، الأولى من ﴿ بِسْمِ ﴾ ، والثانية من ﴿ ٱللَّهِ ﴾ ، والثالثة من ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ - والعلماء لم يبحثوا عن حذف الألف من الاسمين الشريفين ؛ بل ذكروا تعليلات متنوعة عن حذفها من ﴿ بِسْمِ ﴾ فقط ، على أنه مهما ذكروا من التعليلات لحذفها منه فما هو إلّا من قبيل الاستئناس والتمليح لاغير ؛ لأن الحقيقة التي لا تنكر أن كتابة البسملة بهيئتها المعروفة لدينا هي من رَسْم المصحف العثماني من ابتداء الأمر قبل النظر في العلل والأسباب[1] .

ثم لا ندري لِمَ حذفت ألف ﴿ بِسْمِ ﴾ من البسملة فقط ولم تحذف من : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾ ، ومن : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ﴾ ومن : ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ

---

(١) جاء في أول تفسير القرطبي روى الشعبي والأعمش أن رسول الله ﷺ كان يكتب (باسمك اللهم) حتى أمر أن يكتب ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ﴾ فكتبها فلما نزلت ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ﴾ كتب ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ فلما نزلت ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ كتبها . وفي مصنف أبي داود قال الشعبي وأبو مالك وقتادة وثابت بن عمارة : أن النبي ﷺ لم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم حتى نزلت سورة النمل .. اهـ من التفسير المذكور ومعنى كتابة رسول الله ﷺ البسملة أنه أمر بكتابتها ، وهذا من قبيل بنى الأمير المدينة ،فالنبي عليه الصلاة والسلام أمي لا يقرأ ولا يكتب .

رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ مع العلم بأنه كان من حق البسملة أن تكتب على حسب النطق هكذا : (باسم اللاّه الرحمان الرحيم)[أ] .

ويرى بعضهم بمناسبة حذف الألف من ﴿ بِسْمِ ﴾ تطويل الباء منها بمقدار نصف الألف ليدل عليها ، ولأنه أول حرف يكتب من القرآن فتطويله من قبل التعظيم ، وإلى هذا أشار الشيخ محمد العاقب رحمه الله تعالى بقوله :

يطوَّل الباء ويحذف الألفْ من لفظ بسم الله كيفما أُلف
وحدُّ طوله بلا ازدياد مقدار نصف ألف المعتادِ
وهل للاشعار بما قد سلبَا أو ليُرى أول حرف كُتِبا
مُقابلاً بالرفع والتحسينِ قولان في تفسير فخر الدينِ

(**ونحن نقول**) إن تطويل الباء وكتابة الحروف راجع لقواعد تحسين الخط التي وضعها الخطاطون لإظهار جمال الحروف ، ففي بعض أنواع الخطوط

[أ] علق الزركشي في البرهان في علوم القرآن (١ / ٣٩٠) على حذف الألف من البسملة فقال : ومن ذلك حذف الألف في ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ﴾ تنبيها على علوه في أول رتبة الأسماء وانفراده وأن عنه انقضت الأسماء فهو بكليها يدل عليه إضافته إلى اسم الله الذي هو جامع الأسماء كلها أولها ولهذا لم يتسم به غير الله بخلاف غيره من أسمائه فلهذا ظهرت الألف معها تنبيها على ظهور التسمية في الوجود وحذفت الألف التي قبلها الهاء من اسم الله وأظهرت التي مع اللام من أوله دلالة على أنه الظاهر من جهة التعريف والبيان الباطن من جهة الإدراك والعيان ، وكذلك حذفت الألف قبل النون من اسمه الرحمن حيث وقع بيانا لأنا نعلم حقائق تفصيل رحمته في الوجود فلا يفرق في علمنا بين الوصف والصفة وإنما الفرقان في التسمية والاسم لا في معاني الأسماء المدلول عليها بالتسمية بل نؤمن بها إيمانا مفوضا في علم حقيقته إليه قلت وعلماء الظاهر يقولون للاختصار وكثرة الاستعمال وهو من خصائص الجلالة الشريفة فإن همزة الوصل الناقصة من اللفظ في الدرج تثبت خطا إلا في البسملة وفي قوله في هود بسم الله مجراها ولا تحذف إلا بشرطين : أن تضاف إلى الله ولهذا أثبت في ﴿ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾ وأن تكون قبله الباء ولم يشترط الكسائي الثاني فجوز حذفها كما تحذف في بسم الملك والجمهور على الأول .

يستحسن تطويل الباء الواقعة أول الكلمة كما في الخط الكوفي وخط الثلث والنسخ ، وفي بعضها يستحسن تقصيرها كما في الخط الفارسي وخط الرقعة .

ومن اللطائف المناسبة قول أبي سعيد الرستمي :

من الناس من يعطى المزيد على الغنى ويحرم ما دون الرضا شاعر مثلى
كما ألحقت واو بعمرو زيادة وضويق بسم الله في ألف الوصل

وحذفوا الألف من : (وَاسْئَل) أينما وقعت في القرآن فيكتبونها هكذا : ﴿وَسْئَلْ﴾ ﴿ فَسْئَلِ ﴾ ولم يحذفوها من نحو ﴿ وَٱسْتَغْفِرْهُ ﴾ ﴿ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴾ ﴿ وَٱسْتَغْشَوْا ﴾ .

وحذفوا إحدى اللامين من هذه الكلمات: ﴿ ٱلَّيْلِ ﴾ ﴿ وَٱلَّذِى ﴾ ﴿ وَٱلَّذَانِ ﴾ ﴿ وَٱلَّذِينَ ﴾ ﴿ وَٱلَّتِى ﴾ ﴿ وَٱلَّتِى ﴾ وكان من حقها كتابتها بلامين بحسب النطق ، ولم يحذفوها من هذه الكلمات : ﴿ ٱللَّطِيفُ ﴾ ﴿ ٱللُّؤْلُؤُ ﴾ ﴿ ٱللَّهْوِ ﴾ ﴿ ٱللَّٰعِبِينَ ﴾ ﴿ ٱللَّغْوَ ﴾ ﴿ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ ﴿ ٱللَّٰتَ ﴾ ﴿ ٱللَّعْنَةُ ﴾ ﴿ ٱللَّهَبِ ﴾ .

وحذفوا ألف المدِّ الواقعة بعد الواو من نحو هذه الكلمات : ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ ﴾ ﴿ وَٰحِدَةً ﴾ ﴿ إِخْوَٰنِكُمْ ﴾ ﴿ أَخْوَٰلِكُمْ ﴾ ﴿ أَزْوَٰجِهِۦ ﴾ ﴿ لَوَٰقِعٌ ﴾ ﴿ وَأَلْوَٰنِكُمْ ﴾ ﴿ أَبْوَٰبًا ﴾ ﴿ أَمْوَٰلَكُم ﴾ ﴿ ٱلصَّوَٰعِقِ ﴾ ﴿ رَوَٰسِىَ ﴾ ﴿ بِأَكْوَابٍ ﴾ ﴿ بِأَفْوَٰهِهِم ﴾ ﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾

ولم يحذفوها بعد الواو من نحو هذه الكلمات : ﴿ ٱلْوَاقِعَةُ ﴾ ﴿ تَوَارَتْ ﴾ ﴿ ٱلْجَوَارِ ﴾ ﴿ ٱلْكَوَافِرِ ﴾ ﴿ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ﴾ ﴿ ٱلْكَوَاكِبُ ﴾ ﴿ وَأَكْوَابٌ ﴾ ﴿ ٱلْحَوَارِيُّونَ ﴾ ﴿ أَوَّابُ ﴾ ﴿ لَوَّامَةٌ ﴾ ﴿ خُوَّارٌ ﴾ ﴿ ٱلثَّوَابُ ﴾ .

وأثبتوا ألف المدِّ في كلمة : ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾ بأول الأنبياء وحذفوها من هذه الكلمات : ﴿ لَٰبِثِينَ ﴾ ، ﴿ لَٰغِيَةً ﴾ ، ﴿ لَٰقِيهِ ﴾ ، ﴿ لَٰعِبِينَ ﴾ .

وحذفوا ألف المدِّ أيضًا من نحو : ﴿ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ ﴾[١] ، ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ﴾[٢] ، ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ ﴾[٣] . ولم يحذفوها من نحو : ﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[٤] ، ﴿ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴾[٥] ، ﴿ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ ﴾[٦] .

وأثبتوا ألف المدِّ غالبًا إذا وقعت بعدها همزة نحو : ﴿ حَدَآئِقَ ﴾ ﴿ ٱلْأَرَآئِكِ ﴾ ﴿ ٱلْخَآئِضِينَ ﴾ ﴿ خَآئِفًا ﴾ ﴿ طَآئِفَةٌ ﴾ ﴿ وَٱبْتِغَآؤُكُم ﴾ ﴿ هَٰذَا بَصَآئِرُ ﴾[٧] ولم يثبتوها في نحو : ﴿ سَيِّـَٔاتِ ﴾ ، ﴿ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ ﴾ ﴿ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ ﴿ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾

وكتبوا الهمزة الثانية من : ﴿ أئذا ﴾ و ﴿ أئنا ﴾ على السطر أحياناً وعلى النبرة أحياناً أخرى نحو ﴿ أَءِذَا مِتْنَا ﴾ ، ﴿ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا ﴾ ، ﴿ أَءِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴾ ، ﴿ أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ وكتبوا : ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ﴾ ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ بألف بعد الهمزة التي على السطر بخلاف : ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾ ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ﴾ فإنه بياء بعد الهمزة التي رسمت فوق الألف .

وكتبوا بالواو هذا الثمانية الكلمات: ﴿ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ﴿ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ ﴿ ٱلْحَيَوٰةِ ﴾[٨]

(١) بسورة يوسف .
(٢) بالحشر .
(٣) بالشورى .
(٤) بالبينة .
(٥) بالإسراء .
(٦) بسبأ .
(٧) كتبت ﴿ بَصَآئِرُ ﴾ بالألف في سورة القصص والإسراء والأعراف ، وأما التي بالجاثية فقد كتبت بغير ألف هكذا ﴿ بَصَٰٓئِرُ ﴾ .
(٨) تكتب الثلاث الكلمات الأولى بالواو إذا لم تضف إلى ضمير ، فإن أضيفت كتبت بالألف نحو ﴿ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا ﴾ ﴿ فِى صَلَاتِهِمْ ﴾ وكذلك : ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا ﴾ =

﴿ ٱلرِّبَوٰا ﴾ ﴿ ٱلنَّجَوٰةِ ﴾ ﴿ بِٱلْغَدَوٰةِ ﴾ ﴿ كَمِشْكَوٰةٍ ﴾ ﴿ وَمَنَوٰةَ ﴾ .

وقد جمعها المرحوم الشيخ محمد العاقب في قوله :

وفي الصلاة والحياة فاكتبا واوا بغير مضمر مثل الرِّبا
مشكاة الزكاة والنجاة مع مَناة والغداة كيفما وَقع[1]

وكتبوا : قوله تعالى : ﴿ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ وقوله ﴿ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾ بالألف وكان الأولى كتابتهما بالنون لأنهما فعلان اتصلت بهما نون التوكيد الخفيفة .

وكتبوا ﴿ إِذًا ﴾ بالألف نحو : ﴿ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾ أما كتابتها في غير المصحف ، فقد اختلفوا ، فمنهم من يكتبها بالنون ، ومنهم من يكتبها بالألف ، وانظر تفصيل ذلك في حاشية الخضرى على ابن عقيل عند قول الناظم (ونصبوا بإذاً المستقبلا) . وإلى ما ذكر أشار بعضهم بقوله :

نونُ إذًا ونونُ توكيد تَخِف نحو إذًا لَنسفعًا فبالألف
كذلك التنوين في اسم نُصِبَا مثاله أهلًا وسهلاً مَرحَبا

ما لم يكن ... إلخ .

ووضعوا ألفا بعد دال ثمود إذا وقعت في محل نصب فقط نحو : ﴿ إِنَّ ثَمُودَا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ﴾ ﴿ وَثَمُودَا فَمَآ أَبْقَىٰ ﴾ ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا ﴾

وحذفوا الألف من : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ﴾ ومن : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ ومن : ﴿ مَآءً مُّبَٰرَكًا ﴾ ومن : ﴿ شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾

وأثبتوها في : ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ وفي : ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ

= ماعدا ﴿ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ ﴾ و ﴿ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ .

(١) كان الأولى كتابة الكلمات في البيتين بالواو لكن عدلنا عن ذلك لتسهل قراءتها .

أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ وفي : ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ ﴾ وفي : ﴿ مُنزَلًا مُّبَارَكًا ﴾

وحذفوا الألف من : ﴿ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ ﴾ في الأحقاف وفي : ﴿ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ ﴾ في الصافات وفي الزخرف وفي الحديد .

وأثبتوها في : ﴿ عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا ﴾ بالكهف وفي : ﴿ وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ في آيتين بسورة غافر .

وحذفوا الألف من نحو : ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ﴾ ومن : ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ بالفرقان ، ومن : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ﴾

وأثبتوها في : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ وفي : ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ وفي : ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ بالإسراء .

وحذفوا الألف من لفظة (كتاب) في جميع القرآن ماعدا هذه الآيات ؛ فإنهم كتبوها بالألف ، وهي : ﴿ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ﴾ ، ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ ، ﴿ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾ ، ﴿ طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ .

وأثبتوا الألف في : لفظة (قال) في جميع القرآن ماعدا هذه الآيات ؛ فإنهم كتبوها بغير ألف ، وهي : ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ﴾ ، ﴿ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ، ﴿ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ، ﴿ قَٰلَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ ﴾ ، ﴿ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم ﴾[أ] .

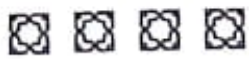

[أ] حاول الإمام الزركشي تعليل مواضع الحذف في القرآن الكريم ، فتناول ذلك بكلام جدير بالدراسة لمعرفة صحته من عدمها ، وللاستزاده يمكن الرجوع إلى ما كتبه في كتاب البرهان في علوم القرآن (١ / ٣٨٨ - ٣٩٧) .

الفصل الثالث

في ألف التثنية ، ورسم صيغ المبالغة ، وصيغ المفرد والجمع ورسم ﴿ صَاحِبُكُمْ ﴾ وأسماء بعض الأنبياء ، وألف المدّ

لا يحذفون ألف التثنية غالبا نحو : ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ ﴾ ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ﴾ ﴿ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ ﴿ جَنَّتَانِ ﴾ ﴿ يَخْصِفَانِ ﴾

وقد يحذفونها نادرًا نحو : ﴿ إِنْ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَانِ ﴾

ولا يحذفون غالبًا ألف المد في صِيَغ المبالغة نحو : ﴿ تَوَّابًا ﴾ ﴿ أَوَّابٌ ﴾ ﴿ وَهَّاجًا ﴾ ، ﴿ ثَجَّاجًا ﴾ ، ﴿ دَيَّارًا ﴾ ، ﴿ كُبَّارًا ﴾ ، ﴿ ٱلْوَهَّابُ ﴾ ، ﴿ ٱلْكُفَّارَ ﴾ ، ﴿ حَمَّالَةَ ﴾ ، ﴿ شَآقُّواْ ٱللَّهَ ﴾ ، ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ التي بآل عمران فقط .

وقد يحذفونها منها نادرًا نحو : ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ التي بالحج والتي بـ « قّ » ﴿ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ ، ﴿ تُشَٰقُّونَ فِيهِمْ ﴾ ، ﴿ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ﴾ ، ﴿ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ إلى ﴿ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ ﴾ .

ولا يحذفون ألف المد في صِيَغ المفرد غالبًا نحو : ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ ﴾ ، ﴿ لَقَٰدِرٌ ﴾ ، ﴿ نَاصِرٍ ﴾ ، ﴿ سَٰجِدًا ﴾ ، ﴿ كَٰذِبَةٌ ﴾ ، ﴿ فَٰعِلٌ ﴾ ، ﴿ فَٰسِقٌ ﴾ ، ﴿ قَٰنِتًا ﴾ ، ﴿ كَٰشِفَةٌ ﴾ ، ﴿ صَٰبِرًا ﴾ ، ﴿ وَكَانَ ٱلْكَٰفِرُ ﴾ ، ﴿ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ ، ﴿ كَانَتْ ظَٰلِمَةً ﴾ ، ﴿ وَعِمَارَةَ ﴾ ، ﴿ سِقَايَةَ ﴾ .

وقد يحذفونها منها نادرًا نحو : ﴿ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ﴾ ، ﴿ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ﴾ ﴿ إِنِّى عَٰمِلٌ فَسَوْفَ ﴾ ، ﴿ عَٰقِبَةُ ﴾ ، ﴿ مِيقَٰتُ ﴾ ، ﴿ فَمَا مَتَٰعُ ﴾

أما حذف ألف المد في صيغ الجمع فمطرد نحو : ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ،

﴿ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ﴿ شَٰكِرُونَ ﴾ ، ﴿ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ ، ﴿ خَٰمِدُونَ ﴾ ، ﴿ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ ﴿ ٱلرَّٰسِخُونَ ﴾ ، ﴿ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ ، ﴿ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ .

وأثبتوا الألف في : ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾ ، ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ ﴾ ، ﴿ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ﴾ ، ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ ، ﴿ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ ﴾ ، ﴿ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ ﴾ .

وحذفوها من : ﴿ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ ﴾ ، ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ ﴾ ، ﴿ مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً ﴾ ، ﴿ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴾ .

وحذفوها من بعض الأسماء نحو : ﴿ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ ، ﴿ إِسْمَٰعِيلَ ﴾ ، ﴿ إِسْحَٰقَ ﴾ ، ﴿ سُلَيْمَٰنَ ﴾ ، ﴿ هَٰرُونَ ﴾ ﴿ صَٰلِحٍ ﴾.

أما حذف ألف المد وإثباتها في غير ما ذكرناه فهو كثير في القرآن الكريم

فمثال الحذف : ﴿ هَٰذَا غُلَٰمٌ ﴾ ، ﴿ بُهْتَٰنٌ ﴾ ، ﴿ بِضَٰعَةً ﴾ ، ﴿ خَٰشِعَةً ﴾ ، ﴿ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ ﴾ ، ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ ﴾ ، ﴿ حَٰفِظُونَ ﴾ ، ﴿ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ ، ﴿ سُلْطَٰنٍ ﴾ ، ﴿ شَيْطَٰنِ ﴾ .

ومثال الإثبات : ﴿ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ ، ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ﴾ ، ﴿ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ ، ﴿ عِجَافٌ ﴾ ﴿ مِنْ أَسَاوِرَ ﴾ ، ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ ﴾ ، ﴿ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦٓ ﴾ ، ﴿ ٱلْمِحْرَابَ ﴾ ﴿ مِنْ عَاصِمٍ ﴾ ، ﴿ بِحُسْبَانٍ ﴾ .

* ويقول الحسن بن أحمد الهمداني صاحب « كتاب الإكليل » [1] :

---

(١) هو أوسع كتاب في الحروف الحميرية ويقع في عشرة أجزاء ولا يوجد منها سوى جزءين في المكتبة الملوكية ببرلين ، ويقال : إنه موجود بكامل أجزائه في مكتبة جلالة الإمام =

إن قاعدة الكتابة الحِميرية إذا وقعت الألف في وسط الكلمة حذفت نحو : (همدان ورِيام) فإنهم يكتبونهما هكذا : (همدٰن ورٰيم) وكانوا يثبتون واو (عليهمُو) كما يثبتون ضمة آخر الحرف .. اهـ .

غير أن رَسْم المصحف لا يتبع قاعدة خاصة ولا يتمشَّى على طريقة واحدة كما رأيت[أ] .

= يحيى ملك اليمن الحالي .

والحسن بن أحمد الهمداني المذكور هو من أهل القرن الرابع للهجرة ؛ فإنه توفي سنة ٣٦٤ هجرية تقريبًا وهو الذي ألَّف أيضًا كتاب صفة جزيرة العرب .

[أ]انظر مواضع الحذف والزيادة بالتفصيل عند السيوطي في الإتقان (٢ / ٤٤٤ - ٤٥٠) .

الفصل الرابع

في بعض غرائب رَسْم المصحف العثماني

لقد ذكرنا في الفصول المتقدمة كثيرًا من الكلمات المتنوعة ، ونذكر في هذا الفصل جملة من الكلمات التي تعدُّ غريبًا في بابها وطريفًا في كتابتها فمن ذلك :

أنهم رسموا كلمة : ﴿ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ ﴾ بزيادة ألف بعد ألفها الأصلية .

ورسموا كلمة : ﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ ﴾ وكلمة : ﴿ أَفَـإِيْن مِّتَّ ﴾ بزيادة ياء قبل النون في الكلمتين .

ورسموا كلمة : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ ﴾ وكلمة : ﴿ بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴾ بياءين في الكلمتين .

ورسموا كلمة : ﴿ سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ بزيادة واو بعد الألف بخلاف ما يماثلها نحو : ﴿ مَآ أُرِيكُمْ ﴾ بسورة غافر[أ] .

ورسموا كلمة : ﴿ يَبْنَؤُمَّ ﴾ متصلة ببعضها بسورة طه بخلاف ما يماثلها في الأعراف فإنها هكذا : ﴿ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ ﴾ .

ورسموا كلمة : ﴿ وَجِأْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ﴾ بالفجر ، وكلمة : ﴿ وَجِأْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ بالزمر بزيادة ألف بعد الجيم فيهما بخلاف ما يماثلها نحو : ﴿ سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾ في سورة هود ، وفي سورة العنكبوت أيضًا[ب] .

[أ] الإتقان في علوم القرآن (٢ / ٤٤٧) .

[ب] قال السيوطي في الإتقان في علوم القرآن (٢ / ٤٤٨) قال المراكشي : وإنما زيدت هذه الأحرف في هذه الكلمات نحو ﴿ وَجِأْىٓءَ ﴾ و ﴿ نَبِّـَٔانِىٓ ﴾ ونحوهما للتهويل والتفخيم والتهديد والوعيد =

ورسموا كلمة : ﴿ وَلَا نَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ ﴾ بالكهف بزيادة ألف بعد الشين .

ورسموا كلمة : ﴿ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ﴾ بالشعراء بحذف الألف بخلاف ما يماثلها بسورة قَ فإنها هكذا : ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ ﴾ .

ورسموا كلمة : ﴿ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ﴾ بفاطر بوضع الهمزة على الواو وألف بعدها .

ورسموا مثلها كلمة : ﴿ وَمَا دُعَـٰٓؤُا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ التي بغافر ، وأما التي بالرعد فإنها هكذا : ﴿ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ .

ورسموا كلمة : ﴿ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟ ﴾ بسورة هود بوضع الهمزة على واو فألف بعدها بخلاف ما يماثلها بالحج ، فإنها هكذا : ﴿ مَا نَشَآءُ ﴾ .

ورسموا كلمة : ﴿ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُا۟ ﴾ بوضع الهمزة على واو فألف بعدها وذلك بسورة غافر فقط ، بخلافها في غيرها فإنها كتبت هكذا : ﴿ ٱلضُّعَفَآءِ ﴾ .

ورسموا كلمة : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ ﴾ وكلمة ﴿ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴾ بوضع الهمزة على الواو فألف بعدها في الكلمتين .

ورسموا كلمة : ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ ﴾ بزيادة ياء قبل الهاء .

ورسموا كلمة : ﴿ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ بالكهف بحذف الألف ، بخلاف ما يماثلها نحو : ﴿ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴾ بالإسراء ، فإنه بإثبات الألف .

ورسموا كلمة : ﴿ مِاْئَةَ ﴾ بالألف بخلاف : ﴿ فِئَةٍ ﴾ فإنها بحذفها .

= كما زيدت في ﴿ بِأَيْيْدٍ ﴾ تعظيما لقوة الله تعالى التي بنى بها السماء التي لا تشابهها قوة ، وقال الكرماني في العجائب : كانت صورة الفتحة في الخطوط قبل الخط العربي ألفا وصورة الضمة واوا وصورة الكسرة ياء فكتبت ﴿ لأوضعوا ﴾ ونحوه بالألف مكان الفتحة و ﴿ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ بالياء مكان الكسرة و ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ﴾ ونحوه بالواو مكان الضمة لقرب عهدهم بالخط الأول

ورسموا كلمة : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ بإثبات الألف بخلاف ما يماثلها نحو : ﴿ وَإِيَّىَ فَاتَّقُونِ ﴾ فإنه بحذف الألف .

ورسموا هذه الكلمات فقط : ﴿ جَآءُو ﴾ ، ﴿ فَآءُو ﴾ ، ﴿ وَبَآءُو ﴾ ﴿ تَبَوَّءُو ﴾ في القرآن كله بحذف الألف من واو فعل جمع .

ورسموا كلمة : ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾ وكلمة ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُمْ مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ ﴾ بدون ألف بعد العين فيهما بخلاف : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ بالبقرة فإنها بالألف .

ورسموا كلمة : ﴿ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ ﴾ بحذف الألف بعد الباء .

ورسموا كلمة : ﴿ هَـٰذَا بَصَـٰٓئِرُ لِلنَّاسِ ﴾ التي بالجاثية فقط بدون ألف بعد الصاد بخلاف التي بالأعراف وبالإسراء وبالقصص فإنها بالألف .

ورسموا كلمة : ﴿ رَّاضِيَةٍ ﴾ التي بالقارعة فقط بدون ألف بخلاف التي بالحاقَّة وبالغاشية وبالفجر فإنها بالألف .

ورسموا كلمة : ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى ﴾ بالألف في هذه الآية فقط ، وفي جميع القرآن بدون ألف هكذا : ﴿ سُبْحَنَ ﴾ .

ورسموا كلمة : ﴿ عِبَادِنَا ﴾ التي بصيغة الجمع بغير ألف في سورة ص فقط في آية : ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ وفيما عدا هذه الآية رسموها بالألف في جميع القرآن .

ورسموا كلمة : ﴿ ءَايَاتُنَا ﴾ التي بيونس فقط بألف بعد الياء ، وفي جميع القرآن بغير ألف هكذا : ﴿ ءَايَتِنَا ﴾

ورسموا كلمة : ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ التي في أول الزخرف فقط بدون ألف

بعد الهمزة ، وفي جميع القرآن بالألف هكذا : ﴿ قُرْءَانٍ ﴾

ورسموا كلمة : ﴿ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ التي بأواخر البقرة فقط بالألف ، وفي جميع القرآن بغير ألف هكذا : ﴿ وَأَعْنَٰبٍ ﴾

ورسموا هاء التأنيث تاء أحيانًا في نحو : ﴿ نِعْمَةَ ﴾ ﴿ رَحْمَةَ ﴾ ﴿ سُنَّةُ ﴾ ﴿ شَجَرَةِ ﴾ فيكتبونها أحيانا هكذا : ﴿ نِعْمَتَ ﴾ ﴿ رَحْمَتَ ﴾ ﴿ سُنَّتَ ﴾ ﴿ شَجَرَتَ ﴾ وقد سبق بيان ما يماثلها .

ورسموا كلمة : ﴿ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ﴾ التي بالشورى فقط بالألف بعد النون ، وفي جميع القرآن بدون ألف هكذا : ﴿ جَنَّتٍ ﴾ .

ورسموا كلمة : ﴿ سَمَوَاتٍ ﴾ التي بأول فصِّلت فقط بالألف بعد الواو وفي جميع القرآن بدون ألف هكذا : ﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ أما حذف الألف بعد ميمها فمطرد في القرآن كله .

ورسموا كلمة : ﴿ سَعَوْا ﴾ التي بالحج بالألف ، وأما التي بسبأ فإنها بحذف الألف التي بعد الواو .

ورسموا كلمة : ﴿ وَعَتَوْ ﴾ التي بالفرقان بدون ألف بعد الواو ، أما التي بالأعراف فإنها بالألف .

ورسموا كلمة : ﴿ سِرَاجًا ﴾ بالألف بعد الراء في جميع القرآن ما عدا التي بالفرقان فإنها بدون ألف .

ورسموا كلمة : ﴿ فَأَحْيَٰكُمْ ﴾ التي بأول البقرة بدون ألف بعد الياء ، وأما التي بآخر الحج فإنها بالألف هكذا : ﴿ أَحْيَاكُمْ ﴾ .

ورسموا كلمة : ﴿ مِن نَّبَإِىٓ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ التي بالأنعام بالهمزة تحت الياء

بخلاف غيرها نحو : ﴿ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ ﴾ بدون ياء .

ورسموا كلمة : ﴿ أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾ التي بالشورى بالهمزة على ياء بخلاف غيرها نحو : ﴿ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ﴾ بدون ياء .

ورسموا كلمة : ﴿ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ وكلمة : ﴿ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۚ ﴾ وكلمة : ﴿ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ ﴾ الهمزة بالياء في هذه الكلمات الثلاث .

ورسموا كلمة : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ بالأنبياء بنون واحدة وبياء بعد الجيم بخلاف التي بيونس فإنها بنونين وبحذف الياء التي بعد الجيم هكذا : ﴿ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ .

ورسموا كلمة : ﴿ أَن لَّن نَّقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ ﴾ بإثبات النون بعد الهمزة بسورة الجن ، بخلاف كلمة : ﴿ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾ بالقيامة فإنها بحذفها وانظر صحيفة (١٨٣) في السطر الحادي عشر مع الهامش .

ورسموا كلمتي : ﴿ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ ﴾ بحذف ألف المد من ﴿ وَٱلظَّٰهِرُ ﴾ وإثباتها في ﴿ وَٱلۡبَاطِنُۖ ﴾ مع أن وزنهما واحد وهما من أسماء الله تعالى .

ورسموا كلمة : ﴿ لَدَا ٱلۡبَابِۚ ﴾ بيوسف بالألف ، وكلمة : ﴿ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ ﴾ بغافر بالياء .

ورسموا كلمة : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ ﴾ بالحاقة بالألف ، وكلمة : ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴾ بالنازعات وبغيرها بالياء .

ورسموا كلمة : ﴿ أَيُّهَا ﴾ بغير ألف بعد الهاء في ثلاثة مواضع فقط في جميع القرآن وهي : ﴿ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾ ﴿ أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ ﴿ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ﴾ .

ورسموا كلمة : ﴿ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا ﴾ بألف بعد الذال ، وأما كلمة : ﴿ لَغۡوٗا

وَلَا كِذَّابًا ﴾ فإنها بحذف الألف وكلتاهما بسورة النبأ .

ورسموا كلمة : ﴿ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ في سورة البقرة هكذا : ﴿ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ وفي بقية القرآن هكذا : ﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ .

ورسموا كلمة : ﴿ إِۦلَٰفِهِمْ ﴾ هكذا : ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ إِۦلَٰفِهِمْ ﴾ .

ورسموا كلمة : ﴿ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ وكلمة : ﴿ إِنَّ وَلِيِّۦَ ٱللَّهُ ﴾ كما تراهما هنا .

ورسموا كلمة ﴿ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ وكلمة ﴿ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ﴾ كما تراهما هنا .

ورسموا هذه الكلمات : ﴿ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ ﴿ ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ ﴾ ﴿ ٱلْأُمِّيِّـۧنَ ﴾ كما تراها هنا .

ورسموا هذه الكلمات الثمانية بالواو وهي : « الصلاة ، الزكاة ، الربا ، النجوى ، الغداة ، مشكاة ، مناة ، الحياة » .

أي تكون كتابتها في المصحف هكذا : (الصلاة ، الزكاة ، الربا ، النجوى ، الغداة ، مشكاة ، مناة ، الحياة) .

ما لم تضف بعضها إلى ضمير ، وقد سبق قريبًا بيان ذلك في الفصل الثاني من هذا الباب في صحيفة ٢٠٤ هامش رقم ٨ .

ورسموا هذه الكلمات : ﴿ قَوَارِيرَا۠ ﴾ ﴿ سَلَـٰسِلَا۠ ﴾ ﴿ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ ﴿ ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ ﴿ ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ كما تراها هنا أي بزيادة ألف في أواخرها[أ] .

[أ] راجع مواضع الحذف والزيادة عند السيوطي في الإتقان في علوم القرآن ٢ / ٤٤٤ – ٤٥٠ ، إتحاف فضلاء البشر ١ / ١٠٠ ، ٣٩٥ ، مناهل العرفان ١ / ٢٥٩ .

إلى غير ذلك مما لا يمكن حصره ،فلو تكلمنا على مرسوم القرآن كلمة كلمة لقصر بنا الحال وطال بنا المجال ، وفيما ذكرناه هنا وفي الفصول السابقة كفاية لأولى الألباب .

وإلى بعض ما تقدم أشار الشيخ محمد العاقب الشنقيطي رحمه الله بقوله :

للزيد بعد الهمز واو أدخلاَ في ســـأُورى أُولـــو أُولات وأُولاَ
والـيـــاء في بـــأيْـيـــدٍ المنَـــوَّن وأفَإين ايتإي ذي القربى عني
من نَبإي الأنعام مغ وراءِي شورى وءاناءِي ومن تلقاءِي
وأدخل الألف قبل همزةِ مَلإيه بالخفض ثم مائةِ
وقبل يا لشايءِ إنِّي أدخلا ولفظ يائِئَس بعد لفظ لَمْ ولا
وفي ﴿ لَأَاذْبَحَنَّهُۥٓ ﴾عن الهمزيجي(١) وقيل في لأاوضعوا وجاءَ وجاي(٢)

وخلاصة القول :

أننا لم ندرك السّر في رَسْم المصحف العثماني كما لم يدركه من قبلنا من كبار الأئمة وفحول العلماء - وسواء فهمنا ذلك أو لم نفهم ؛ فالواجب علينا اتباعه حرفًا حرفًا وكلمة كلمة ، وما وسع القرون الأولى وهم خير القرون

---

(١) عن الهمز أي بعدها .

(٢) أي روي أن الألف قد جاء مزيدًا في قوله تعالى ﴿ لأاوضعوا ﴾ عن بعض علماء الرسم كما في ﴿ لأاذبحنه ﴾ وقد جاء عن بعضهم أيضًا في ﴿ لأانتم ﴾ و ﴿ لأاتوها ﴾ و ﴿ لإالى ﴾ لكن الراجح عدم الزيادة في هذه الكلمات اهـ من إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام .

يسعنا ، ونحن على أبواب الفتن ، وفي آخر الزمن ، نسأل الله لطفه ورحمته وفضله وإحسانه إنه لطيف خبير .

فكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

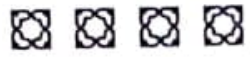

الباب السادس

وفيه خمسة فصول

[الفصل الأول : فيما ذكره العلماء من التعليلات لبعض مرسوم المصحف العثماني

الفصل الثاني : في اختراع النقط والشكل

الفصل الثالث : في كتابة المصاحف قديمًا وحديثًا

الفصل الرابع : في عدم جواز قراءة القرآن وكتابته بغير العربية

الفصل الخامس : في عدد أجزاء القرآن وأنصافه وسوره وآياته وحروفه]

الفصل الأول

فيما ذكره العلماء من التعليلات لبعض مرسوم المصحف العثماني

ذكر العلماء تعليلات متنوعة لبعض كلمات الرسم العثماني ، غير أن هذه التعليلات ما هي إلا من قبيل الاستئناس والتمليح ؛ لأنها لم توضع إلا بعد انقراض الصحابة رضي الله عنهم ، وهم قد كتبوا المصحف بهذا الرسم لحكمة لم نفهمها وإشارة لم ندركها من غير أن ينظروا إلى العلل النحوية أو الصرفية التي استنبطت بعدهم ، ونحن نأتي هنا بشيء من ذلك للعلم به .

فمنها : أنهم قالوا : حذفت الألف من ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ﴾ طلًبا للخفة لكثرة استعمالها ، قيل : لما أسقطوا الألف ردوا طول الألف على الباء ليكون دالًا على سقوط الألف ولا تحذف الألف إذا أضيف الاسم إلى غير الله ولا مع غير الباء[أ] .

فنحن نقول : ما هي الخفة في ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ﴾ بحذف الألف ، وما هو الثقل في : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾ وفي : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ﴾ بإثباتها ، ثم إن تطويل الباء أو تقصيرها من ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ﴾ راجع إلى قواعد تحسين

[أ] ذكر ذلك البغوي في تفسير البغوي (١ / ٣٧) حيث قال : وأسقطت الألف من الاسم طلبا للخفة لكثرة استعمالها ، وطولت الباء ، قال القطيبي : ليكون افتتاح كلام كتاب الله بحرف معظم ، كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول لكتابه : طولوا الباء ، وأظهروا السين ، وفرجوا بينهما ، ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله عز وجل . وقيل : لما أسقطوا الألف ردوا طول الألف على الباء ليكون دالا على سقوط الألف ألا ترى أنه لما كتب الألف في ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾ ردت الباء إلى صيغتها ، ولا يحذف الألف إذا أضيف الاسم إلى غير الله ولا مع غير الباء .

الخط ففي بعض أنواع الخطوط تقصر وفي بعضها تطول حتى في الخط الكوفي القديم[أ] .

ومنها : أنهم قالوا : حذفت الواو من : ﴿ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ ﴾ للإشارة إلى سرعة ذهابه واضمحلاله[ب] .

وزيدت الياء في : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ ﴾ للفرق بين الأيدي التي بمعنى القوة والأيدي التي ليست بمعنى القوة[ج] .

فنحن نقول : إذا سلمنا بعلة حذف الواو من : ﴿ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ ﴾ فهل يمكن أن نشير إلى أن إثبات الواو في : ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾ يدل على التراخي في المحو والإثبات ، وإن جرينا على رأيهم أن زيادة الياء في ﴿ بِأَيْيْدٍ ﴾ للفرق بين التي للقوة والتي ليست للقوة ، فما نقول في زيادة الياء في : ﴿ بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴾ دون زيادتها في : ﴿ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[د] .

[أ] لقد علق العلماء على ذلك قديمًا فذكروا هذا الكلام ، ومن هؤلاء أبو إسحاق الثعلبي النيسابوري ؛ حيث قال النيسابوري في تفسيره (١ / ٩٢) وقال أبو خالد بن يزيد المرادي : العلة فيها إسقاط الألف من الاسم ، فلما أسقطوا الألف ردوا طول الألف إلى الباء ليكون دالا على سقوط الألف منها ، ألا ترى أنهم لما كتبوا ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾ بالألف ردوا الباء إلى صيغتها فإنما حذفوا الألف من ﴿ ٱسْمَ ﴾ هنا فلكثرة دورها على الألسن عملا بالخفة ، ولما لم يكثر أضرابها كثرتها أثبتوا الألف بها .

[ب] ذكر ذلك السيوطي الإتقان في علوم القرآن (٢ / ٤٤٧) .

[ج] ذكر ذلك السيوطي في الإتقان في علوم القرآن (٢ / ٤٤٨) فقال : قال المراكشي : وإنما زيدت هذه الأحرف في هذه الكلمات نحو (جايء) و (نبائ) ونحوهما للتهويل والتفخيم والتهديد والوعيد كما زيدت في (بأييد) تعظيما لقوة الله تعالى التي بنى بها السماء التي لا تشابهها قوة .

[د] قال الشيخ الزرقاني في مناهل العرفان في علوم القرآن (١ / ٢٦٤) وكما أن نظم القرآن معجز فرسمه أيضا معجز وكيف تهتدي العقول إلى سر زيادة الألف في ﴿ مِاْئَةَ ﴾ دون ﴿ فِئَةٍ ﴾ وإلى سر زيادة الياء في ﴿ بِأَيْيْدٍ ﴾ أم كيف تتوصل إلى سر زيادة الألف في ﴿ سَعَوْا ﴾ بالحج ونقصانها من =

ومنها : أنهم قالوا إن زيادة الألف في : ﴿ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ ﴾ إشارة إلى أن الذبح لم يقع فكأنما لا نافية ، وقيل إن زيادة الألف فيها إشارة إلى الفتحة لأن الفتحة عندهم ألف وكذلك الياء في : ﴿ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ إشارة إلى الكسرة ؛ لأنها ياء ، والواو في : ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَـٰتِى ﴾ إشارة إلى الضمة لأنها واو أيضًا[أ] .

فنحن نقول : إن كان الأمر كذلك ، فلمَ لمْ تكن الألف موجودة في نحو : ﴿ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ والياء موجودة في نحو : ﴿ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ﴾ والواو

= ﴿ سَمَرَ ﴾ بسبأ وإلى سر زيادتها في ﴿ عَتَوْا ﴾ حيث كان ونقصانها من ﴿ وَعَتَوْ ﴾ في الفرقان ، وإلى سر زيادتها في ﴿ ءَامَنُوا ﴾ وإسقاطها من ﴿ باؤ - جاؤ - تبوؤ - فاؤ ﴾ ، وإلى سر زيادتها في ﴿ يَتَفَوَّا ٱلَّذِى ﴾ بالبقرة ونقصانها في ﴿ أَن يَعْفُوَ عَنْهُنَّ ﴾ في النساء ، أم كيف تبلغ العقول إلى وجه حذف بعض أحرف من كلمات متشابهة .

[أ] ذكر ذلك الألوسي في روح المعاني (١٩ / ١٨٤) فقال : وكتب في الإمام ﴿ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ ﴾ بزيادة ألف بين الذال والألف المتصلة باللام ، ولا يعلم وجهه كأكثر ما جاء فيه مما يخالف الرسم المعروف ، وقيل : هو التنبيه على أن الذبح لم يقع . وقال ابن خلدون في مقدمة تاريخه : إن الكتابة العربية كانت في غاية الإتقان والجودة في حمير ومنهم تعلمها مضر إلا أنهم لم يكونوا مجيدين لبعدهم عن الحضارة وكان الخط العربي أول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإتقان والجودة وإلى التوسط لمكان العرب من البداوة والتوحش وبعدهم عن الصنائع ، وما وقع في رسم المصحف من الصحابة رضي الله تعالى عنهم من الرسوم المخالفة لما اقتضته أقيسة الخط وصناعته عند أهلها كزيادة الألف في ﴿ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ ﴾ من قلة الإجادة لصنعة الخط واقتفاء السلف رسمهم ذلك من باب التبرك ، وتوجيه بعض المغفلين تلك المخالفة بما وجهه بها ليس بصحيح والداعي له إلى ذلك تنزيه الصحابة عن النقص لما زعم أن الخط كمال ولم يتفطن ؛ لأن الخط من جملة الصنائع المدنية المعاشية ، وذلك ليس بكمال في حقهم ؛ إذ الكمال في الصنائع إضافي وليس بكمال مطلق إذ لا يعود نقصه على الذات في الدين ونحوه ، وإنما يعود على أسباب المعاش ، وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام أميا وكان ذلك كمالا في حقه وبالنسبة إلى مقامه عليه الصلاة والسلام ومثل الأمية تنزهه عليه الصلاة والسلام عن الصنائع العملية التي هي أسباب المعاش والعمران .

موجودة في نحو : ﴿ مَآ أُرِيكُمْ ﴾ .

ثم هل إن زيادة الألف والواو والياء في الكلمات المذكورة هي بمثابة الحركات والتشكيل ، فإن كان كذلك فَلِمَ لَمْ يضعوها في جميع كلمات القرآن لتنوب عن الحركات .

ومنها : أنهم قالوا إن كلمة : ﴿ أَحْيَا ﴾ من نحو آية : ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ رسمت بالألف كراهة اجتماع متماثلين .

فلِمَ لَمْ تكتب كلمة : ﴿ يَحْيَىٰ ﴾ من آية ﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ كذلك لنفس العلة .

ومنها : أنهم قالوا : إن الألف التي بعد الراء من كلمة : ﴿ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ حذفت للاختصار .

ونحن نقول : إن هذه العلة ليست مطردة في جميع القرآن فقد تحذف الألف من بعض الكلمات نحو : ﴿ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ بالقارعة ، ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا ﴾ بالفرقان ، ﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ ﴾ بالأنبياء ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌۢ ﴾ بالطور .

وقد لا تحذف من بعضها نحو : ﴿ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴾ بالغاشية ، ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ بالنبأ ، ﴿ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ بالإسراء ، ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴾ .

ومنها : أنهم قالوا : حذفت ياء المضارع لغير جازم في : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ ﴾ على لغة هذيل .

ونحن نقول إن هذه الكلمات ﴿ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾ ، و ﴿ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ

ءَامَنُوٓاْ ﴾ كلاهما في الزمر ﴿ وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ ﴾ ، و ﴿ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ ﴾ ، حذفت منها الياء والواو ، فهل هذا الحذف على لغة بعض القبائل أيضًا أم لا ، ولِمَ لَمْ تحذف الياء من آية : ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ في العنكبوت ، ومن : ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ ﴾ في الزمر ، ولَمْ تحذف الواو من نحو : ﴿ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ ﴾[أ] .

ومنها : أنهم قالوا رسمت هاء التأنيث تاء نحو : ﴿ رَحۡمَتَ ﴾ ، ﴿ نِعۡمَتَ ﴾ ﴿ ٱمۡرَأَتُ ﴾ على لغة طيئ[ب] .

ونحن نقول : لِمَ لَمْ يكن ذلك مطردًا في جميع القرآن ؛ فإن هذه الكلمات نفسها ومعها بعض كلمات أخرى رسمت أحيانًا بالهاء وأحيانًا بالتاء ، أما غيرها فإنها مكتوبة بالهاء على وتيرة واحدة نحو : ﴿ قَيِّمَةٌ ﴾ ، ﴿ ذُرِّيَّةٗ ﴾ ، ﴿ ٱلۡقَارِعَةُ ﴾ ، ﴿ مَسۡغَبَةٖ ﴾ ، ﴿ رَقَبَةٍ ﴾ ، ﴿ زَجۡرَةٞ ﴾ ، ﴿ خَافِيَةٌ ﴾ .

ومنها : أنهم قالوا في قوله تعالى : ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ إِۦلَٰفِهِمۡ ﴾ حذفت الياء من ﴿ إِۦلَٰفِهِمۡ ﴾ للاقتصار .

وقالوا : إن كلمة : ﴿ وَلِيِّۦ ﴾ من آية : ﴿ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ ﴾ ومن آية : ﴿ إِنَّ وَلِيِّۦَ ٱللَّهُ ﴾ اتفق شيوخ الرسم على كتابتها بياء واحدة ورجح الداني وأبو داود في حرف الأعراف أنها الثانية ، وفي حرف يوسف أنها الأولى ، ولهذا الترجيح كتب حرف الأعراف وضبط هكذا : ﴿ وَلِيِّۦَ ﴾

[أ] انظر ذلك بالتفصيل في البرهان في علوم القرآن (٢ / ٤٤٧) .

[ب] قال الزرقاني في مناهل العرفان في علوم القرآن (١ / ٢٥٩) إفادت بعض اللغات الفصيحة مثل كتابة هاء التأنيث تاء مفتوحة دلالة على لغة طيء .

وكتب حرف يوسف وضبط هكذا : ﴿ وَلِيِّۦ ﴾ ولا مانع من رسمهما وضبطهما معًا بصورة منهما[أ] .

ونحن نقول : هل هذه الكلمات الآتية مثلها أم لا وهي : ﴿ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ ﴿ ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ ﴾ ﴿ ٱلْأُمِّيِّـۧنَ ﴾ ، و ﴿ هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ﴾ .

فالخلاصة : أن كل هذه التعليلات التي ذكرها العلماء من الزيادة والحذف في بعض كلمات القرآن لا تغنى شيئًا ، والحقيقة هكذا وصلت إلينا عن الصحابة الذين كتبوا القرآن الكريم ولم ينكشف سر ذلك لأحد ، والله سبحانه علاَّم الغيوب .

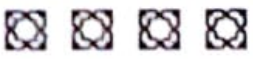

[أ] قال البنا الدمياطي في إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (١ / ٢٩٤) واختلف في ﴿ إِنَّ وَلِيِّۦَ ٱللَّهُ ﴾ الآية ١٩٦ فابن حبش عن السوسي بياء واحدة مفتوحة مشددة وكذا روى أبو نصر الشذاني عن ابن جمهور عن السوسي وشجاع عن أبي عمرو وأبو خلاد عن اليزيدي عن أبي عمرو نصا وعبد الوارث عن أبي عمرو أداء ، ووجهت على أن ياء فعيل مدغمة في ياء المتكلم والياء التي هي لام الكلمة محذوفة وهذا أحسن ما قيل في تخريجها ، أو أن ﴿ وَلِيِّۦَ ﴾ اسم نكرة غير مضاف والأصل : إن وليا فوليا اسم إن والله خبرها ثم حذف التنوين لالتقاء الساكنين ولم يق إلا كون اسمها نكرة والخبر معرفة وهو وارد ومنه :

وإن حراما إن أسب مجاشعا

قال في النشر : وبعضهم يعبر بالإدغام وهو خطأ إذ المشدد لا يدغم في المخفف وافقه الحسن بلا خلاف عنه وروى الشنبوذي عن ابن جمهور عن السوسي كسر الياء المشددة بعد الحذف وهي قراءة عاصم والجحدري وغيره ويلزم منه ترقيق الجلالة ووجه في النشر ذلك بأن المحذوف ياء المتكلم لملاقاتها ساكنا كما تحذف ياءات الإضافة لذلك قال فقيل على هذا إنما يكون هذا الحذف حالة الوصل فإذا وقف أعادها وليس كذلك .

الفصل الثاني

في اختراع النقط والشكل

لم يكن النقط والشكل : (أي الإعجام والحركات) معروفًا قبل الإسلام فكانوا يقرأون على الوجه الصحيح حسب الفطرة والغريزة ، فلما انتشر الإسلام ، واختلط العرب بالعجم طرأ عليهم الخطأ والتصحيف ، فاحتاجوا إلى وضع علامات تقيهم من ذلك فاخترعوا النقط والشكل[أ] .

* **وسبب تشكيل المصحف :**

أن زياد بن سميّة وكان واليًا على البصرة لما رأى ظهور الخطأ عند العرب ، طلب من أبي الأسود الدؤلي أن يضع طريقة لإصلاح الألسنة عند القراءة ، فلم يجبه إلى طلبه فدبَّر زياد حيلة ، فقال لرجل من أتباعه : اقعد على طريق أبي

[أ] اتفق العلماء على استحباب كتابة المصاحف وتحسين كتابتها وتبيينها وإيضاحها وتحقق الخط دون مشقة وتعليقه قال العلماء ويستحب نقط المصحف وشكله فإنه صيانة من اللحن فيه وتصحيفه وأما كراهة الشعبي والنخعي النقط فإنما كرهاه في ذلك الزمان خوفا من التغيير فيه وقد أمن ذلك اليوم فلا منع ولا يمتنع من ذلك لكونه محدثا فإنه من المحدثات الحسنة فلم يمنع منه كنظائره مثل تصنيف العلم وبناء المدارس والرباطات وغير ذلك ، وقد اختلف في نقط المصحف وشكله وقيل أول من فعل ذلك أبو الأسود الدؤلي بأمر عبد الملك بن مروان وقيل الحسن البصري ويحيى بن يعمر وقيل نصر بن عاصم الليثي ، وأول من وضع الهمز والتشديد والروم والإشمام الخليل ، وقد كان العلماء في الصدر الأول يرون كراهة نقط المصحف وشكله مبالغة منهم في المحافظة على أداء القرآن كما رسمه المصحف وخوفا من أن يؤدي ذلك إلى التغيير فيه ، ومن ذلك ما روي عن ابن مسعود أنه قال : جردوا القرآن ولا تخلطوه بشيء ، وما روي عن ابن سيرين أنه كره النقط والفواتح والخواتم ، إلى غير ذلك ، ولكن مع مرور الزمن تغيرت الأحوال فاضطر المسلمون إلى إعجام المصحف وشكله لنفس ذلك السبب أي للمحافظة على أداء القرآن كما رسمه المصحف وخوفا من أن يؤدي تجرده من النقط والشكل إلى التغيير فيه فزال بذلك القول بكراهة الإعجام والشكل ويحل محله القول بوجوبه أو استحبابه ، لما هو مقرر من أن الحكم يدور مع علته وجودا وعدما (انظر النووي في التبيان ١ / ٩٧ ، السيوطي في الإتقان في علوم القرآن ٢ / ٤٥٤ ، الزرقاني في مناهل العرفان ١ / ٢٨١) .

الأسود واقرأ شيئًا من القرآن وتعمد اللحن ، ففعل الرجل ذلك وقرأ : (أن الله برئ من المشركين ورسولِهِ) وكسر اللام ، فلما سمعه أبو الأسود أعظم ذلك وقال : عز وجه الله تعالى من أن يبرأ من رسوله ، فذهب من فوره إلى زياد وقال له : قد أجبتك إلى ما سألتَ ، ورأيتُ أن أبدأ بإعراب القرآن ، فابغني كاتبًا ، فبعث إليه ثلاثين كاتبًا ، فاختار واحد منهم وقال له : خذ المصحف وصبغًا يخالف لون المداد ، فإذا رأيتني فتحت شفتي بالحرف فانقط واحدة فوقه ، وإذا كسرتهما فانقط واحدة أسفله ، وإذا ضممتهما فاجعل النقطة بين يدي الحرف ، فإن تبعت شيئًا من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين ، وأخذ يقرأ بالتأني والكاتب يضع النقط ، وكلما أتم صحيفة أعاد أبو الأسود نظره عليها واستمر على ذلك حتى أعرب المصحف كله ، وترك السكون بلا علامة ، فأخذ الناس هذه الطريقة عنه ، وكانوا يسمون هذه النقط شكلًا ، ثم تفننوا في هيئة النقط ، فمنهم من جعلها مربعة ، ومنهم من جعلها مدورة ، ثم زادوا علامات في الشكل إلى أن وصلت إلينا بهذه الصورة التي نستعملها اليوم[أ] .

*** وسبب نقط المصحف :**

أن الناس مكثوا يقرأون في مصاحف عثمان رضي الله عنه نيفًا وأربعين سنة ثم كثر التصحيف بالعراق ، ففزع الحجاج(١) إلى كُتَّابه في زمن عبد الملك

---

(١) توفي الحجاج بن يوسف الثقفي في شوال سنة خمس وتسعين للهجرة ، وكان من حفاظ القرآن المعدودين .

[أ] أبو عمرو الداني في نقط المصاحف ١ / ٤ ، والزرقاني في مناهل العرفان ١ / ٢١١ .

وسألهم أن يضعوا علامات لهذه الحروف المشتبهة ، ودعا نصر بن عاصم الليثي ويحيى بن يعمر العدواني (وهما ممن أخذ عن أبي الأسود) لهذا الأمر وكانت عامة المسلمين تكره أن يزيد أحد شيئًا على ما في مصحف عثمان ولو للإصلاح ، وتوقف كثير منهم في قبول الإصلاح الأول الذي أدخله أبو الأسود ، فبعد البحث والتروي قرر نصر ويحيى إدخال الإصلاح الثاني ؛ وهو أن توضع النقط إفرادًا وأزواجًا لتميز الأحرف المتشابهة كالدال والذال ، فالأولى تهمل والثانية تعجم من فوق بنقطة واحدة ، وهكذا في بقية الحروف ، وجرى الناس عليه إلى الآن غير أن هناك اختلافًا بين الفاء والقاف بين المشارقة والمغاربة ، فالمشارقة ينقطون الفاء بواحدة من فوق والقاف بنقطتين من فوق أيضا ، والمغاربة ينقطون الفاء بنقطة واحدة من أسفل ، والقاف بنقطة واحدة من فوق ولا ضرر في اصطلاحهم حيث أمن اللبس والاشتباه عندهم[أ] .

ومن أراد زيادة البحث في هذا الموضوع فعليه بمطالعة كتابنا تاريخ الخط العربي وآدابه فقد بسطنا القول فيه هناك .

والذي يغلب على ظننا - والله أعلم بغيبه - أنه كما أدخل النقط والشكل في المصاحف سيأتي على الناس زمان يدخلون فيها علامات الترقيم كعلامة الاستفهام والتنصيص والتأثر ، وقد ذكرناها مفصلًا في كتابنا تاريخ الخط العربي وآدابه فراجعه .

والحقيقة : لا نرى بأسًا في إدخالها في المصاحف ؛ لأنها من دواعي سرعة

[أ] الإتقان في علوم القرآن ٢ / ٤٥٤ ، مناهل العرفان ١ / ٢٨١ .

الفهم ومن محسِّنات الكتابة لا دخل لها في جوهر الحروف والكلمات ، ولا تغيِّر اللفظ ولا المعنى فيكون إدخالها في المصاحف كإدخال النقط والشكل ووضع علامات التجويد فوق الكلمات وعلامات الضبط فيها[أ] .

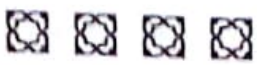

[أ] هذا الكلام غير صحيح فهذه العلامات مختلف فيها وليست لها قاعدة ثابتة ، وهي تختلف كليا عن النقط والشكل ، فالنقط والشكل أدى إلى حفظ كتاب الله من اللبس والاختلاف ، أما هذه العلامات فهي لن تؤدي إلى شيء لأن جميع المسلمين قد أصبح الرسم القرآني معروفا لديهم .

الفصل الثالث

في كتابة المصاحف قديمًا وحديثًا

روي عن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه يقول : كانت المصاحف لا تباع إنما يأتي الرجل بورقة عند المنبر فيقوم الرجل المحتسب فيكتب له من أول البقرة ، ثم يجيء غيره حتى يتم المصحف[أ] .

هكذا كان في ابتداء الإسلام ، ثم صار كثير من الناس يتفرغون لكتابة المصاحف لعدم وجود المطابع في ذلك الزمن ، فكان يكتب بعضهم مائة مصحف ، وبعضهم مائتين ، وبعضهم أقل أو أكثر ، ولئن كانت المطابع غير موجودة في زمنهم فقد كانت قلوبهم عامرة بالتقوى ممتلئة إيمانًا ويقينًا وكانوا أكثر تلاوة للقرآن وأشد تمسكًا بأحكامه ، وأكثر رغبة وتنافسًا في نسخه وكتابته وإهدائه لبعضهم وجعله في المساجد ودور العلم والتدريس رجاء الأجر والثواب .

ذكر ابن خلكان عند ترجمة إسحاق بن مرامر الشيباني النحوي اللغوي قال ولده عمرو لما رجع(١) أبي أشعار العرب ودوَّنها كانت نيفًا وثمانين قبيلة ، وكان كلما عمل منها قبيلة وأخرجها إلى الناس كتب مصحفًا وجعله بمسجد

---

(١) قال في المصباح المنير : ورجعت الكلام وغيره أي رددته ، وبها جاء القرآن قال تعالى : ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ ﴾ ... اهـ المراد منه .

[أ] ذكره السيوطي في الدر المنثور (١ / ٢٠٤) وعزاه إلى ابن أبي داود عن علي بن حسين .

الكوفة حتى كتب نيفًا وثمانين مصحفًا بخطه[أ] .. اهـ .

فكم مثل إسحٰق من كتب عدة مصاحف يقصد بها وجه الله تعالى ونفع المسلمين ، ولقد ذكرنا في كتابنا تاريخ الخط العربي وآدابه طائفة ممن كتبوا القرآن عدة مرات فراجعه هناك ، ولم نذكرهم هنا حتى لا نخرج عن الموضوع .

فقارن رحمك الله بين أيامنا وأيامهم ، ورجالنا ورجالهم ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، اللهم تداركنا برحمتك ولطفك وبرّك وإحسانك ، إنك على كل شيء قدير ، هذا ولما ظهرت المطابع في زماننا قلَّ اشتغال الناس بكتابة المصاحف ونسخها ، لكن لا يزال الملوك والأمراء والأثرياء المثقفون إلى يومنا هذا يفتخرون باقتناء المصاحف الخطية القيِّمة ، ويسندون نسخها وكتابتها إلى من اشتهر بحسن الخط ، ويصرفون على ذلك المبالغ الطائلة بسخاء وكرم ، فيكون المصحف المعتنى بنسخه وكتابته قيِّما جميلًا جديرًا بالمحافظة عليه ليبقى أثرًا خالدًا .

والمصاحف في العهد الأول كانت تكتب بأنواع متعددة : بالخط الكوفي إلى القرن الخامس تقريبًا ، ثم لما تنوعت الخطوط صاروا يكتبونها بخط الثلث إلى القرن الثامن أو التاسع ، ولما ظهور خط النسخ الذي هو من أجمل الخطوط صاروا يكتبونها به إلى عصرنا الحاضر(١) .

---

(١) يوجد في دار الكتب العربية بمصر كثير من المصاحف القيمة الأثرية المكتوبة بخطوط متنوعة من القرن الأول للهجرة إلى عصرنا الحاضر ، وقد ذكرنا شيئًا منها في كتابنا تاريخ الخط العربي فراجعه .

[أ] وذكره أيضا ابن النديم في الفهرست ١ / ١٠١ .

والحق يقال : إن جمال المصاحف لا يظهر إلا إذا كتبت بخط النسخ فقط ، أما بقية أنواع الخطوط فلا يستحسن كتاباتها بها كخط الرقعة والديواني والفارسي وسِيَاقَتْ وشِكَسْتَهْ ؛ لأن قاعدة هذه الخطوط عدم تشكيلها والمصاحف يجب تشكيلها صيانة للقارئ من اللحن .

بل قد يحرم كتابتها ببعض هذه الخطوط كخط سِيَاقَتْ وشِكَسْتَهْ فإن هذين الخطين لا يعرفهما أحد في جميع البلدان العربية ، ويندر جدًّا من يعرفهما في بلاد الترك والعجم ، وقد وضعنا صورتهما وتكلمنا عنهما في كتابنا تاريخ الخط العربي وآدابه فراجعه .

فكتابة المصاحف بالخطين المذكورين يؤدي إلى الخلل والتحريف ، وهذا لا يجوز ، فإن عمَّ انتشارها في البلاد الإسلامية ارتفع المحظور ولم يبق للتحريم وجه ، وقد بسطنا القول في هذا الموضوع في أول كتابنا تاريخ الخط المذكور عند شرح الأحاديث الواردة في الخط والكتابة فراجعه إن شئت .

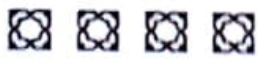

ظهور المطابع

كان أول اختراع المطابع في ألمانيا سنة ١٤٣١ ميلادية وبالضرورة مضت مدة طويلة حتى أتقنت صناعتها وظهرت صلاحيتها ، فدخلت أولًا في بلاد إيطاليا ، ثم فرنسا ، ثم في إنجلترا ثم انتشرت في جميع البلدان .

وفي عصرنا الحاضر تقدمت صناعة المطابع وأدخل فيها من التحسينات الفنية ما لم يكن في الحسبان - وأن أول مصحف طبع بالخطب العربي كان في هامبورج بألمانيا ١١١٣ هـ ويوجد من هذه الطبعة مصحف بدار الكتب العربية بمصر القاهرة ، كما يوجد بها مزامير داود عليه السلام بأربع لغات مع تفسير لاتيني طبعت في جنوة بإيطاليا سنة ٩٣٥ هجرية ، وبعد سنة ١٥١٦ ميلادية طبع المصحف أيضًا في البندقية بإيطاليا ، وسبب طبع المصحف الكريم في هامبورج والبندقية وجود المطابع فيهما دون البلاد الإسلامية كما هو ظاهر .

ومن العجيب أنه عند أول ظهور للمطبعة في إيطاليا طعن علماؤهم فيها طعنًا جارحًا حتى قالوا : إنها بدعة همجية ألمانية ونادى كهنتهم لنهدم كيان الطباعة أو تهدم هي كياننا ، وفي ابتداء ظهور الكتب المطبوعة لم يقبل الناس على شرائها .

ولما دخلت المطبعة إلى تركيا في زمن السلطان أحمد الثالث أفتت مشيخة الإسلام بجواز استعمالها إلا أنه بقي طبع المصحف ممنوعًا ، ثم عادت الدولة العثمانية فمنعت المطبعة ، ثم جاء السلطان عبد الحميد الأول فأعادها ،

وجاء السلطان محمود الأول فاهتم بها أكثر . وأول كتاب طبع بالآستانة : « صحاح الجوهري » قيل : إنه في سنة (١١٢٩ هجرية) أفتى شيخ الإسلام بالآستانة عبد الله أفندي بجواز طبع الكتب غير الدينية[١] ، وفيما بعد سنة (١١٤١ هـ) طبعت كتب هامة في اللغة والأدب والتاريخ بالعربية والتركية والفارسية ، ثم استصدروا الفتوى بطبع كتب الدين وتجليد القرآن الكريم ، ومن أشهر مطابع الآستانة القديمة مطبعة الجوائب .

وأول من أدخلها إلى الديار التونسية محمد باشا باي الذي تولى إمارة تونس عام (١٢٧١ هجرية) ، وأول مطبعة ظهرت في حلب كان سنة (١٦٩٨ ميلادية) ، ومن أقدم المطابع في لبنان مطبعة قزحيا ، وكانت أحرفها سريانية ، ثم صارت عربية ، ومطبعة الشوير وطبع فيها المزامير سنة (١٧٣٣ ميلادية) ، وأقدم المطابع في بيروت مطبعة القديس جاورجيوس فإنها أنشئت سنة (١٧٥٣ ميلادية) ، وبعدها المطبعة الأمريكية أنشئت في مالطة سنة (١٨٢٢ ميلادية) ثم نقلت إلى بيروت سنة (١٨٣٤ ميلادية) وبعدها المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين تأسست عام (١٨٤٨ ميلادية) وكانت تطبع على الحجر ، ثم صارت تطبع على الحروف سنة (١٨٥٤ ميلادية) وهي أكبر المطابع وفيها حروف عربية وأفرنجية ويونانية وسريانية وعبرانية وأرمنية .

وأول مطبعة ظهرت بمصر : مطبعة الحملة الفرنساوية جاء بها بونابرت معه

---

(١) وقيل : كانت فتوى شيخ الإسلام المذكور بجواز الطباعة في سنة ١١٠٣ هجرية ؛ وبالرجوع إلى المصادر التركية تظهر الحقيقة .

سنة (١٧٩٨ ميلادية) لطبع المنشورات والأوامر باللغة العربية ، وقد سميت بالمطبعة الأهلية وكانت بالقاهرة إلى يونيو سنة (١٨٠١ ميلادية) حين انسحاب الفرنساويين من مصر ، وبعد ذلك ظلت مصر نحو عشرين عامًا بغير مطبعة حتى استقر الأمر لمحمد علي باشا فأنشأ المطبعة الأهلية سنة (١٨٢١ ميلادية) وتعرف بمطبعة بولاق ؛ لأنها وضعت أخيرًا في بولاق ، وأول ما طبع فيها قاموس إيطالي عربي سنة (١٨٢٢ ميلادية) وقد اشتغلت هذه المطبعة أكثر من تسعين عامًا وكانت أكبر مطبعة عربية في العالم ، وهي التي تسمى بالمطبعة الأميرية .

ثم كثرت المطابع الآن بمصر على مختلف أنواعها ، كما أدخلت عليها تحسينات عظيمة حسب التطور الحديث[أ] .

ومن أراد التوسع في البحث عن تاريخ الطباعة العربية فليراجع الجزء الرابع من كتاب تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ومجلة الهلال لسنتي ٩ و ٢٢ ، ومجلة المشرق لسنتي ٣ و ٤ و المقتطف لسنة ٧ ، وتاريخ جودت الجزء الأول .

وأول مطبعة ظهرت بمكة المشرفة : هي المطبعة الأميرية التي سميت فيما بعد (بمطبعة أم القرى) وهي التي أطلق عليها الآن (مطبعة الحكومة) والذي استحضرها عثمان باشا نوري الذي كان والياً على الحجاز في عهد الأتراك أتى بها في سنة (١٣٠٣ هجرية) تقريبًا وجعلها في المكان الذي هي فيه الآن بأجياد ، كانت بادئ أمرها صغيرة الحجم لكن في وقتنا الحاضر اهتمت

[أ] ويقصد بذلك بداية القرن العشرين .

الحكومة السعودية بها وجلبت لها كثيرًا من أدوات الطباعة وآلاتها الحديثة .

وفي عام (١٣٢٧ هـ) تقريبًا استحضر الشيخ محمد ماجد الكردي رحمه الله تعالى مطبعة على حسابه الخاص سماها (المطبعة الماجدية) وجعلها في داره الكائنة بحارة القرراة وقد طبع بها كثير من الكتب ، ثم استحضر الشيخ محمد صالح نصيف مطبعة في عام (١٣٤٥ هـ) تقريبًا سماها (المطبعة السلفية) وهي معطلة الآن لا تستعمل ، وللشركة العربية للطبع والنشر مطبعة تسمى (المطبعة العربية) ومحلها بالشامية .

وأما في المدينة المنورة : ففيها مطبعة السيد عثمان حافظ استوردها في سنة ١٣٥٥ هـ تقريبًا على حسابه الخاص .

وأما في جدة : ففيها مطبعتان الأولى : (مطبعة رمزي) جلبت في سنة (١٣٢٩ هـ) تقريبًا .

والثانية (مطبعة الفتح الوطنية) لصاحبها : المحترم الشيخ عبد الرحيم عبد الفتاح وفيها طبع كتابنا تاريخ القرآن الكريم وقد تأسست في سنة (١٣٥٠ هـ) .

الفصل الرابع

في عدم جواز قراءة القرآن وكتابته بغير العربية

اتفقت الأئمة[١] على عدم جواز ترجمة القرآن وكتابته وقراءته بغير العربية لأن ذلك يؤدي إلى التحريف والتبديل بلاشك ؛ إذ لا يعقل ترجمته ترجمة حرفية بالمثل - أما الترجمة التفسيرية فلا بأس بها ؛ لأنها تشرح معانيه وتبين غوامضه وفي هذا الموضوع مؤلفات خاصة تكفي الإشارة هنا إلى حكم ذلك .

وكيف يمكن كتابته أو ترجمته حرفيًا باللغات الأجنبية ومخارج حروفها ليست كمخارج الحروف العربية ، وعدد حروف هجائها قد يزيد عنها وقد ينقص ، ومن هنا يعلم استحالة ترجمته حرفيًا بغير اللغة العربية[أ] .

---

(١) قيل : إن الإمام أبا حنيفة جوَّز قراءة القرآن بالفارسية في خصوص الصلاة للعاجز عن العربية ، ولقد قال الألوسي في تفسيره [٤٤/٢٣] عند قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أن أبا حنيفة رجع عن قوله هذا كما صححه جمع من الثقاة المحققين .

[أ] قال الزركشي في البرهان (/ ٤٦٥) وقيل عن أبي حنيفة تجوز قراءته بالفارسية مطلقا ، وعن أبي يوسف إن لم يحسن العربية ، لكن صح عن أبي حنيفة الرجوع عن ذلك ، حكاه عبد العزيز في شرح البزدوي ، واستقر الإجماع على أنه تجب قراءته على هيئته التي يتعلق بها الإعجاز لنقص الترجمة عنه ولنقص غيره من الألسن عن البيان الذي اختص به دون سائر الألسنة ، وإذا لم تجز قراءته بالتفسير العربي لمكان التحدي بنظمه فأحرى أن لا تجوز الترجمة بلسان غيره ، ومن ها هنا قال القفال من أصحابنا : عندي أنه لا يقدر أحد أن يأتي بالقرآن بالفارسية قيل له فإذن لا يقدر أحد أن يفسر القرآن ، قال : ليس كذلك لأن هناك يجوز أن يأتي ببعض مراد الله ويعجز عن البعض ، أما إذا أراد أن يقرأه بالفارسية فلا يمكن أن يأتي بجميع مراد الله فإن الترجمة إبدال لفظة بلفظة تقوم مقامها وذلك غير ممكن بخلاف التفسير ، وما أحاله القفال من ترجمة القرآن ذكره أبو الحسين بن فارس في فقه العربية أيضا فقال : لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقل القرآن إلى شيء من الألسن كما نقل الإنجيل =

فالمصحف له مكانة خاصة وحرمة كبيرة لدى كافة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، فكما اتفقت الأئمة على عدم جواز كتابته بغير الرسم العثماني محافظة على هيئة كتابته الأولى ، اتفقت أيضًا على عدم جواز كتابته وترجمته حرفيًا بغير اللغة العربية خوفًا من التغيير والتبديل الذي لابد من حصوله بالترجمة ، واتفقت أيضًا على عدم جواز مسّه أو حمله للمحدث ولو حدثًا أصغر كما هو مبسوط في كتب الفقه[أ] .

وكيف لا يكون جديرًا بالاحترام والتعظيم وهو كلام الخبير اللطيف ، وأساس الدين الحنيف .

وقد قال فيه سبحانه وتعالى : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر : ٢١] .

وقال فيه عليه الصلاة والسلام من ضمن الحديث الذي أخرجه الترمذي : « هو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو

= عن السريانية إلى الحبشية والرومانية وترجمت التوراة والزبور وسائر كتب الله تعالى بالعربية لأن العجم لم تتسع في الكلام اتساع العرب ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله تعالى ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ لم تستطع . وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٢/ ٣٧٧) ونحن منعنا من ترجمة القرآن لأن لفظه مقصود .. ثم قال : وأهل الرأي يجوزون مع تشددهم في المنع من الكلام في الصلاة حتى كرهوا الدعاء الذي ليس في القرآن أو ليس في الخبر وأبطلوا به الصلاة ويجوزون الترجمة بالعجمية فلم يجعل بالعربية عبادة وجوزوا التكبير بكل لفظ يدل على التعظيم ، فهم توسعوا في إبدال القرآن بالعجميةوفي إبدال الذكر بغيره من الأذكار ولم يتوسعوا مثله في الدعاء وأحمد وغيره من الأئمة . وانظر أيضا : (المجموع ٣/ ٣٢٦ ، عون المعبود ٣/ ٣١٢) .

[أ] انظر تفصيل ذلك في المجموع ٣/ ٣٣٠ ، حلية العلماء ٢/ ٩٢ ، البحر الرائق ٥/ ١٣١ ، المبسوط ١ / ٢٩٢ ، تحفة الفقهاء ١/ ١٣٠ ، إعلام الموقعين ١/ ٢٩٢ .

الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تشبع منه العلماء ، ولا يخلَق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه »[أ] .

[أ] أخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في فضل القرآن (٢٩٠٦) عن الحارث قال : مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت على علي فقلت يا أمير المؤمنين ألا ترى أن الناس قد خاضوا في الأحاديث قال : وقد فعلوها ؟ قلت : نعم ، قال : أما إني قد سمعت رسول الله ﷺ يقول : ألا إنها ستكون فتنة . فقلت : ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله ؛ فيه نبأ ما كان قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين : .. ثم ذكره ، وقال أبو عيسى : هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول وفي الحارث مقال .

الفصل الخامس

في عدد أجزاء القرآن وأنصافه وسوره وآياته وحروفه

* **عدد سور القرآن** : مائة وأربع عشرة سورة ، ومن عدَّها مائة وثلاث عشرة سورة يجعل الأنفال وبراءة سورة واحدة وعدد أجزائه ثلاثون جزءًا .

* **وأمَّا أنصافه** : فقد قال بعض القراء : القرآن العظيم له أنصاف باعتبارات **فنصفه بالحروف النون** من : ﴿ نُكْرًا ﴾ في الكهف ، والكاف من النصف الثاني .

* **ونصفه بالكلمات** : الدال من قوله : ﴿ وَٱلْجُلُودُ ﴾ في الحج ، وقوله ﴿ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ ﴾ من النصف الثاني .

ونصفه بالآيات : ياء : ﴿ يَأْفِكُونَ ﴾ من سورة الشعراء ، وقوله ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ ﴾ من النصف الثاني .

* **ونصفه على عدد السور** : آخر الحديد ، والمجادلة من النصف الثاني .

وهو عشرة بالأحزاب ، وقيل : النصف بالحروف الكاف من : ﴿ نُكْرًا ﴾ وقيل : الفاء من قوله : ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾ .

* **وأما آياته** : فعددها ستة آلاف ومائتان وست وثلاثون آية ، وهذا على حسب المصحف الأميري الذي طبعته الحكومة المصرية عام (١٣٤٢ هـ) قال الإمام الداني : أجمعوا على أن عدد آيات القرآن ستة آلاف آية ، ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك ، فمنهم من لم يزد ، ومنهم من قال : ومائتا آية وأربع آيات ، وقيل : وأربع عشر ، وقيل وتسع عشرة ، وقيل : وخمس وعشرون ،

وقيل : وست وثلاثون .. اهـ[أ] .

وتختلف الأعداد التي يعدون بها في سائر الآفاق إلى ستة أو سبعة ؛ كالعدد الكوفي ، والعدد البصري ، والعدد المكي ، والعدد المدني .. إلخ .

ويعلم كل ذلك من كتب القراءات ، وقد بيَّن ذلك شيخ المقارئ المصرية سابقًا الشيخ محمد بن علي بن خلف الحداد رحمه الله تعالى في كتابه سعادة الدارين في بيان وعدِّ آي معجز الثقلين ، فارجع إليه إن شئت ، فإن معرفة الآيات ضرورية ، ولها جملة فوائد لم نتعرض لذكرها خوف التطويل .

قال السخاوي في جمال القراء : فإن قيل : فما الواجب لاختلافهم في عدد آي القرآن ؟

(قلت) : النقل والتوقيف (فإن قيل) فلو كان ذلك توقيفيًا لم يقع اختلاف (قلت) : الأمر في ذلك على نحو من اختلاف القراءات ، وكلها مع الاختلاف راجع للنقل ... إلخ .

* **وأما عدد كلماته** : فقيل : سبع وسبعون ألف كلمة وتسعمائة وأربع وثلاثون كلمة ، وقيل : وأربعمائة وسبع وثلاثون ، قال السيوطي : وسبب هذا الاختلاف في عد الكلمات : أن الكلمة لها حقيقة ومجاز ولفظ ورسم واعتبار كل منها جائز وكل من العلماء اعتبر أحد الجوائز[ب] .

* **وأما عدد حروفه** : فقيل : ثلاثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرون ألف

[أ] البرهان في علوم القرآن ١ / ٢٤٩ ، تفسير ابن كثير ١ / ٨ ، الإتقان في علوم القرآن ١ / ٢٤٩ .
[ب] البرهان في علوم القرآن ١ / ٨٢٥٢ ، الإتقان في علوم القرآن ١ / ١٩٠ ، مناهل العرفان ١ / ٢٤١ .

حرف وستمائة حرف وسبعون حرفًا ، وقيل : غير ذلك[أ] .

قال السيوطي : والاشتغال باستيعاب ذلك مما لا طائل تحته ، وقد استوعبه ابن الجوزي في فنون الأفنان وعد الأنصاف والأثلاث إلى الأعشار وأوسع القول في ذلك فراجعه منه .. اهـ[ب] .

وذكر بعضهم أن في القرآن كذا وكذا من الألف ، وكذا وكذا من الباء ، وكذا وكذا من التاء ، وهلم جرًا إلى آخر الحروف الهجائية .

وفي أول حاشية الجمل على تفسير الجلالين بيان عدد كل ذلك وقال فيه : إن عدد جلالات القرآن ألفان وستمائة وأربعة وستون[ج] .

وقد ذكر أيضًا ابن كثير رحمه الله تعالى في أول تفسيره عدد آيات القرآن وكلماته وحروفه[د] .

وقد ذكر بعضهم : أن عدة النقط على حروفه ألف ألف وخمس وعشرون ألفًا وثلاثون نقطة ، كما جاء ذلك في حاشية أسنى المطالب .

والحقيقة أن عدَّ كلمات القرآن وحروفه أمر لا يستهان به ، إذ يحتاج إلى صبر وجلَد عظيمين وإلى انتباه تام فقلَّ من يتصدى لذلك[هـ] .

[أ] البرهان في علوم القرآن ١ / ٢٤٩ ، تفسير ابن كثير ١ / ٨ ، تفسير القرطبي ١ / ٦٤ .

[ب] الإتقان في علوم القرآن ١ / ١٩٠ .

[ج] ذكره أيضا الكرمي في الناسخ والمنسوخ ١ / ٢٤٠.

[د] تفسير ابن كثير ١ / ٨ .

[هـ] كان هذا على عهد المؤلف أما الآن فيمكن حصر كل ذلك من خلال الحاسب الآلي وبسهولة .

الخاتمة

وفيها خمس فوائد :

[الفائدة الأولى : في فضائل القرآن

الفائدة الثانية : في الإكثار من تلاوة القرآن الكريم

الفائدة الثالثة : في تجويد القرآن العظيم

الفائدة الرابعة :في آداب تلاوة القرآن

الفائدة الخامسة : في آداب كتابة القرآن]

الفائدة الأولى

في فضائل القرآن

اعلم أن حفظ القرآن في الصدور فرض كفاية على الأمة وكذلك تعليمه ، أما نسيانه فكبيرة كما صرح به النووي في الروضة وغيرها لحديث أبي داود : وغيره : « عرضت عليَّ ذنوب أمتي فلم أر ذنبًا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها »[أ] .

وفي الصحيحين : « تعاهدوا القرآن ، فوالذي نفس محمد بيده لهو أشدُّ تفلُّتًا من الإبل في عُقُلها »[ب] .

وفيهما أيضًا : « مثَل القرآن مثَل الإبل المعَقَّلة ، إن عَقَّلها صاحبها أمسكها ، وإن تركها ذهبت »[ج] .

أخرج الشيخان : « لا حسد إلا في اثنتين : رجل علّمه الله القرآن ؛ فهو يتلوه آناء الليل والنهار ، فسمعه جار له فقال : ليتني أوتيت ما أوتي فلان

[أ] أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب في كنس المسجد (٤٦١) عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : .. به . والترمذي في كتاب فضائل القرآن ، باب ١٩ (٢٩١٦) عن أنس بن مالك : .. به ، وقال أبو عيسى : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، قال وذاكرت به محمد بن إسماعيل واستغربه ، قال محمد : ولا أعرف للمطلب بن عبد الله سماعا من أحد من أصحاب النبي ﷺ إلا قوله حدثني من شهد خطبة النبي ﷺ قال وسمعت عبد الله بن عبد الرحمن يقول لا نعرف للمطلب سماعا من أحد من أصحاب النبي ﷺ قال عبد الله وأنكر علي بن المديني أن يكون المطلب سمع من أنس .

[ب] أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب استذكار القرآن وتعاهده (٥٠٣٣) عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : .. به .

[ج] أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب استذكار القرآن وتعاهده (٥٠٣١) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : .. به ، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين ، باب الأمر بتعهد القرآن وكراهة قول نسيت آية كذا وجواز قول أنسيتها (٧٨٨) بإسناده .

فعملت مثل ما يعمل ، ورجل آتاه الله مالًا ، فهو يهلكه في الحق ، فقال رجل : ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل »[أ] .

وأخرج الشيخان أيضًا وغيرهما : « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران »[ب] .

وأخرج أحمد والترمذي : « ما من مسلم يأخذ مضجعه فيقرأ سورة من كتاب الله تعالى إلا وكَّلَ الله به ملكًا يحفظه ، فلا يقربه شيء يؤذيه حتى يهب متى هبَّ »[ج] .

وأخرج أحمد من حديث معاذ بن أنس : « من قرأ القرآن في سبيل الله كتب مع الصدِّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا »[د] .

[أ] أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب اغتباط صاحب القرآن (٥٠٢٦) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : .. به ، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها (٨١٥) بإسناده .

[ب] أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتتعتع فيه (٧٩٨) عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : .. به ، والبخاري في كتاب التوحيد تعليقا .

[ج] أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات ، باب ٢٣ (٣٤٠٧) عن رجل من بني حنظلة قال : صحبت شداد بن أوس رضي الله عنه في سفر فقال : ألا أعلمك ما كان رسول الله ﷺ يعلمنا أن نقول : اللهم إني أسألك الثبات في الأمر ، وأسألك عزيمة الرشد ، وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك ، وأسألك لسانا صادقا وقلبا سليما ، وأعوذ بك من شر ما تعلم ، وأسألك من خير ما تعلم ، وأستغفرك مما تعلم إنك أنت علام الغيوب ، قال : وكان رسول الله ﷺ يقول : .. به ، وقال أبو عيسى : هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه والجريري هو سعيد بن إياس أبو مسعود الجريري وأبو العلاء اسمه يزيد بن عبد الله بن الشخير . وأحمد في مسنده (٤ / ١٢٥) عن أبي العلاء بن الشخير عن الحنظلي عن شداد بن أوس قال قال رسول الله ﷺ : .. به .

[د] أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ١٦٢) عن معاذ بن أنس عن رسول الله ﷺ قال : .. به ، وقال : رواه أحمد وفيه زبان بن فائد وهو ضعيف ، ولم أجده عند أحمد في مسنده .

وأخرج مسلم من حديث جابر بن عبد الله : «خير الحديث كتاب الله »[أ] .. إلخ .

وأخرج البخاري عن عثمان بن عفان قال : قال النبي ﷺ : « إن أفضلكم من تعلَّم القرآن وعلَّمه »[ب] .

وأخرج النَّسائي وغيره من حديث أنس قال : أهل القرآن هم أهل الله وخاصته[ج] .

وأخرج الطبراني من حديث أنس : حملة القرآن عرفاء أهل الجنة .

وأخرج الطبراني من حديث أنس أيضًا : من قرأ القرآن يقوم به آناء الليل والنهار يحلُّ حلاله ، ويحرِّم حرامه ؛ حرَّم الله لحمه ودمه على النار ، وجعله مع السفرة الكرام البررة ، حتى إذا كان يوم القيمة كان القرآن حجة له[د] .

وأخرج مسلم : « اقرؤا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه »[هـ].

[أ] أخرجه مسلم في كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة (٨٦٧) عن جابر بن عبد الله قال : كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول : صبحكم ومساكم ، ويقول : بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى ، ويقول : أما بعد : فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ، ثم يقول : أنا أولى بكل مؤمن من نفسه ، من ترك مالا فلأهله ، ومن ترك دينا أو ضياعا فإلي وعلي .

[ب] أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه (٥٠٢٧) عن عثمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : .. به .

[ج] أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٨٠٣١) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ : إن لله أهلين من خلقه قالوا : ومن هم يا رسول الله ؟ قال : .. به .

[د] أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (٢ / ٢٥٤ ح ١١٢٠) عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ : .. به ، والهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ١٧٠) بإسناده ، وقال : رواه الطبراني في الصغير وفيه خليد بن دعلج ضعفه أحمد ويحيى والنسائي ، وقال أبو حاتم : صالح ليس بالمتين وقال ابن عدي : عامة حديثه تابعه عليه غيره .

[هـ] أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (٨٠٤) عن أبي أمامة الباهلي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : .. به .

وأخرج الحاكم من حديث عبد الله بن عمر : « الصيام والقرآن يشفعان للعبد »[أ] .

وأخرج الديلي من حديث عليٍّ : حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله[ب] .

وأخرج الحاكم من حديث أبي هريرة : « يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن : يارب حلِّه ؛ فيلبس تاج الكرامة ، ثم يقول : يارب زده ، يارب ارض عنه ، فيرضى عنه ، ويقال له : اقرأ وارْقَ ، ويزاد له بكل آية حسنة[ج] .

وأخرج البيهقي من حديث عائشة : « البيت الذي يقرأ فيه القرآن يتراءى لأهل السماء كما تتراءى النجوم لأهل الأرض »[د] .

وأخرج ابن ماجه وغيره من حديث ابن مسعود : « عليكم بالشفاءين : العسل ، والقرآن »[هـ] .

[أ] أخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٧٤٠) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : .. به ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

[ب] ذكره العجلوني في كشف الخفاء (١ / ٧٦) وقال : رواه أبو النصر عبد الكريم بن محمد الشيرازي في فوائده وابن النجار في تاريخه عن علي رضي الله عنه رفعه قال المناوي ضعيف .

[ج] أخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٧٣٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : .. به ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

[د] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٢ / ٢٦٥ ح ١٩٨٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : .. به .

[هـ] أخرجه ابن ماجه في كتاب الطب ، باب العسل (٣٤٥٢) عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : .. به ، وقال صاحب مصباح الزجاجة (٤ / ٥٥) هذا إسناد صحيح رجاله ثقات رواه الحاكم في المستدرك من طريق محمد بن إسحاق عن علي بن سلمة لا به وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين .

وأخرج أيضًا من حديث عليٍّ : « خير الدواء القرآن »[أ] .

وأخرج البيهقي في الشعب عن واثلة بن الأسقع : أن رجلًا شكى النبي ﷺ وجع حلقه قال : « عليك بقراءة القرآن » [ب] .

وأخرج الطبراني من حديث ابن عمر : « ثلاثة لا يهولهم الفزع الأكبر ، ولا ينالهم الحساب ، هم على كثيب من مسك حتى يفرغ من حساب الخلائق : رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله ، وأمَّ به قومًا وهم به راضون .. »[ج] الحديث .

وأخرج الشيخان : « مثَل الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ؛ طعمها طيب وريحها طيب ، والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مرٌّ ، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مرٌّ ولا ريح لها »[د] .

وأخرج مسلم : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ؛ إلا تنزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده »[هـ] .

[أ] أخرجه ابن ماجه في كتاب الطب ، باب الاستشفاء بالقرآن (٣٥٠١) عن علي قال : قال رسول الله ﷺ : .. به .

[ب] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢ / ٥١٩ ح ٢٥٨٠) عن واثلة بن الأسقع : .. به .

[ج] أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٩ / ١١٣ ح ٩٢٨٠) عن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ : .. به ، والهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٣٢٧) وقال : رواه الترمذي باختصار وقد رواه الطبراني في الأوسط والصغير وفيه عبد الصمد بن عبد العزيز المقري ذكره ابن حبان في الثقات .

[د] أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة ، باب فضل القرآن على سائر الكلام (٥٠٢٠) عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال : .. به .

[هـ] أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر =

وقال رسول الله ﷺ : « يقال لصاحب القرآن اقرا وارْق ورتِّل كما كنت ترتل في الدنيا ؛ فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها »[أ] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « يقول الله تعالى : من شغله قراءة القرآن عن دعائي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين »[ب] .

وقال ﷺ : « إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين[ج] . رواه مسلم .

وعن أنس مرفوعًا : « سبع يجري للعبد أجرهن بعد موته وهو في قبره : من علّم علمًا ، أو أجرى نهرًا ، أو حفر بئرًا ، أو غرس نخلًا ، أو بني مسجدًا ، أو ترك ولدًا يستغفر له من بعد موته ، أو ورَّث مصحفًا » . رواه ابن ماجه وغيره[د] .

هذه نبذة مما ورد في فضائل القرآن جملة ، وقد ورد كثير من الأحاديث في فضل سور بعينها لم نذكرها خوف التطويل .

= (٢٦٩٩) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله : .. به .

[أ] أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ١٩٢) عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : .. به .

[ب] أخرجه الدارمي في كتاب فضائل القرآن ، باب فضل كلام الله على سائر الكلام (٣٣٥٦) عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : .. به .

[ج] أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه فضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها (٨١٧) عن عامر بن واثلة أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بعسفان وكان عمر يستعمله على مكة فقال : من استعملت على أهل الوادي ؟ فقال : ابن أبزي قال : ومن بن أبزي ؟ قال مولى من موالينا ، قال : فاستخلفت عليهم مولى ؟ قال : إنه قارئ لكتاب الله عز وجل وإنه عالم بالفرائض ، قال عمر : أما إن نبيكم ﷺ قد قال : .. به .

[د] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣ / ٢٤٨ ح ٣٤٤٩) عن أنس قال قال رسول الله : .. به .

الفائدة الثانية

في الإكثار من تلاوة القرآن الكريم

ذكر الإله للقلوب قوت إذا انتفى فإنها تموت

يستحب الإكثار من تلاوة القرآن ، قال الله تعالى مثنيًا على تاليه : ﴿ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ ﴾ [آل عمران : ١١٣] وقال : ﴿ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٨] أي تشهده الملائكة

وقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر : ٢٩ ، ٣٠]

وقال : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص : ٢٩] وقال : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر : ٢٣] .

وقال رسول الله ﷺ : « اقرأوا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه » رواه مسلم في صحيحه[أ] .

وأخرج البيهقي من حديث النعمان بن بشير : « أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن »[ب] .

[أ] أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (٨٠٤) عن أبي أمامة الباهلي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : .. به .

[ب] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢ / ٣٥٤ ح ٢٠٢٢) عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ : .. به .

وفي الحديث : « يقول الله تعالى : من شغله قراءة القرآن عن دعائي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين »[أ] .

وفي البخاري : اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ، فإذا اختلفتم فقوموا عنه »[ب] .

وروى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : « أوصيك بتقوى الله تعالى فإنه رأس كل شيء ، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام ، وعليك بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن فإنه رَوْحك(١) في السماء وذكرك في الأرض »[ج] .

قال الليث في البستان : ينبغي للقارئ أن يختم في السنة مرتين إن لم يقدر على الزيادة .

وروي عن أبي حنيفة أنه قال : من قرأ القرآن في كل سنة مرتين فقد أدى حقه ؛ لأن النبي ﷺ عرض على جبريل في السنة التي قبض فيها مرتين[د] .

وقال غيره : يكره تأخير ختمه أكثر من أربعين يومًا بلا عذر نص عليه أحمد ؛

---

(١) قال العزيزى على الجامع الصغير : روحك بفتح الراء أي راحتك .

[أ] أخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٧٣٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : .. به ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

[ب] أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم (٥٠٦٠) عن جندب بن عبد الله عن النبي ﷺ قال : .. به .

[ج] أخرجه أحمد في مسنده (٣ / ٨٢) عن أبي سعيد الخدري أن رجلا جاء فقال : أوصني ، فقال : سألت عما سألت عنه رسول الله ﷺ من قبلك ، فقال : .. به .

[د] ذكر ذلك المليباري في فتح المعين (١ / ٢٥٢) .

لأن عبد الله بن عمرو سأل النبي ﷺ : في كم نختم القرآن ؟ قال : في أربعين يومًا . رواه أبو داود[أ] .

وأخرج الشيخان عن عبد الله بن عمرو قال : قال لي رسول الله ﷺ اقرأ القرآن في شهر ، قلت : إني أجد قوة ، قال : اقرأه في عشر ، قلت : إني أجد قوة ، قال : اقرأه في سبع ولا تزد على ذلك »[ب] .

قال النووي في الأذكار : المختار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص ، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف ، فليقتصر على قدر يحصل له معه كمال فهم ما يقرأ ، وكذلك من كان مشغولًا بنشر العلم أو فصل الحكومات أو غير ذلك من مهمات الدين والمصالح العامة ؛ فليتقصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له ولا فوات كماله وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حدِّ الملل أو الهذرمة في القراءة .. اهـ[ج] .

وقد كره غير واحد من السلف قراءة القرآن في أقل من ثلاث لقوله ﷺ : « من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقه »[د] .

[أ] أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب تحزيب القرآن (١٣٩٥) عن عبد الله بن عمرو أنه سأل النبي ﷺ : .. به .

[ب] أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب في كم يقرأ القرآن (٥٠٥٤) عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : .. به .

[ج] النووي في التبيان في آداب حملة القرآن (١ / ٣٢) والسيوطي في الإتقان في علوم القرآن (١ / ٢٧٩)

[د] أخرجه الترمذي في كتاب القراءات ، باب ١٣ (٢٩٤٩) عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال : .. به ، وقال أبو عيسى : هذا حديث صحيح .

ونهى عليه الصلاة والسلام عن الهَذْرَمَة بالقرآن(١)[أ] .

وعن أبي حمزة قال : قلت لابن عباس : إني سريع القراءة ، وإني أقرأ القرآن في ثلاث ، فقال : لأن أقرأ البقرة في ليلة فأدَّبرها وأرتلها أحب إليَّ من أن أقرأ كما تقول[ب] .

وفي تفسير ابن كثير : قال الأعمش : عن أبي وائل عن ابن مسعود قال : كان الرجل مِنَّا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهنَّ والعمل بهنَّ[ج] .

وقال أبو عبد الرحمن السلمي : حدثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ ، وكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل ، فتعلمنا القرآن والعمل جميعًا .. اهـ[د] .

(١) هذر في منطقه : خلط ، والهذر بفتحتين : الهذيان .

[أ] لم أعثر عليه بلفظه فيما بين يدي من مراجع .
[ب] ذكره البيهقي في السنن الكبرى (٢ / ٥٤) بلفظه وإسناده .
[ج] تفسير ابن كثير ١ / ٤ .
[د] تفسير ابن كثير ١ / ٤ ، الطبقات الكبرى ٦ / ١٧٢ .

الفائدة الثالثة

في تجويد القرآن العظيم

قال في « عنوان البيان » : فرض الله تعالى على الأمة ضبط القرآن وتعلُّمه وروايته على الوجه الذي نزل به ، بمعنى أنه يجب أن يكون في كل عصر طائفة من الأمة تبلغ حدَّ التواتر ، يقومون بتحمله وروايته باللغة التي نزل بها ، ويحفظونه من التحريف والتغيير والتبديل ، وأن يكون فيهم من يعرف أوجه القراءات والطرق والكيفيات المتلقاة من أفواه المشايخ طبقة عن طبقة إلى رسول الله ﷺ .

ثم قال : وقد أجمعوا على أن النقص في كيفية القرآن وهيئته كالنقص في ذاته ومادّته فترك المدِّ والغنة والتفخيم والترقيق كترك حروفه وكلماته ، ومن هنا وجب تجويد القرآن كما قال ابن الجزري .

والأخذ بالتجويد حتم لازم ... من لم يجوّد القرآن آثم
لأنه به الإله أنزلا ... وهكذا منه إلينا وصلا

والتجويد : هو إعطاء الحروف حقها وترتيلها ، ورد كل حرف إلى مخرجه وأصله ، وتلطيف النطق به على كمال هيئته من غير إسراف ولا تعسّف ولا إفراط ولا تكلف ، قال ابن الجزري : ولا أعلم لبلوغ النهاية في التجويد مثل رياضة الألسنة والتكرار على اللفظ المتلقى من فم المحسن .

ثم قال : وأهل الصدر الأول ما كانوا يقرأون القرآن ولا يعلمونه الأطفال إلا مرتلًا مجودًا حتى لا يخرج الصبي من المكتب إلاَّ على رياضة تامة ومعرفة بتلاوة القرآن ، وترتيله لا ينقصه إلا معرفة الأحكام والاصطلاحات الفنية التي يسمونها الآن علم التجويد .

الفائدة الرابعة

في آداب تلاوة القرآن

يستحب الترتيل في القراءة قال الله تعالى : ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل : ٤] لأنه أقرب إلى الإجلال والتوقير وأشد تأثيرًا في القلب .

قال ابن مسعود : لا تنثروه نثر الدَّقَل(١) ولا تَهذّوه هذَّ الشِّعر(٢) ، قفوا عند عجائبه ، وحركوا به القلوب ، ولا يكون همُّ أحدكم آخر السورة[أ] .

قال الشيخ الأخضري رحمه الله تعالى :

وإنما يتلى بالارعواء والحزن والخشوع والبكاء
فواجب تقديس ذكر الله عن فعل كل عابث ولاه

أخرج البيهقي من حديث ابن عمر مرفوعًا : « من قرأ القرآن فأعربه ؛ كان له بكل حرف عشرون حسنة ، ومن قرأه بغير إعراب كان له بكل حرف عشر حسنات »[ب] ، والمراد بإعرابه : معرفة معاني ألفاظه .

ويستحب : تحسين الصوت بالقراءة لقوله ﷺ : « زيِّنوا القرآن بأصواتكم » رواه ابن ماجة[ج] .

---

(١) الدقل بفتحتين : أردأ التمر .

(٢) هَذَّ قراءته هذًّا أسرع فيها وهو بالذال المعجمة .

[أ] ذكره البغوي في تفسيره (٤ / ٤٠٧) والسيوطي في الإتقان (١ / ٥٠١) .

[ب] أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٦ / ٣٤٩) عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : .. به ، وقال غريب في حديث مالك تفرد به عبد الرحمن .

[ج] أخرجه ابن ماجه في كتاب الصلاة ، باب في حسن الصوت بالقرآن (١٣٤٢) عن عبد الرحمن بن عوسجة قال : سمعت البراء بن عازب يحدث قال : قال رسول الله ﷺ : .. به .

وروى مسلم عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال له : يا أبا موسى لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة ، فقال : أما والله لو أعلم أنك تستمع قراءتي لحبَّرتها لك تحبيرا[أ] ، وقال الزهري : عن أبي سلمة كان عمر إذا رأى أبا موسى قال : ذكِّرنا ربنا يا أبا موسى فيقرأ عنده .

وقال النبي ﷺ فيه : « لقد أوتي مزمارًا من مزامير آل داود »[ب] .

وقال عثمان النهدي : كان أبو موسى يصلي بنا ، فلو قلت إني لم أسمع صوت صنج قط ، ولا بَرْبَط قط[١] ولا شيئا قط أحسن من صوته[ج] .

والحقيقة أن قراءة القرآن بالصوت الحسن تهيِّج الأرواح وتحرك القلوب وتوقظ النفس عن غفلتها وتطرد الملل والسآمة عن الفؤاد ، هذا إذا كان في حدود التوقير والتعظيم ، أما ما كان في قالب الطرب والغناء فهو المنهى عنه ، قال ابن كثير في كتاب فضائل القرآن : فأما الأصوات بالنغمات المحدثة المركبة على الأوزان والأوضاع الملهية والقانون الموسيقائي ؛ فالقرآن ينزه عن هذا ويجل ويعظم أن يسلك في أدائه هذا المذهب ، وقد جاءت السنة بالزجر عن ذلك .. اهـ

---

(١) الصنج والبربط آلتان من آلات اللهو .

[أ] أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن (٧٩٣) عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ لأبي موسى : .. به .

[ب] أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٦ / ١٦٨ ح ٧١٩٦) عن ابن شهاب أن أبا سلمة بن عبد الرحمن أخبره أن أبا هريرة حدثه : أن رسول الله ﷺ سمع قراءة أبي موسى الأشعري فقال قد أوتي هذا من مزامير آل داود قال أبو سلمة وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأبي موسى وهو جالس في المجلس : يا أبا موسى ذكرنا ربنا ؛ فيقرأ عنده أبو موسى وهو جالس في المجلس ويتلاحن .

[ج] ذكره ابن سعد في كتاب الطبقات (٤ / ١٠٨) .

قال بعضهم :

واحذر من التطريب كالغناء واحذر من التحزين للرياء
واحذر من الترعيد والتحريف فإن ذا من سائر التحريف

قال الرافعي في كتابه إعجاز القرآن : التطريب : هو أن يترنم بالقرآن ويتنغم به ، فيمد في غير مواضع المد ، ويزيد في المد إن أصاب موضعه .

والتحزين : هو أن يأتي بالقراءة على وجه حزين يكاد يبكي من خشوع وخضوع(١) .

والترعيد : هو أن يرعد القارئ صوته كأنه يرعَد من البرد أو الألم .. اهـ .

وقال أيضًا رحمه الله فيه : أول ما ظهرت القراءة بألحان الغناء كان في المائة الثانية ، وكان ممن يقرأ بهذه الألحان الهَيْثَم وأبَان وابن أعْيَن ومحمد ابن سعيد ، وهذا من أهل المائة الثالثة .. اهـ .

ويسن الاستماع لقراءة القرآن وترك اللغط والحديث ، لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠٤] .

ويسن أن يستاك عند القراءة فقد ورد : « إنَّ أفواهكم طرق للقرآن فطيبوها بالسواك »[أ] وأن يجلس مستقبل القبلة بسكينة ووقار ، وأن تكون القراءة في

---

(١) القراءة بالحزن والخشوع بنية صادقة لا تكره ، وإنما تكره للرياء كما هو صريح في البيتين .

[أ] أخرجه ابن ماجه في كتاب الصلاة ، باب السواك (٢٩١) عن علي بن أبي طالب قال : .. به ، وقال في مصباح الزجاجة : هذا إسناد ضعيف لانقطاعه بين سعيد وعلي ولضعف بحر رواية رواه البزار بسند جيد لا بأس به مرفوعا ولعل من وثقه أشبه ، ورواه البيهقي في الكبرى من طريق عبد الرحمن السلمي عن علي موقوفا .

مكان لائق والمسجد أفضل لأنه مكان العبادة .

ويسن التعوذ قبل القراءة لقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل : ٩٨] وصفة التعوذ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وكان جماعة من السلف يزيدون السميع العليم ؛ أي يقولون : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم . وبعد التعوذ يأتي بالبسملة أول كل سورة غير براءة .

ويسن التكبير من خاتمة والضحى إلى خاتمة ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ وصفة التكبير أن يقف القارئ بعد كل سورة وقفة لطيفة ويقول الله أكبر ، وقيل : لا إله إلا الله والله أكبر .

ويسن إذا فرغ من الختمة أن يشرع في أخرى عقب الختم لحديث الترمذي وغيره : « أحب الأعمال إلى الله الحالّ المرتحل ، الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره ، كلما حلَّ ارتحل[أ] » .

وأخرج الدارمي بسند حسن عن ابن عباس عن أبيّ بن كعب أن النبي ﷺ كان إذا قرأ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ افتتح من الحمد ، ثم قرأ من البقرة

[أ] أخرجه الترمذي في كتاب التفسير ، باب ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف (٢٩٤٨) عن ابن عباس قال : قال رجل : يا رسول الله أي العمل أحب إلى الله ؟ قال : الحال المرتحل ، قال : وما الحال المرتحل ؟ قال : الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره ، كلما حل ارتحل . قال أبو عيسى : هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه وإسناده ليس بالقوي . حدثنا محمد بن بشار حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا صالح المري عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن النبي ﷺ نحوه ولم يذكر فيه عن ابن عباس قال أبو عيسى وهذا عندي أصح من حديث نصر بن علي عن الهيثم بن الربيع .

إلى ﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ ثم دعا بدعاء الختمة ثم قام[أ] .

(والدعاء) عند الختم مستجاب وعنده تنزل الرحمة ، قال الإمام النووي : يستحب الدعاء بعد قراءة القرآن استحبابًا ويتأكد تأكيدًا شديدًا ، وقد نص الإمام أحمد على استحبابه أيضًا ، أخرج الطبراني عن العرباض بن سارية مرفوعًا : « من ختم القرآن فله دعوة مستجابة[ب] » .

وأخرج أيضًا عن أنس : أنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا[ج] .

لذلك كانوا يجتمعون عند ختمه .

(والأفضل) ختم القرآن أول النهار أو أول الليل ؛ لما رواه الدارمي بسند حسن عن سعد بن أبي وقاص قال : إذا وافق ختم القرآن أول الليل صَلَّت عليه الملائكة حتى يصبح ، وإن وافق ختمه أول النهار صَلَّت عليه الملائكة حتى يمسي[د] .

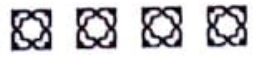

[أ] لم أعثر عليه فيما بين يدي من مراجع .

[ب] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٨ / ٢٥٩ ح ٦٤٧) عن العرباض بن سارية قال : قال رسول الله ﷺ : من صلى صلاة فريضة فله دعوة مستجابة ، ومن ختم القرآن فله دعوة مستجابة ، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ١٧٢) وقال : رواه الطبراني وفيه عبد الحميد بن سليمان وهو ضعيف .

[ج] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١ / ٢٤٢ ح ٦٧٤) عن ثابت أن أنس بن مالك كان إذا ختم القرآن : .. به ، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ١٧٢) وقال : رواه الطبراي ورجاله ثقات .

[د] أخرجه الدارمي في كتاب فضائل القرآن ، باب في ختم القرآن (٣٤٨٣) عن سعد قال : .. به .

دعاء ختم القرآن

نأتي هنا بدعاء جامع اقتبسناه من جملة أدعية مأثورة وهو :

اللهم ارحمني بالقرآن واجعله لي إمامًا ونورًا وهدى ورحمة ، اللهم ذكرني منه ما نسيتُ ، وعلمني منه ما جهلتُ ، وارزقني تلاوتَه آناء الليل وأطرافَ النهار ، واجعلْه لي حجة يارب العالمين ، اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمةُ أمري ، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي فيها مَعادي ، واجعل الحياةَ زيادة لي في كل خير ، واجعل الموتَ راحة لي من كل شر ، اللهم اجعل خير عمري آخره ، وخير عملي خواتمه ، وخير أيامي يومَ ألقاك فيه ، اللهم إني أسألك عيشة هنية ، وميتة سوية ، ومردًّا غير مخزي ولا فاضح ، اللهم إني أسألك خير المسألة ، وخير الدعاء ، وخير النجاح ، وخير العمل ، وخير الثواب ، وخير الحياة ، وخير الممات ، وثبتني وثقِّلْ موازيني وحقق إيماني ، وارفعْ درجتي ، وتقبلْ صلاتي ، واغفر خطيآتي ، وأسألك العلا من الجنة ، اللهم إني أسألك أن ترفع ذكري ، وتضع وزري ، وتصلح أمري ، وتطهر قلبي وتحصن فرجي ، وتنور قلبي ، وتغفر ذنبي ، اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر

همنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا ، اللهم إني أسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والسلامة من كل إثم ، والغنيمة من كل بر ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، اللهم لا تدع لنا ذنبًا إلا غفرته ، ولا همًّا إلا فرجته ، ولا دينًا إلا قضيته ، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا قضيتها يا ارحم الرحمين ، اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا (آمين) .

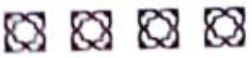

الفائدة الخامسة

في آداب كتابة القرآن

لكتابة القرآن الكريم آداب كثيرة :

منها : أن يكون الكاتب على وضوء بل هذا واجب على البالغ العاقل .

ومنها : أن يكون على نظافة في الثوب والبدن والمكان .

ومنها : أن يحسن خطه فقد ورد : « من كتب بسم الله الرحمن الرحيم مجودة غفر له »[أ] .

وورد أنه ﷺ قال لكاتبه : « ألقِ الدواة ، وحرِّف القلم ، وانصب الباء ، وفرق السين ، ولا تعوِّر الميم ، وحسِّن الله ، ومد الرحمن وجَوِّدِ الرحيم »[ب] .

وقد شرحنا هذين الحديثين وغيرهما في أول كتابنا تاريخ الخط العربي وآدابه المطبوع بمصر شرحًا دقيقًا فنيًّا لم يطرقه قبلنا أحد فانظره فيه ؛ فإنه مبحث نفيس

ومنها : أن يكتبه بحسب الرسم العثماني ؛ فاتباع رسمه واجب كما سبق بيان ذلك في هذا الكتاب .

ومنها : أن يكتبه بحروف بحيث يقرأ بالبصر الصحيح من غير مشقة في تلاوته .

[أ] لم أعثر عليه بهذا اللفظ فيما بين يدي من مراجع ، وقد ذكر نحوه الذهبي في ميزان الاعتدال (٤ / ٥٢) في ترجمة العباس بن الضحاك البلخي ، وقال : قال ابن حبان : شيخ دجال قل من كتب عنه ، ولفظه : عباس بن الضحاك حدثنا عبد الله بن عمر بن الرماح حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعا : من كتب بسم الله الرحمن الرحيم ولم يعور الهاء كتب الله له ألف حسنة ورفع له ألف ألف درجة . وقال : فالمبتدئ يعلم أن هذا موضوع .

[ب] ذكره السمعاني في كتاب أدب الإملاء والاستملاء (١ / ١٧٠) عن مكحول قال : قال معاوية كنت أكتب بين يدي رسول الله ﷺ فقال : يا معاوية ، ألق الدواة : .. به .

وقد نظم آداب كتابة القرآن الشيخ محمد العاقب الشنقيطي رحمه الله تعالى في قوله :

مما به يهتم كل مسلم ضبط كتابة الكتاب المحكم
فاستقر ما لها من الآداب واعمل به تسلم من العتاب
قبل الشروع ألقِ الدواة بصوفة وحرف الأداة
وإن أردت كتبه في رق أو غيره فاكتبه دون مشق
وحسن الخط ولا تحرفا نقط الحروف والحروف جوفا
كي لا تجى أسطره مخلطه ولا ترى حروفه مقرمطه
وكتبه في الصحف الصغار يكره كالكتب على الجدار
وكتبه على محل يوطأ أو محوه فيه فذاك خطأ
ومن يعظم حرمات الله فإن ذاك من تقى الإله

قوله : فاكتبه دون مَشَقْ : أي لا تسرع في الكتابة .

وإني أستغفر الله العظيم من هفوة القلم وزلة القدم فإنه غفور رحيم . وليكن خاتم الكتاب بأربعة أبيات من نظمي إقراراً بوحدانية الله راجيا منه تعالى أن يثبتني بالقول الثابت في الحيات الدنيا وفي الآخرة بفضله ورحمته وهي :

الأمر لله ليس الأمر لفلك ولا لزيد ولا عمرو ولا ملك
ما شاء كان ومالم لم يكن أبدا فما هنالك مخلوق بمشترك
تنزه الله عن أهل وعن ولد وعن شريك فما في الأمر من شك
إليه وجهت وجهي دائماً أبدا له صلاتي وصومي مخلصاً نسكي

تنبيه

كثير من الخطاطين إذا أرادوا أن يكتبوا شيئًا من القرآن على ورق أو لوح أو نحوهما يركبون الكلمات بعضها فوق بعض مباعدين حروفها بحيث تصعب قراءتها على من لم يحفظ القرآن ، وهذا كما لا يخفى لا يجوز لحصول اللبس والاشتباه في القراءة ، والسبب في كتابتهم بهذه الصورة : أنهم ينظرون إلى جمال التركيب الخطي فقط غير ناظرين إلى تفرقة أجزاء الكلمات القرآنية ، وهذا خطأ فاحش نلفت نظرهم إليه ، على أن قليلًا من العناية والتأمل يهديهم إلى جمال التركيب مع عدم تفرقة الحروف ، والله الموفق للصواب .

نسأل الله الحي القيوم الذي لا يموت أن يعاملنا بما هو أهله ، وأن يسترنا في الدارين ، ويجعلنا من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، وأدخلنا الجنة مع الأبرار ، آمين .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين

ولقد كان طبعه على نفقة الفاضل الشيخ مصطفى محمد يغمور بمكة . ومن عجيب الاتفاق أن تمام طبع هذا الكتاب كان في يوم سفر مؤلفه من جدة إلى مصر وكردستان للزيارة وهو يوم الجمعة الموافق عشرين شعبان عام ألف وثلاثمائة وخمس وستين من الهجرة النبوية ، وأن طبعه بهذا الرونق الجميل وظهوره بهذا الشكل البديع كان في مطبعة الفتح الوطنية لصاحبها المحترم الشيخ عبد الرحيم عبد الفتاح بجدة بالحجاز .

*** قال محمد طاهر الكردي المكي الخطاط مؤلف هذا الكتاب : في الحكم والأمثال :**

* حركات المرء تدل على عقله ، حفظ المعروف من المروءة .
* لا تهد شيئًا لمن لا يقدره .
* تقدير الأعمال يزيد نشاط العمال .
* مراعاة إحساس الأصدقاء تقوي حبل الصداقة .
* العزيز إذا افتقر هان .
* دوام العزلة يميت النشاط والهمة .
* الاعتراف بالإحسان من كمال الإنسان .
* إذا افتقر العاقل تعرض للزلل .
* الاستبداد والقسوة يورثان البلادة والجفوة .
* هضم الحقوق موجب للعقوق .
* لا ينهض المرء بفقره .
* الكريم إذا ضاقت به الأحوال لم يختلط بالناس .
* المال أساس النجاح .
* الكريم بلا مال كالشجاع بلا سلاح .
* المال يستر العيوب .
* الأحمق واللئيم يضيع فيهما المعروف .
* كثرة الخضوع نفاق .
* لا يشقى من حالفه الحظ .

* لا تحتقر ضعيف اليوم فقد يصبح غدًا عظيمًا .
* لا تتودد إلى من لا يعتبرك .
* الفوضى عاقبتها الفشل .
* الصبور إذا انتقم بطش .
* الانهماك في العمل يؤدي إلى الملل .
* من احترم غيره فقد احترم نفسه .

* * * *

* **ومن نظمه غفر الله له :**

كم عاقل فاضل تلقاه مضطربا وجاهل خامل تلقى به طربا
هذا له الحظ في الدنيا وذاك له عز من الله في أخراه قد وجبا

* **ومن نظمه أيضًا :**

لقد استراح من الحياة وكدها ومن الهموم ورؤية الأهوال
من مات أو من جن أو متبتل لزم القناعة صادق الأحوال

* **ومن نظمه أيضًا :**

دع الأمر تحت القضا والقدر فما ينفع العقل لا والحذر
فمن رام سخطًا على ما جرى فذاك الكفور وشر البشر
ومن سلم الأمر نال المنى وما يبتغيه ونال الظفر
فصبرًا جميلًا على ما قضاه الإله عساه يزيل الضرر
ولا تتركن الدعا والطلب فإن اللطيف به قد أمر
ولا تركبن بحار الهوي فإن المعاصي قرين الخطر

* ومن نظمه أيضًا متضرعًا إلى الله تعالى :

زدني بفرط الابتلاء تصبرًا والطف بما قدرته فيما جرى
يا من له عنت الوجوه جميعها رحماك فالعبد الذليل تحيرا
إن لم يكن لي منك لطف شامل أو فضل إحسان على مكررا
فمن الذي أرجو لكشف بليتي أو من إليه أميل من بين الورى
والكل مفتقر إليك وسائل من فيض جودك نقطة أن تقطرا
لا أرتجي أحدا سواك وأنت لي نعم الملاذ ومن رجاك استبشرا
إني سألتك والهموم تراكمت والدهر عاند والزمان تنكرا
حاشا تخيب من رجاك مؤملًا مهما جنى أو كان فيك مقصرا

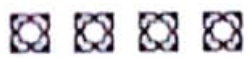

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة التحقيق	٥
ترجمة المؤلف	٧
مقدمة المؤلف	١٣
سبب تسمية مصحف عثمان بن عفان بالمصحف الإمام	١٢
الجدول الأول : وفيه بعض كلمات بالرسم العثماني	١٩
الباب الأول : [تعريف القرآن وما يتضمنه وإنزاله]	٢١
الفصل الأول : في تعريف القرآن وما يتضمنه	٢٣
القرآن أصل العلوم واعتناء العلماء به	٢٦
وصف بليغ للقرآن للأستاذ الرافعي	٢٨
اعتراف الإفرنج بسمو مكانة القرآن	٢٩
مكان طبع المصحف لأول مرة	٢٩
الفصل الثاني : القرآن في اللوح المحفوظ	٣٢
ترجمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما	٣٢
الفصل الثالث : في إنزال القرآن	٣٤
الباب الثاني : [جمع القرآن وكتابته وضبطه وترتيب سوره ونزوله على سبعة أحرف]	٣٧
الفصل الأول : في جمع القرآن الكريم	٣٩

الجمع الأول : وكان في عهده ﷺ ٣٩
الجمع الثاني : جمع أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ٤٢
سبب إيداع الصحف عند حفصة بنت عمر بن الخطاب
رضي الله عنهما ٤٤
ترجمة زيد بن ثابت رضي الله عنه ٤٥
سبب تتبع زيد بن ثابت ما لدى الناس من قرآن ٤٧
لماذا لم يحمل أبو بكر الناس على مصحفه كما فعل عثمان
رضي الله عنهما ٤٩
لماذا لم يجتمع الخلفاء الأربعة بأنفسهم على جمع المصحف ٥١
الجمع الثالث : جمع عثمان بن عفان رضي الله عنه ٥٢
ترجمة حذيفة بن اليمان ٥٢
ترجمة عبد الله بن الزبير ٥٤
ترجمة سعيد بن العاص ٥٤
ترجمة عبد الرحمن بن الحارث ٥٤
معنى نزول القرآن بلغة قريش ٥٥
سبب إحراق عثمان المصاحف غير مصحفه ٥٧
الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان ٦٠
جواب الإمام الطبري عن علة فقدان الأحرف الستة ٦٢
خلاصة ما تقدم ٦٤

نظم في جمع القرآن للإمام الشاطبي ٦٦

الفصل الثاني : في احتياط الصحابة في كتابة القرآن ٦٨

سبب جعل شهادة خزيمة بن ثابت بشهادة رجلين ٧٠

تعلم زيد بن ثابت اللغة السريانية في نصف شهر ٧٢

الفصل الثالث : في ضبط وتصحيح المصحف الكريم ٧٤

ترجمة خزيمة بن ثابت ٧٦

حكاية رواها البيهقي ٨٠

حفظة القرآن في عهد النبي ﷺ ٨١

ترجمة سالم مولى أبي حذيفة ٨١

ترجمة أم ورقة ٨٢

الفصل الرابع : في ترتيب آيات القرآن وسوره ٨٤

ترتيب الآيات ٨٤

بيان السور الطوال والقصار والمئين والمثاني والمفصل ٨٥

علة عدم وضع البسملة في سورة براءة ٨٦

ترتيب السور ٨٧

حكم تنكيس الآيات والسور قراءة وكتابة ٨٧

أسماء السور ٩١

الدليل على أن ترتيب سور القرآن توقيفي ٩٣

الدليل على أن ترتيب سوره اجتهادي ٩٣

ترجمة العرباض بن سارية والحديث المروي عنه ٩٦
عدد المصاحف التي فرقها عثمان رضي الله عنه في الأمصار ... ٩٧
لِمَ لم يرسل عثمان بن عفان لكل بلدة من بلاد الأسلام مصحفًا ٩٨
كيفية كتابة المصاحف العثمانية ١٠٠
الفصل الخامس : في نزول القرآن على سبعة أحرف ١٠١
ترجمة هشام بن حكيم القرشي ١٠١
ترجمة أبي بن كعب ١٠٣
ترجمة عبد الله بن مسعود ١٠٥
وصية ابن مسعود لأهل الكوفة في عدم تنازعهم في القرآن ١٠٦
خلاصة أقوال العلماء في المراد بالأحرف السبعة ١٠٨
الدليل على أن حديث إنزال القرآن على سبعة أحرف من الأحاديث المتشابهة ١١٣
جواب الإمام الطبري على سؤال بعضهم عن ترك الأحرف الستة . ١١٦
سبب اختلاف القراءات ١١٧
فوائد اختلاف القراءات ١١٧
الباب الثالث : [رسم المصحف العثماني] ١٢١
الفصل الأول : في رَسْم المصحف العثماني ١٢٣
الفصل الثاني : في اختلاف رَسْم المصاحف العثمانية ١٢٦
الفرق بين الخلاف الواقع في رَسْم المصحف والخلاف الواقع في وجوه

القراءات ١٢٧
ذكر جملة من الأمثلة التي اختلفت كتابتها ورسومها في المصاحف. ١٢٧
سبب اختلاف رسوم المصاحف العثمانية ١٢٩
الفصل الثالث : في رَسْم القرآن الكريم هل هو توقيفي أم لا .. ١٣١
استدلال القائل بأن رسمه توقيفي ١٣١
استدلالنا بأن رسمه غير توقيفي بخمسة أمور ١٣١
الأمر الأول ١٣٢
الأمر الثاني ١٣٤
الأمر الثالث ١٣٥
الأمر الرابع ١٣٥
الأمر الخامس ١٣٥
الفصل الرابع : في حكم اتباع رَسْم المصحف العثماني ١٣٧
إجماع الأئمة على وجوب اتباع رسمه ١٣٧
جواز كتابة الألواح للصغار المتعلمين بغير الرسم العثماني ١٤٠
ما قال القاضي عياض فيمن زاد أو نقص حرفا من القرآن ١٤٠
ما قاله ابن القاضي المغربي في رَسْم المصحف العثماني ١٤١
علة عدم وجوب اتباع رَسْم الصحف البكرية ١٤٣
أسئلة مقدمة لمشيخة المقارئ المصرية وإجابة العلامة الضباع عليها ١٤٤
السؤال الأول : هل من ضمن القراءات المتواترة قراءة روعي فيها رَسْم

المصحف العثماني أم لا (ثم ذكر الجواب عليه) ١٤٤

السؤال الثاني : هل يطلق على من كتب مصحفا بقراءة من القراءات المتواترة إنه خالف رَسْم المصحف العثماني وأنه ارتكب محظورا أم لا (ثم ذكر الجواب عليه) ١٤٥

السؤال الثالث : ما هي القراءات المتواترة وكم عددها وما أسماؤها وما معني القراءة الشاذة . الخ (ثم ذكر الإجابة عليه) ١٤٦

السؤال الرابع : هل يجوز إتلاف المصاحف المطبوعة بغير رَسْم المصحف العثماني أم لا وهل لها حرمة أم لا (ثم ذكر الجواب عليه)

البحث عن نفس المصاحف العثمانية ١٥٢

فوائد اتباع الرسم العثماني ١٥٤

الرد على الإفرنج القائلين باستنباط القراءات من الرسم ١٥٥

الفصل الخامس : في معرفة الصحابة لقواعد الإملاء والكتابة .. ١٦٤

استدلالنا على ذلك بثلاثة أمور ١٦٤

الأمر الأول ١٦٤

الأمر الثاني ١٦٥

كتابات القرون الأولى على الصخور والأحجار ١٦٧

ترجمة عبد الله بن جدعان وذكر شيء من أخباره ١٦٧

الأمر الثالث ١٦٨

كيف دخل الخط العربي إلى الحجاز ، وأول من أدخله إلى مكة المشرفة ١٦٨

ترجمة حرب بن أمية ١٦٨
ترجمة بشر بن عبد الملك ١٦٩
أول من جمع الأولاد في المكتب وسبب عطلة الدراسة في يوم الخميس
والجمعة ١٧٢
الباب الرابع : [كتابة القرآن الكريم] ١٧٣
الفصل الأول : فيما لو كتبنا القرآن الكريم بقواعد كتاباتنا ... ١٧٥
أسماء أئمة القراءات وتواريخ وفاتهم ١٧٥
الفصل الثاني : فيما لو اتبعنا رَسْم المصحف في كتاباتنا ١٨١
الجدول الثاني وفيه بعض الكلمات المرسومة في المصحف العثماني في
موضع بشكل وفي موضع بشكل آخر ١٨٢
بيان ما يسوغ لنا اتباعه من المرسوم وما لا يسوغ ١٨٥
فبيان ما لا يسوغ لنا اتباع رسمه ١٨٥
كتابة جملة من غير القرآن بالرسم العثماني للمقارنة ١٨٦
بيان ما يستحسن من غير القرآن بالرسم العثماني للمقارنة ١٨٦
بيان ما يستحسن لنا اتباعه ١٨٦
أحوال الهمزة في القرآن ١٨٨
ما تكتب من الهمزات على نبرة وما لا تكتب ١٨٩
إجابة مشيخة المقارئ المصرية على سؤالنا هذا وهو : إذا كانت الهمزة
اخترعت بعد الصحابة فلم لم تكتب كلها في المصحف الأميري على

حسب قواعد الإملاء ... إلخ ١٨٩
الباب الخامس : في ذكر شيء من مرسوم القرآن الكريم ... ١٩٣
الفصل الأول : في رَسْم : إبراهيم . أيها . سعوا . .. إلخ ... ١٩٥
قاعدة زيادة الألف بعد واو فعل جمع : « في الهامش » ١٩٦
عدم تخطئة الأتراك في كتابتهم لنحو عصمت .. نعمت . شوكت .
بالتاء في الهامش ١٩٧
نظم قيم فيما يتصل وما ينفصل ١٩٩
الفصل الثاني : في رَسْم البسملة . وألف المد وألف التثنية .. إلخ ٢٠١
الفصل الثالث : في رَسْم صيغ المبالغة وصيغ المفرد والجمع ... إلخ ٢٠٧
الفصل الرابع : في بعض غرائب رَسْم المصحف العثماني ... ٢١٠
الباب السادس : وفيه خمس فصول ٢١٩
الفصل الأول : فيما ذكره العلماء من التعليلات لبعض مرسوم المصحف العثماني ٢٢١
الفصل الثاني : في اختراع النقط والشكل ٢٢٧
سبب تشكيل المصحف ٢٢٧
سبب نقط المصحف ٢٢٨
الفصل الثالث : في كتابة المصاحف قديما وحديثا ٢٣١
ظهور المطابع ٢٣٤
الفصل الرابع في عدم جواز قراءة القرآن وكتابته بغير العربية .. ٢٣٨

الفصل الخامس في عدد أجزاء القرآن وأنصافه وسوره وآياته وحروفه ٢٤١

الخاتمة : وفيها خمس فوائد ٢٤٥

الفائد الأولى : في فضائل القرآن العظيم ٢٤٧

الفائدة الثانية : في الإكثار من تلاوة القرآن ٢٥٣

الفائدة الثالثة : في تجويد القرآن ٢٥٧

الفائدة الرابعة : في آداب تلاوة القرآن ٢٥٨

دعاء ختم القرآن الكريم ٢٦٣

الفائدة الخامسة : في آداب كتابة القرآن ٢٦٥

تنبيه ٢٦٧

من أقوال المؤلف في الحكم والأمثال ٢٦٨

محتويات الكتاب ٢٧١